عامر شماخ

الإخوان والمرأة

بين هموم الواقع وإشكاليات الخصوم

دار النشر للجامعات

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

شماخ، عامر
الإخوان والمرأة بين هموم الواقع وإشكاليات الخصوم/ عامر شماخ
ط١ - القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠١٠.
٢٤٠ ص، ٢٤سم.
تدمك ٨ ٣٣٤ ٣١٦ ٩٧٧ ٩٧٨
١- المرأة في الإسلام
أ- العنوان
٢١٠,٤

تاريخ الإصدار: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

حقوق الطبع: محفوظة للناشر

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢٤٠٧٢

الترقيم الدولي: ISBN: 978-977-316-334-8

الكود: ٢/٣٠٦

تحذير: لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل (المعروفة منها حتى الآن أو ما يستجد مستقبلاً) سواء بالتصوير أو بالتسجيل على أشرطة أو أقراص أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن كتابي من الناشر.

دار النشر للجامعات
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
ت: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - ٢٦٣٢١٧٥٣ ف: ٢٦٤٤٠٠٩٤
E-mail: darannshr@link.net

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد..

من الاتهامات التى توجه لجماعة الإخوان المسلمين، موقفها من المرأة، فيرى خصوم الحركة أنهم لا يساوونها بالرجل، ويغفلون حقوقها، ويعاملونها باعتبارها ناقصة عقل ودين.. إلخ هذه الشبهات.

وهذه الاتهامات عندما توجَّه للإخوان المسلمين، فهى فى الحقيقة توجَّه للإسلام، وتطعن فى شريعته؛ ذلك لأن دعوة الإخوان تعتمد على الفهم الصحيح والشامل للإسلام، ولأن معتنقيها يدعون إلى العودة بالدين إلى معينه الصافى من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ويحملون أنفسهم على العمل بهما فى كل شىء، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

ومن هنا فقد أفردنا بابًا كاملا -قبل الحديث عن الإخوان والمرأة- حول الإسلام والمرأة، طرحنا فيه: واقع المرأة قبل مجىء الإسلام، والتصور الإسلامى لها، وتحدثنا عن الشبهات التى يثيرها خصوم الإسلام حول معاملته للمرأة.. وقد قمنا بالرد عليها جميعًا.

وللحق فإنه من خلال الدراسة والبحث، وقفنا على عدد كبير من الحقائق حول قضية الإخوان والمرأة.. جاءت عكس ما يدّعى خصوم الجماعة..

فللإخوان رؤيتهم الواضحة حول المرأة منذ أن نادى حسن البنا -رحمه الله- بجماعته عام ١٩٢٨.. فأنشأوا -والدعوة لم تنتقل بعدُ للقاهرة- فرقة الأخوات المسلمات، وأقاموا مدرسة للبنات وقت أن كان الناس يجهلون فوائد تعليم المرأة، وحاربوا البغاء، وأنشأوا دارًا للتائبات.

فلما انتقلت الدعوة للقاهرة، زاد اهتمام الجماعة بالمرأة بشكل كبير، حيث دافعوا عن حقوقها، على صفحات جرائدهم ومجلاتهم، وفى ندواتهم ومحاضراتهم، وأنشأوا قسمًا كبيرًا داخل الحركة وضعوا له اللوائح والمناهج، وقد انتظم فى هذا القسم عشرات الآلاف من النساء قمن -وقتها- بأدوار دعوية واجتماعية كبيرة.. إضافة إلى ما قامت به الجماعة من الوقوف فى وجه التيارات الداعية إلى إفساد المرأة وإخراجها من حشمتها ووقارها.

لقد أدرك الإخوان -منذ وقت بعيد- خطورة مهمة المرأة فى إعداد النشء وإقامة البيت المسلم، كما أدركوا أهمية دورها الإصلاحى فى المجتمع، وفى التواصل مع الأمة الإسلامية، فبذلوا قصارى جهدهم فى النهوض بها، وإخراجها من البيئات التى تحرِّض إما على عريها أو تقييد تفكيرها، إلى حيث مشاركة الرجل فى مجال الدعوة والإرشاد، ولِمَ لا وهى متساوية مع الرجل فى التكاليف الدينية، وهى أحد جناحى الدعوة، وتهميشها يعنى إضعاف الحركة؟

إن الإسلام نزل للرجال والنساء -هكذا يقول الإخوان- ولم ينزل للرجال دون النساء.. والمرأة هى الابنة التى تولد كما يولد أخوها الذكر من الصلب ذاته ومن الرحم نفسها، وهى الزوجة التى هى سكن للرجل والرجل سكن لها، ومن ثم فلا دليل لمن ينتقصها حقوقها، ولمن يقلل شأنها ويسفه رأيها.. وواقع الإخوان يؤكد ما يقولون، فالمرأة الإخوانية لها أدوارها وواجباتها فى الجماعة كالرجل تمامًا، وقد تعرضت لمثل ما تعرض له من محن، وثبتت كما ثبت، وهى التى واجهت الطغاة، وربَّت الأبناء، وبثت الأمل فيمن حولها.. فحق للإخوان أن يعطوها المكانة التى تليق بها، فهى المحظوظة لدى الجماعة، المصونة بين منتسبى الحركة الذين يعرفون فضل المرأة فى شريعة الإسلام.

وإن من الحقائق كذلك، أن الإخوان هم أكثر الناس احترامًا للمرأة، وأسبق الناس اعترافًا بحقوقها.. لكن لعن الله الإعلام الموجه، ولعن الأنظمة الفاسدة، التى تدفن الخير وتذيع الشر، وتأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف.

وفى الكتاب حقائق أخرى كثيرة، ضمناها فى الباب الثانى: (الإخوان والمرأة)، لا يتسع المقام لذكرها جميعًا.. لكن على أى حال، فإن هناك مآخذ على الجماعة فى هذه القضية، قضية المرأة وحقوقها، طرحناها بموضوعية ونزاهة.. غرضنا من ذلك: الإصلاح، والنهوض بالمرأة عمومًا؛ ففى النهوض بها صلاح الأمة وحضارتها.

وقد أضفنا إلى بابى الكتاب، فصلا آخر يتضمن الوثائق التى اعتمدنا عليها فى الدراسة، لم يُنشر بعضها من قبل.

الله أسأل أن يتقبل منا العمل، وأن يجعله لنا لا علينا.. وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.. إنه نعم المولى ونعم النصير.

عامر شماخ

القاهرة: ١ من ديسمبر ٢٠٠٩م

١٤ من ذى الحجة ١٤٣٠هـ

الباب الأول

الإسلام والمرأة

- واقع المرأة قبل مجيء الإسلام
- التصور الإسلامي للمرأة
- أزهى عصور المرأة
- شبهات يثيرها خصوم الإسلام حول معاملته للمرأة

واقع المرأة قبل مجيء الإسلام

دأبت الحضارات والديانات السابقة للإسلام، تنظر إلى المرأة نظرة دونية.. وتتفاوت تلك النظرة من عدم الاعتراف بأهليتها، إلى بيعها فى الأسواق كأنها سقط متاع، أو تقديمها قربانًا للآلهة!

وباستثناء الحضارة الفرعونية، التى خولت المرأة مركزًا معقولا، نالت بمقتضاه (حقوقًا) قريبة من حقوق المرأة الغربية الآن! -فإن المرأة فى جميع الشعوب والأمم السابقة -بلا استثناء- قد عانت الاضطهاد، وعوملت بقسوة، واعتُبرت عند البعض شرًا يجب التحرز منه، كما اعتُبرت عند البعض الآخر فى رتبة الحيوانات، ويُنظر إليها كمصدر لكل شؤم.

• المرأة فى الحضارة المصرية القديمة

كانت المرأة فى مصر القديمة تملك وترث، وتتولى أمر أسرتها فى غياب من يعولها، كذلك كانت تخرج للأسواق، وتحضر الاحتفالات الدينية، وتغشى المنتديات، وتشغل المناصب العامة أمثال: كليوباترا وحتشبسوت ونيتوكريس وغيرهن من اللاتى جلسن على سرير الملك وأدرن شئون البلاد»[1].

وقد نالت المرأة الفرعونية حظها فى اهتمام الرجل بها ومعاملتها باحترام، كما نالت حقها فى التعليم، وقد شاركت مشاركة فعالة فى الواقع الثقافى، وتولت مناصب علمية، وكُلفت بمهام تعليمية اقتضت إلمامها وإجادتها اللغات الأجنبية.

وعلى الرغم مما وصلت إليه المرأة فى حضارة المصريين القدماء من مكانة، إلا أنها كانت شعارًا للجنس والرذيلة لدى الرجل، تحت مسميات الحرية والمساواة..

(١) انظر: الحقوق التعليمية للمرأة من واقع القرآن والسنة، د. منى على السالوس، دار النشر للجامعات، ٢٠٠٣م.

ونستطيع أن نؤكد أن «صورتها كانت أقرب إلى صورة المرأة الغربية الآن، من حيث امتهانها وتعريتها. . فكان عليها تقديم المتعة الجنسية للرجل فى الحفلات، وكانت هى التى تخطب الرجل، ولو اضطرها ذلك إلى العربدة والانطلاق، حيث لا يحاسبها أحد»(١).

وكان الملك -فى مصر القديمة- يتزوج أخته، وأحيانًا ابنته، كما كان يضاجع قريباته.. وكانت بنات الأعيان يُقدَّمن له كهدية.. وله عدد من أسيرات الحرب، وقد انتقلت عادة الزواج من الأخوات إلى النبلاء والأمراء، ثم انتقل ذلك إلى القادرين من الناس.

• المرأة فى الحضارة اليونانية

كان من حق الزوج فى هذه الحضارة العريقة، تأجير زوجته أو إقراضها لمن يشاء!، بل من حقه أن يعرضها فى الأسواق؛ لأن المرأة عندهم لم تكن أفضل من بهيمة من بهائم الرجل!!

وكان اليونانيون يقدمون بناتهم قربانًا للآلهة.. وكانوا يتخذون الزوجات ليلدن الأبناء الشرعيين فقط. أما الدولة فكانت تعترف بالدعارة، وتفرض ضرائب على العاهرات، ولم تكن العفة مطلوبة من المرأة قبل زواجها. وكانت الأعياد الكبرى فرصة لتحرر الناس جميعًا من قيود العلاقات الجنسية. وكان للرجل العقيم الحق فى أن يستقدم أحد أقربائه ليعاشر زوجته، فإذا أنجبت الولد نسبه الزوج إلى نفسه..

ومن هذا الجو الذى ضاعت فيه شخصية المرأة وكرامتها، استوحى فلاسفة اليونان آراءهم، فيقول سقراط: «إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار فى العالم، وإن المرأة تشبه شجرة مسمومة، ظاهرها جميل ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالا.. وذكر أرسطو أن الطبيعة لم تزود النساء بأى

(١) المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، د. على عبد الحليم محمود، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١م.

استعداد عـقلى يعتد به، ولذلك يجب أن تقتصر تربيتـهن على شئون تدبير المنزل والحضانة والأمومة»(١).

• المرأة فى الحضارة الرومانية

كانت المرأة فى تلك الحضـارة بلا أى حقوق، أما الزوج فله كل الحقـوق، فهو يبيع ويشترى، حـتى أولاده الذين من صلبه من حقه أن يبيـعهم، بل من حقه إذا وُلدت له أنثى أن يقتلها، كذلك إن وُلد له طفل مشوه!!

ولم يكـن للمـــرأة الحق فى التصرف فى مـالها، بل الذى يتولى ذلك: أبوها أو أخوها أو زوجها، فـإذا مات زوجها لم ترث منه شيئًـا، ولو ماتت هى آل إليه كل شىء. وكان يحرم عليها أن تظهر فـى المحكمة، حتى لو كانت شاهدة؛ لأنها فى نظرهم أقل وأهون من أن تتواجد فى ذلك المكان.

وكان الرومـان يعتـقدون أن المرأة (بلا روح)، ولذلك «فـهم يعذبونهـا بسكب الزيت الحـار على بدنها، وربطهـا بالأعمـدة، بل كـانوا يربطون البريئـات بذيول الخيول ويسرعون بها إلى أقصى سرعة حتى تموت»(٢).

وكان شعـارهم بالنسبة للمرأة: «إن قيـدها لا يُنزع ونيرها لا يُخلع». وهى فى كل الأحوال ناقصـة السيادة، فإذا تزوجت عقـد الزوجُ معها (اتفاق سيـادة) يصير بمقتضاه سيدًا عليها!

ولقد عقد مؤتمر كبير فى (رومية) لبحث شئون المرأة، وقد خرج بتوصية تقول: «المرأة حيوان نجس، لا روح لهـا ولا خلود، ولكن يجب عليها العبـادة والخدمة، وأن يكمم فمـها كالبعـير، والكلب العقـور، لمنعها من الضـحك والكلام؛ لأنها أحبولة الشيطان»(٣).

(١) الحقوق التعليمية للمرأة، مرجع سابق.
(٢) المرأة المسلمة وتوليها الوظائف العامة.. بين المعارضة والتأييد، إبراهيم هاشم إبراهيم، مكتبة وهبة، ٢٠٠٧م.
(٣) الإسلام وقضايا العصر، د. محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، ٢٠٠٧م.

• المرأة فى حضارة فارس

كان للزوج فى حضارة الفرس، حق التصرف فى زوجته كتصرفه فى ماله ومتاعه.. وليس من حق المرأة المتزوجة رؤية رجل آخر ولو كان أباها أو أخاها، فضلا عن أعمامها وأخوالها وسائر قراباتها.. ومن حق الزوج إن غضب على زوجته أن يقتلها، أو يبيعها، أو يسجنها فى بيتها سجنًا أبديًا.. «كذلك له الحق فى أن يتزوج بمن يشاء من الزوجات دون شرط أو تحديد عدد»(١).

وكانت المرأة الفارسية، تُفرض عليها العزلة أثناء حيضها، فلا تخرج، ولا ترى أحدًا، ولا يراها أحد، ولا تؤاكل أو تشارب أحدًا.

وكان الأب فى فارس يتزوج ابنته، والأخ يتزوج أخته، والابن يتزوج أمه.

وقد فسد ملوكهم فسادًا كبيرًا، حتى كانت قصورهم تعج بالسرارى، فلا يضاجع أحدهم امرأة مرتين، إلا إذا كانت رائعة الجمال. وكان القانون الفارسى يشجع البنات على ألا يظللن عذارى!

• المرأة فى الحضارة الصينية

لم يكن للمرأة الصينية أى حقوق على الإطلاق، فلا تملك ولا ترث، وإنما عليها الطاعة التامة للرجل، الذى هو أبوها أو زوجها أو ابنها الأكبر -إن مات الزوج.

وكان النظام الاجتماعى يقضى بحق الرجل فى بيع زوجته، إذا ألجأته لذلك ضرورة من الضرورات! أو يتخلى عنها -إن أراد- بالطريقة التى يرتضيها. وإذا لم تنجب المرأة الذكور طُلّقت!

ويبلغ من احتقار المرأة فى المجتمعات الصينية، أن الأسر كانت تتخلص من بناتها فى الحقول، يأكلهن الصقيع والضوارى، فلا يعاتبهم أحد على ما فعلوا.. وكان الزوج يأكل وحده، فلا يصح أن تشاركه زوجته الطعام، أما هى فتقوم بخدمته أثناء طعامه وشرابه، فإذا انتهى أكلت هى بقايا طعامه.

(١) الحقوق التعليمية للمرأة، مرجع سابق.

كما اعترفت تلك الحضارة بحق الرجال فى الزنى، ورخصت لهم ممارسة الفاحشة.

• المرأة فى الحضارة البابلية

ساد اعتقاد فى هذه الحضارة، أن المرأة مخلوق دون الإنسان، فلا يُقتل الرجل بها، فإذا قتل أحدهم امرأة عليه تقديم ابنته لولى التى قُتلت فيقتلها بها أو يعفو عنها.

وكانت المرأة تُباع وتُشترى كالسلعة، ولهن سوق يُعرضن فيه، وكان من حق الزوج أن يسلم امرأته لدائنيه، وفاءً لدينه.

بل وصل الأمر إلى أنه إذا طلبت المرأة السومرية من زوجها الطلاق، أُلقيت فى النهر، أو يطردها الزوج خارج البيت لتصير فريسة للآخرين دونما حماية من أحد.

وإذا مات الزوج وترك مالا لزوجته يكفى لإعاشتها، فليس من حقها الزواج من بعده، وإلا أُلقيت فى النهر، وتتعرض للعقوبة نفسها إذا كانت كثيرة التنقل.

وكانت كل امرأة بابلية تجلس فى هيكل الزهرة مرة فى حياتها، لتضاجع رجلا غريبًا، وتلك كانت دعارة مقدسة يقرها الدين عندهم، فلا يحق لامرأة أن ترفض الرجل الذى اختارها للمضاجعة فى ذلك المعبد المقدس.. وكان الرجل الغريب يعطيها مالا ويقول لها: أسأل الرب أن يكون عنك راضيًا!!

وكان البغاء -لغير المتزوجين- له قانون ينظمه. وكانت هناك حانات للشراب والدعارة يديرها النساء. وكان الزواج التجريبى مرخصًا عندهم، إذ كانوا يسمحون بقسط كبير من العلاقات الجنسية قبل الزواج.

• المرأة فى الحضارة الهندية

تقول الأساطير الهندية: «إن الخالق -عندهم- عندما أراد أن يخلق المرأة، وجد أن مادة الخلق كلها قد استُنفدت فى خلق الرجل، فصاغ المرأة من جذاذات وقصاصات تناثرت من عمليات الخلق.. ومن هنا كانت المرأة عندهم منبوذة، وخصوصًا التى

لم تتزوج، فهى لا تعامل كإنسان، بل عليها أن تلقى الهوان؛ لأنها جاهلة قاصرة، لا يحق لها الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها، فإن ماتوا جميعًا وجب عليها الانتماء -على الفور- لرجل من أقارب زوجها.

ولم يكن للمرأة حق فى الحياة بعد وفاة زوجها، فمن واجبها أن تلقى بنفسها فى النار لتحترق فوق الكومة التى تُعد لتُحرق فيها جثة الزوج بعد موته، فإن كان الزوج الميت متزوجًا بأكثر من واحدة، فعليهن جميعًا أن يمتن على محرقته!

وكان هناك ثمانية أنواع للزواج، كلها لا تضمن للمرأة احترامًا أو مكانة، منها الزواج بالاغتصاب والزواج بالشراء، فليس للمرأة حق اختيار الزوج، أو رفضه.

وقد أجازت الهندوكية، الدعارة العلنية تحت مسمى (خدمة الله)، فالأبوان ينذران ابنتهما لكى تخدم فى المعبد، فتصير بغيًا للكهنة ولكل من يدفع لها من عموم الناس، بشرط أن تدفع جزءًا من أجرها لرجال الدين!!

• المرأة عند اليهود

المرأة عند اليهود قليلة الجدوى، ناقصة الأهلية، لا قيمة لها، وإنما خُلقت متعة للرجل وملكًا له، وفى التوراة: «لقد بدأ الذنب من طرف المرأة، وإن المرأة هى التى توجب موتنا».. وتعتبرها بعض طوائفهم فى مرتبة الخدم، فلا حقوق لها، بل لأبيها الحق فى بيعها مادامت قاصرة.. وفى التراث اليهودى: «يصلى الرجل كل يوم شكرًا لله، لأنه لم يُخلق عبدًا، ولا وثنًا، ولا امرأة»!!

وإذا كان لليهودى ذكور، فلا يحق للبنت أن ترث منه شيئًا.. والمرأة المتزوجة إذا مات زوجها وصارت أرملة يتزوجها أخوه بصورة تلقائية، رغبت ذلك أم لم ترغب، فإن أنجب منها يُنسب أول مولود للزوج الذى مات!!

أما الفتاة اليهودية، فعليها أن تثبت عذريتها يوم زواجها وإلا رُجمت حتى الموت.

ويرى اليهود أن المرأة إذا حاضت أصبحت نجسة، وكل ما تلمسه من طعام أو إنسان أو حيوان يكون نجسًا.. يقول أنس بن مالك، رضى الله عنه: «إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت، فسأل أصحاب النبى ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ..﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: «ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه» [مسلم].

• المرأة فى المسيحية

المرأة فى المسيحية (مطية الشيطان)، و(مركب المعصية)، وهى المسئولة عما يقع من أخطاء، فهى ابنة حواء التى زينت لآدم الأكل من الشجرة.. من أجل ذلك بعث الأب ابنه الفريد عيسى ليُصلب فيغسل ذنوب البشرية.. فهم يعتبرونها سلاحًا بغيضًا من أسلحة الشيطان ومدخلا لكل معصية، «فهى كلدغة عقرباء، والبنت: تعنى الكذب وجندية الجحيم، وعدوة الصلح، وأخطر الحيوانات المفترسة»[1].. ويقول القديس (بونا فنتيرا- المتوفى ١٢٧٤م): «إذا رأيتم المرأة فلا تحسبوا أنكم شاهدتم موجودًا بشريًا؛ لأن ما ترونه هو الشيطان نفسه، وإذا تكلمت فإن ما تسمعونه هو فحيح الأفعى».

ويقول القديس (ترتوليانوس- المتوفى ٢٤٥م) فى عظة للنساء: «أما تعلمن أن كلا منكن حواء؟ إنَّ حكم الله على جنسكن لا يزال قائمًا فى هذا العصر، والجريمة بحكم الضرورة لا تزال قائمة، أنتن باب الشيطان.. أنتن الآكلات من الشجرة.. أنتن أول من خالف الشريعة الإلهية»[2].

(١) المرأة فى التصور الإسلامى، عبد المتعال الجبرى، مكتبة وهبة، ١٩٩٠م.

(٢) الحقوق التعليمية للمرأة، مرجع سابق.

الصحراء.. بل كانت عندهم عادة قبيحة، حيث كانوا يتاجرون بعفاف جواريهم، متخذين منهن وسيلة لجمع المال عن طريق البغاء، فنهى الله -تعالى- عن ذلك بقوله ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

ويصف عمر بن الخطاب، حال المرأة فى الجاهلية قائلا: «كنا فى الجاهلية لا نعتد بالنساء، ولا نُدخلهن فى شىء من أمورنا، بل كنا ونحن بمكة لا يكلم أحدنا امرأته، وإذا كانت له حاجة سَفع برجليها فقضى منها حاجته، فلما جاء الله بالإسلام، أنزلهن حيث أنزلهن، وجعل لهن حقًا» (كنز العمال: ج١).

ولم يكن للمرأة حق فى تزويج نفسها -بكراً كانت أو ثيبًا- بل لولى أمرها تزويجها بمن يشاء -رضيت أم لم ترض- وكان للولى أن يأخذ مهر ابنته أو أخته فيصرفه فى شئونه الخاصة وتذهب هى إلى بيت زوجها بلا مهر أو متاع، فنزل قول الله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤]

وكان الزواج فى الجاهلية -كما جاء فى الحديث المشهور الذى روته السيدة عائشة رضى الله عنها- على عدة أنواع: منه نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها، ثم ينكحها. ونكاح آخر، كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرتْ من طمثها: اذهبى إلى فلان فاستبضعى منه، ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها، فإذا تبين أصابها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد، ويسمى هذا نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليالٍ أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم ما كان من أمركم قد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها ولا

يستطيع أن يمتنع منه الرجل. ونكاح رابع: يجتمع ناس كثيرون فيدخلون على المرأة لا تمتنع عمن جاءها، وهن البغـايا، ينصبن على أبوابهن رايات تكون علمًا، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت جمعوا لها، ودعوا لهم القافة ثم ألحـقوا ولدهـا بالذى يرون أنه ولده فـأُلحق به، لا يمتنع من ذلك. فلمـا بُعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم.

وكان الطلاق فى الجاهليـة مباحًا للرجل كيف يشاء، دون قـيد أو شرط، فكان أحدهم يقول لامرأته: والله لا أطلقك فتبينى منى، ولا آويكَ أبدًا. قالت: وكيف ذلك؟!، قال: أطـلقك، فكلما همّت عـدتك أن تنقضى راجـعتك.. حـتى جاء الإسلام ووضع شروطه فى الطلاق: ﴿**الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ..**﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وما يقال عن الطلاق فى الجـاهلية، يقال عن التعـدد، إذ كان للرجل أن يتزوج بأى عدد من النساء دون حرج، فلما جاء الإسـلام قيّد التعدد بأربع نسوة، وجعل له شروطًا على رأسها العدل بين الزوجات والقدرة على الإنفاق والرعاية.

ولم تكن المرأة فى الجاهلية تـرث شيئًا، فنزلت آية المواريث لتعطى المرأة حـقها الذى قرره الله.

• المرأة الغربية فى الحضارة الحديثة

عانت المرأة الغـربية قـديمًا وحتى ٥٠ سنة مضت أشـد المعاناة، وهذا مـا جعل أنصـارها اليوم يبـالغون فى المطالبـة (بحقـوقهـا) التى أُهدرت على مدار الـقرون الماضية، حتى حولوا هذه الحقوق إلى فوضى وانفلات أخلاقى غير مسبوق.

لقـد كانت الزوجـات تُباع فى انجلتـرا ما بين القـرنين الخامـس والحادى عـشر الميلادى، وقد حدد القانون الإنجليزى وقتها ثمن الزوجة بستة بنسات، وكان للزوج

الحق فى نقل أو إعـارة زوجتـه إلى رجل آخـر لمدة مـحـدودة. . «وفى القـانون الإنجليزى (حـوالى سنة ١٨٥٠م) كانت النسـاء غير معـدودات من المواطنين، فلم يكن لهن حقـوق شخصـية، فلا حق لهن فى تملك الأمـوال التى يكتسبنهـا بعرق الجبين، بل لا حق لهن فى تملك حتى ملابسهن»(١).

«وخلال ستينيات القرن الماضى، باع إيطالى زوجـته لآخر على أقسـاط، فلما امتنع المشترى عن سداد الأقساط قتله البائع»(٢).

ولما قامت الثورة الفرنسية -فى نهاية القرن الثامن عشر- وأعلنت تحرير الإنسان من العبودية، لم تشمل هذه الإصلاحات المرأة؛ حيث رأت الثورة أنها ليست أهلا لذلك!!، «ونُقل عن الكاتبة الفرنسية أرماندين لويسل أورو (١٨١٤-١٨٧٦م) أنها لم تتمكن من نشر مؤلفاتهـا وإقناع أصحاب دور النشر بأن المرأة تستطيع أن تكتب وأن لها عقلا يستوعب مثل الرجل حتى اتخذت لنفسها اسم رجل»(٣).

وحتى عام ١٩٢٠م، كـانت المرأة فى أمريكا تتساوى مع العبيـد، وكانت تُحرم الحقوق السـياسية بالكامل. . وحتى اليـوم نجد الكونجرس الأمريكى لا تتواجـد فيه المرأة إلا بنسبة ١٤٪، وهناك ٨ سيدات يعملن فى القضاء من بين كل ٦٧٥ قاضيًا.

ولقد تغيـر حال المرأة الأوروبية إلى النقيض، مع التطور الحضـارى الذى شهده الغرب، والذى شهد مـيلاد الآلة وظهور القوى الإنتاجيـة، وشهد فى الوقت ذاته ثورات فكرية ومجتمعية خطيرة، كانت فى مجملها تبحث عن المتعة واللذة، بعيدًا عن دائرة الدين، منفلتة من حدود القيم والأخلاق، ومن هنا أنكروا الدعوات التى تحبـذ العفة والبكارة، وأعلوا مـن شأن العقـود المدنية فى الزواج، واعتـبروا الدين معوقًا لنمو المرأة، فجـعلوا لها الحرية المطلقة فى ممارسة الجنس مع من تريد، ومن حقها الإجهاض. . وهى متساوية مع الرجل فى جـميع الحقوق، فمن حقها العمل

(١)، (٢)، (٣) المرأة والأسـرة بين التـغريـب والإسلام، السـيـد عـبد الحليـم، دار الطباعـة والنشـر الإسلامية، ٢٠٠٦م.

فى جميع المجالات بلا أى قيود، ومن حـقها الاختلاط بالرجل فى أى وقت وفى أى مكان. .

وبعد مرور عـدة عقود من هذه الحال، رأينا المرأة الغربيـة وقد صارت فى منزلة غيـر إنسانية بالمرة، فـهى الآن إذا عملت أكلت، وإن لم تعمل جـاعت؛ حيث لا يتحملهـا أحد. . وقد صارت سلعة رخـيصة يتاجر الرجل بـها ويجنى من ورائها أرباحًا طائلة، وهى رغم ذلك لا تـعترض وقد أغـراها بريق المال والشهرة وحـياة المجون والعربدة . . حتى إذا أفاقت فى خريف عمرها وهى السن التى لا يحتاجها فيـها الرجل، ندبت حظهـا وأدركت أن المساواة مع الرجل التى أقنعـوها بها وهمٌ كبير!! . .

إنها تعانى التفرقة فى العمل، فهى أول من يتم فصلها فى الأزمات الاقتصادية، وآخر من يتم تعيينها فى الرخاء. . تقول الروائيـة الشهيرة أجاثا كريستى: «إن المرأة مغفلة؛ لأن مركـزها فى المجتمع يزداد سوءًا يومًا بعد يوم، فنحـن النساء نتصارع على حق العمل والمسـاواة مع الرجل، والرجال ليسوا أغبـياء، فقد شـجعونا على ذلك، معلنين أنه لا مانع مطلقًا من أن تعمل الزوجة وتضاعف دخل الزوج. ومن المحزن أننا أثبـتنا، نحن النساء، أننا الجنس اللطيـف، ثم نعود لنتسـاوى اليوم فى الجهد والعرق اللذين كانا من نصيب الرجل وحده»(١).

ولقد أفرزت (الحرية الجنسـية) التى أُعطيت للمرأة الغربية، مصائب مسـتعصية على الحل، وأنتجت مجتمعات مختلة تضج بالألم والتفسخ، فلم تعد هناك أسر، وإن وُجدت فهى بلا رسالة، وهناك مـئات المليارات من الدولارات تُنفَق على آثار انفلات المرأة، بلا جدوى. . لقـد أدت تلك (الحرية) إلى أن فقد ٨٠٪ من فـتيات أمـريكا بالمدارس عذريتـهن، ٩٥٪ من فـتيـات السويد لـهن تجارب جنسـية قبل الزواج، ٥١٪ من نساء فرنسا يلدن قبل الزواج. .

(١) شبكة (نور الإسلام) الإلكترونية.

ولقد استنّوا مؤخرًا قوانين تحمى حق المرأة فى التمتع بالحرية الجنسية الآمنة، فى أى سن، والتعامل مع حمل السفاح دون أدنى مساءلة للحامل، والاعتراف بنسب الأبناء غير الشرعيين، والاعتراف بجريمة (الاغتصاب الزوجى) وإعطاء الشواذ حقوقهم!!.. فهل أدت هذه (الحقوق) إلى النهوض بالمرأة الغربية؟ وهل صانت كرامتها من الامتهان؟ .. بالعكس، فإن المرأة الغربية الآن هى أكثر نساء الأرض عُرضة للعنف والمهانة من قِبل الرجل .. فنحو ٩٠٪ من الأمريكيات يتعرضن للضرب من شركائهن (الزوج/ الرفيق) ، ٣٠٪ من قتلى الأمريكيات بفعل الزوج أو الخليل، وهناك -على الأقل- أربعة ملايين تقرير فى حوادث العنف العائلى ضد المرأة كل عام. أما فى فرنسا فيتعرض أكثر من مليونى امرأة للضرب سنويًا، من الزوج أو الشريك، مما دفع أمينة سر الدولة لحقوق المرأة إلى القول: «حتى الحيوانات أحيانًا تعامَل أحسن منهن». وفى بريطانيا ٢٧ مليون امرأة (٥٠٪ من المتزوجات) يتعرضن للضرب من جانب أزواجهن، أما ثلث هؤلاء المتزوجات (١٨ مليون امرأة) فيتعرضن للضرب بصورة متكررة، وأن أكثر من ٥٠٪ من القتيلات كن ضحايا الزوج أو الشريك.

التصور الإسلامي للمرأة

جاء الإسلام والمرأة كائن مهمل، ليس لها مكانة أو حقوق، وإنما هى متاع، كأى متاع، يلهو به صاحبه فإن ملّه ألقاه، هذا إن لم تُدفن عقب ولادتها.

ولم يكن الرجل يُسأل فى الجاهلية: لِمَ قتل المرأة، أو أعضلها، أو أهانها، فإنما هى أعراف أقرتها تلك المجتمعات، وقد توارثوها جيلا بعد جيل.. يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «والله إن كنا فى الجاهلية ما نعد للنساء أمرًا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم»..

- **لقد منع الإسلام أولا وأد البنات ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾** [التكوير: ٨، ٩]..

- **ثم أعلن الحرب على العادات والتقاليد التى تحرِّض على كراهية الأنثى**، وقد وصف فاعليها ببلادة العقل وتفاهة المنطق.. **﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾** [النحل: ٥٨، ٥٩].

- **وحبّب أتباعه فى البنات**، وبشَّر من يُرزق بهن، وحذر من كراهيتهن وظلمهن والإساءة إليهن، يقول النبى ﷺ: **«لا تُكرهوا البنات؛ فإنهن المؤنسات الغاليات»** [الطبرانى]، ويقول ﷺ: **«إذا وُلدت الجارية بعث الله عز وجل إليها ملكًا يزف البركة زفًا يقول: ضعيفة خرجت من ضعيفة، القيم عليها معانٌ إلى يوم القيامة»** [أحمد].

- **ومنع التمييز بين النوعين، الذكر والأنثى**، يقول النبى ﷺ: **«اعدلوا بين أولادكم فى النُّحل(١) كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف»** [الطبرانى].

(١) فى النُّحل: أى فى العطاء والحقوق.

لقد سما الإسلام بالمرأة وحافظ على كرامتها، ورقتها وجمالها، وجعل لها شخصيتها المستقلة، وألغى النظرة الدونية الشهوانية إليها.. ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، وأعلن حريتها واستقلالها، وخولها جميع الحقوق الإنسانية، واعترف بكفاءتها التى لا تقل عن كفاءة الرجل.. ولقد عرض القرآن الكريم لكثير من شئون المرأة فى أكثر من عشر سور من سوره، عُرفت إحداها بالنساء الكبرى (النساء)، وعُرفت الأخرى بالنساء الصغرى (الطلاق).. «وهذه المزايا -التى لم تصل إلى اكتسابها حتى الآن بعض النساء الغربيات- تشهد على أن من أصول الشريعة السمحاء، احترام المرأة والتسوية بينها وبين الرجل. بل إن شريعتنا بالغت فى الرفق بالمرأة، فوضعت عنها أحمال المعيشة، ولم تلزمها بالاشتراك فى نفقة المنزل وتربية الأولاد، خلافًا لبعض الشرائع الغربية التى سوَّت بين الرجل والمرأة فى الواجبات فقط، وميزت الرجل فى الحقوق»(١).

• فالمرأة فى التصور الإسلامى أحد شطرى النوع الإنسانى

يقول تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٤٥]، وأحد شقى النفس الواحدة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً.. ﴾ [النساء: ١]، ﴿ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٢٥]، «إنما النساء شقائق الرجال» [أبو داود]، ومن هنا فإن هناك مساواة كاملة بين الرجل والمرأة فى الأغلب الأعم من شئون الحياة، وكل منهما مكمل للآخر، متمم لرسالته، شريك له فى الحياة، فيما عدا بعض الخصوصيات المميزة لكل منهما فى تكوينه البدنى والنفسى، فيختص كل منهما بما تميز فيه.

(١) تحرير المرأة، قاسم أمين، سلسلة (المواجهة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

• وهى كالرجل تمامًا فى التكاليف الدينية:

«وقد جاء الخطاب الشرعى موحدًا يتناول كلا من الرجل والمرأة فى سائر الأمور التى يتساويان فيها كالتكليف بالأوامر والنواهى، وفى الحلال والحرام، والثواب والعقاب، وفى الحقوق والواجبات الإنسانية العامة»(١) .. ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ .. ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] -باستثناء بعض التكاليف، «ليس لعدم أهليتها للقيام بها، فلو فعلتها لم تُحرم ثوابها، إنما رخص لها ترك هذه التكاليف تخفيفًا عنها، وبُعدًا عن مزاحمة الرجل وتفريغًا لها فى القيام بأعباء أسرتها، وذلك كما فى صلاة الجمعة والجهاد، فلو أنها آثرت حضور الصلاة الجامعة أو دخلت صفوف المحاربة، ما كان عليها من حرج فى الدين»(٢).

• وللمرأة المسلمة حقوق مكتسبة قررها الإسلام

- فلها حق الميراث: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ٧]، ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ .. ﴾ [النساء: ١١].

- ولها ذمتها المالية المستقلة.. «فلها حق البيع والشراء، والإجارة والهبة، والإعارة والوقف، والصدقة والكفالة والحوالة والرهن، وغير ذلك من العقود والأعمال، ولها حق الدفاع عن مالها -كالدفاع عن نفسها- بالتقاضى وغيره من الأعمال المشروعة»(٣).

---

(١) ميثاق الأسرة فى الإسلام، موقع (اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل) الإلكترونى.

(٢) انظر: الحقوق التعليمية للمرأة، مرجع سابق.

(٣) مركز المرأة فى الحياة الإسلامية، د. يوسف القرضاوى، مكتبة وهبة، ٢٠٠٥م.

- **وهى تشارك الرجل فى الحياة الاجتماعية،** وتتقاسم معه المحن والشدائد والأزمات. . عن أم سلمة -رضى الله عنها- قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله، فلما كان يومًا من ذلك والجارية تمشطنى، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أيها الناس**» فقلت للجارية: استأخرى عنى. قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، فقلت: إنى من الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**إنى لكم فرط على الحوض، فإياى، لا يأتين أحدكم فيُذب عنى كما يُذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقًا**» [مسلم].

- **وهى تشارك الرجال فى ميدان القتال،** فتخرج للدفاع عن الوطن بغير إذن زوجها إذا انتُهكت حرمات البلاد. . والتاريخ الإسلامى ملىء بالأمثلة لنساء رفعن السيف فى وجوه الأعداء، وداوين جرحى الحروب، ونقلنْ الطعام والشراب للرجال، وكانت زوجات النبى ﷺ القدوة فى ذلك. . عن أنس رضى الله عنه قال: «لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ قال: «ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم وأنهما مشمرتان، أرى خدم سوقهن تنقزان القرب على متونهما ثم تفرغانها فى أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم» [البخارى].

- **وللمرأة المسلمة الحق فى اختيار الزوج،** وليس لوليها إرغامها على الزواج بمن لا تحب. . جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبى زوجنى ابن أخيه يرفع بى خسيسته. . فجعل الأمر إليها، فقالت: فإنى أجزت ما صنع أبى، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شىء» [أحمد].

- **ولها -كزوجة- حق المعاشرة باللطف والإحسان،** ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩]، وعلى الزوج أن يتحمل نفقتها طوال الوقت، يطعمها مما يطعم، ويكسوها مما يكسو، وأن يوسِّع عليها قدر توسعة الله عليه، ولا يحق للزوج -بأى حال- أن يهينها أو

يعنفها، بل لها مراجعته والاعتراض عليه إن أخطأ، فهذا حقها الذى قرره الإسلام.. يقول عمر رضى الله عنه: «ضجت علىّ امرأتى فراجعتنى، فأنكرت أن تراجعنى، قالت: ولِمَ تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل» [البخارى].

والحياة الزوجية فى الإسلام محاطة بضمانات تشريعية، تضمن -إن التزم بها الزوجان- عدم الاختلاف والفرقة، فالزوجان مطالبان بالبُعد عن نزغات العناد والإثارة وحب التغلب على الآخر، والزوج -على الخصوص- مطالب بمراعاة فطرة المرأة، يقول النبى ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إذا كره منها خلقًا رضى منها آخر**» [مسلم].

- **وللمرأة الخلع، كما للرجل الطلاق**، إن كرهته ولم تطق العيش معه، فعليها أن ترد عليه ما أخذته منه.

- **ولها الحق فى طلب العلم**، بل اعتبر الإسلام تعليم المرأة واجبًا شرعيًا فيما لا يتم تعبد الإنسان إلا به.. ولقد كان النبى حفيًا بتعليم المرأة وإرشادها، وقد خصص أوقاتًا لعظة النساء ومدارستهن، جاعلا ذلك واجبًا على المسلمين من بعده.. يقول جابر بن عبد الله رضى الله عنه: «قام النبى ﷺ يوم الفطر فصلى، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة، ثم خطب الناس، فلما فرغ نبى الله، نزل، وأتى النساء فذكرهن، وهو يتوكأ على يد بلال، وبلال باسطٌ ثوبه، يلقى فيه النساء الصدقة، قلت لعطاء: زكاة يوم الفطر؟ قال: لا، ولكن صدقة يتصدقن بها حينئذ، تلقى المرأة فتخها[1] ويلقين. قلت لعطاء: أحقًا على الإمام الآن أن يأتى النساء حين يفرغ فيذكرهن؟ قال: إى لعمرى، إن ذلك لحقٌ عليهم، ومالهم لا يفعلون ذلك؟» [مسلم].

ولقد كان للمرأة المسلمة إسهامات فكرية رائعة فى مجال العلوم، الشرعية وغير الشرعية، غير المرأة الغربية التى ظلت لقرون ملقاة خارج هذه الحلبة.

(١) الفتخ: الخاتم.

- **وللمرأة المسلمة الحق فى الإجارة**، وهى أقصى درجات المشاركة فى الحياة الاجتماعية، لقول النبى ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم**» [أبو داود].. لما أسر المسلمون أبا العاص بن الربيع -وكان زوج زينب ابنة النبى ﷺ وقد فرّق الإسلام بينهما- استجار أبو العاص بزينب، فوعدته خيرًا، وانتظرت حتى صلى النبى ﷺ الفجر بالمسلمين، ثم وقفت على بابها -فى المسجد- فنادت بأعلى صوتها: «إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع»، فقال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟**»، قالوا: نعم. قال: «**فو الذى نفسى بيده ما علمت بشىء مما كان حتى سمعت الذى سمعتم، المؤمنون يدٌ على من سواهم، يجير عليهم أدناهم، وقد أجرنا مَنْ أجارت**»، فلما انصرف النبى ﷺ إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبى العاص ما أخذ منه، ففعل، وقد عاد أبو العاص بعد ذلك إلى مكة، فأدى الحقوق إلى أهلها، ثم آب إلى المدينة مسلمًا، فرد عليه رسول الله زوجه رضى الله عنها.

- **ولها الحق فى العمل خارج البيت**، وفق ضوابط الإسلام، وبما يتفق مع فطرة المرأة ومصلحة المجتمع، وبما لا يخل بدور المرأة فى رعاية الأطفال، وبما لا يؤثر على الضوابط الأخلاقية للرجل والمرأة.

• ولها الأهلية الكاملة والشخصية المستقلة

- فالإسلام يقدر مسئولياتها.. ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢].. لما نزل قول الله تعالى لنبيه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صعد رسول الله ﷺ الصفا ونادى: «**يا بنى عبد المطلب، اشتروا أنفسكم من الله، يا صفية عمة رسول الله، ويا فاطمة بنت رسول الله، اشتريا أنفسكما من الله، فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئًا، سلانى من مالى ما شئتما**» [الطبرانى].

- **ويقدر حريتها**. . عن ابن عباس: «أن زوج بريرة كان عبدًا، يقال له مغيث، كأنى أنظر إليه يطوف خلفها ويبكى، ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبى ﷺ لعباس: «**يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثًا؟!**»، فقال النبى ﷺ لها: «**لو راجعته**»، قالت: يا رسول الله، تأمرنى؟ قال: «**إنما أنا أشفع**». قالت: لا حاجة لى فيه» [البخارى].

وحرية المرأة فى الإسلام مكفولة، مثل الرجل، بدءًا من حريتها فى اختيار عقيدتها وانتهاءً بحريتها فى إبداء رأيها دون خوف من مساءلة أو إقصاء. . لقد وقفت إحداهن معترضة على عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- حينما كان يخطب ويحض على عدم المغالاة فى المهور، فقالت له: كيف تدعو إلى هذا يا عمر والله يقول: ﴿**وَإِنْ أَرَدْتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾ [النساء: ٢٠]، فقال: «أصابت امرأة وأخطأ عمر».

- **وإذا كان للرجل القوامة على المرأة، فإنما هى بمثابة رئاسة**؛ لحسن التنظيم وضبط الأداء المجتمعى، ولا يقلل هذا من شأن المرأة وفضلها، فإن لها من القوامة ما يفوق قوامة الرجل، وما يناسب طبيعتها وتكوينها البدنى والنفسى، فهى مسئولة -مع زوجها- عن أمور البيت والأولاد، ولا تقل هذه المسئولية عن مسئولية الرجل، بل هى أعظم منها فى التأثير المعنوى والأخلاقى. . يقول النبى ﷺ: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذى على الناس راعٍ عليهم، وهو مسئول عنهم، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهى مسئولة عنهم، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**» [البخارى ومسلم].

- **وهى ذات شخصية قوية**

فهى لا تتشبه بالرجال؛ إحساسًا بالعجز والنقص، وتحافظ على عفتها وطهارتها، وتتستر فى لباسها وزينتها، ولا تصارع الحياة كما يصارع الرجل، تعتز بنفسها، وتتعهد عقلها بالعلم والمطالعة، بعيدة عن الخرافات، وفية لكل الناس، تجتنب أذاهم وغيبتهم وظن السوء بهم. . وهى فى كل أحوالها: «صادقة،

ناصحة، لا تغش ولا تخدع ولا تغدر، موفية بالوعد، لا تتبع العورات، ولا تخوض فى الأعراض، بعيدة عن الرياء، عادلة فى حكمها لا تظلم، تنصف من لا تحب، تجتنب السباب والكلام البذىء، لا تسخر من أحد، رفيقة بالناس، رحيمة، تعمل على نفعهم، ودفع الضر عنهم، كريمة، سخية، حليمة، متسامحة، لبقة، تأخذ بآداب الإسلام فى الطعام والشراب»(١).

وهى على هذه الصفات يُعتد برأيها ويؤخذ بمشورتها.. كما فعل النبى ﷺ فى صلح الحديبية، عندما أخذ بمشورة أم سلمة -رضى الله عنها- فانحلت العُقَد والتحم الصف المسلم، بعدما ظهرت بوادر الفرقة والنزاع.

• وهى بريئة من كونها المسئولة عن عصيان آدم عليه السلام لربه:

وقد نفى الإسلام عنها النجاسة التى تحدثت عنها الكتب السابقة.. جاء فى الإصحاح الثانى عشر من سفر اللاوين: «وكلم الرب موسى قائلا: «إذا حملت امرأة وولدت ذكرًا تكون نجسة سبعة أيام، كما فى أيام طمث علتها».

• ولا تقوم الدعوة الإسلامية إلا بجناحيها: الرجل والمرأة

- **لقد كانت خديجة رضى الله عنها أول من آمن من العالمين**، وقد بذلت كل ما تملك فى سبيل نصرة دين الله.. يقول النبى ﷺ: **«آمنت بى حين كفر بى الناس، وصدقتنى حين كذبنى الناس، وأشركتنى فى مالها حين حرمنى الناس»** [أحمد] .. لما نزل الوحى على النبى ﷺ، وقع له خوف واضطراب شديد «فرجع حتى دخل على خديجة، فقال: زملونى، زملونى، فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: أى خديجة مالى؟ وأخبرها الخبر، قال: لقد خشيت على نفسى، قالت: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، والله إنك لتصل الرحم،

(١) شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام فى الكتاب والسنة، د. محمد على الهاشمى، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية، ١٤٢٥هـ.

وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتُكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق» [مسلم]. . ثم انطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، الذى آزر النبى ﷺ وطمأنه وبشره. .

- **وكانت سمية بنت خياط أول شهداء الإسلام**، صبرت وثبتت، طمعًا فى وعد النبى ﷺ: **«صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»** [الطبرانى والحاكم].

- **وشاركت المرأة المسلمة فيما تعرض له المسلمون من محن**، مشاركة أساسية، فها هى أسماء بنت أبى بكر تضرب المثل فى تحمل المشاق والجرأة فى الحق، والثبات فى الشدائد، بالمساهمة فى نجاح خطة هجرة النبى ﷺ، والأمر نفسه فعلته أخواتها اللاتى هاجرن الهجرتين إلى الحبشة، أو اللاتى شهدن بيعة العقبة، أو الأنصاريات اللاتى استقبلن المهاجرين والمهاجرات استقبالا ضرب به القرآن المثل فى سلامة الصدر والإيثار. . ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩].

• وهى متساوية مع الرجل فى الدم

والحكم فيهما واحد إذا وجب القصاص، كما يتساويان بالتالى فى الدية، فعبارة القرآن الكريم فى الدية عامة مطلقة لم يخص الرجل بشىء منها عن المرأة. . ﴿**وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلا أَن يَصَّدَّقُوا . .**﴾ [النساء: ٩٢]. . «وقد أجمع الفقهاء على أن هذه الآية قد دخل فيها حكم الرجل والمرأة، فوجب أن الحكم فيها ثابت بالمساواة بينهما فى الدية»[1].

(١) المرأة والأسرة بين التغريب والإسلام، مرجع سابق.

أزهى عصور المرأة

نالت المرأة، على مر العصور الإسلامية الزاهرة -قبل أن يتسلل العجز والتخلف إلى ديار المسلمين بفعل الأنظمة العلمانية المستبدة وبفعل بعض الجهال ممن يفسرون الدين بأهوائهم- مكانة سامقة لم تنلها امرأة فى حضارة من الحضارات الأخرى، حيث حصلت على منزلة اجتماعية وتقدير كبيرين، مما دفع قاسم أمين (محرر المرأة)، إلى الاعتراف بهذا الفضل الذى أسبغه الإسلام على نسائه، متفوقًا بتشريعاته التى أُنزلت منذ أربعة عشر قرنًا، على التشريعات الغربية الحديثة التى تفتخر بتفجيرها ثورة الحريات الكاملة والحقوق التامة للمرأة الأوروبية..

يقول قاسم فى كتابه (تحرير المرأة): «سبقت الشريعة الإسلامية كل شريعة أخرى فى مساواة المرأة بالرجل، فأعلن الإسلام حريتها واستقلالها يوم كانت فى حضيض الانحطاط عند جميع الأمم، ومنحها كل حقوق الإنسان، واعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل فى جميع الأحوال المدنية، من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها، وهذه المزايا لم تصل إليها حتى الآن بعض النساء الغربيات»(١).

لقد تبوأت المرأة المسلمة مكانتها فى الدولة الإسلامية وبدأت فى تحصيل حقوقها كاملة، منذ بدأ النبى ﷺ الجهر بدعوته فى مكة، فكان ذلك التاريخ نقلة حضارية للمرأة عامة وللمرأة فى الجزيرة العربية خاصة. فبعد أن كانت البنت تعد جزءًا من ثروة أبيها والزوجة جزءًا من ثروة زوجها، وبعد أن كان ابن الزوج يرث أرملة أبيه، صارت المرأة ذات شخصية مستقلة ومتميزة، لها دورها الدعوى والاجتماعى والسياسى والتفاوضى!!، بل صارت عاملة ذات صنعة، وتاجرة تنفق من تجارتها

(١) تحرير المرأة، مرجع سابق.

على زوجها المعوز وأولادها الصغار. . فها هي ريطة بنت عبد الله الثقفية -زوجة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه- تأتى إلى النبى ﷺ وتقول له: «إنى امرأة ذات صنعة، فأبيع وليس لأولادى ولا لزوجى مال فيشغلوننى عن الصدقة، فهل لى فى النفقة عليهم أجر؟، فيقول النبى ﷺ: «**لك فى ذلك أجر ما أنفقت عليهم**».

• النبى ﷺ أرحم الخلق بالمرأة

وبعد أن ساد العنف ضد النساء وعُرفت به الجاهلية، وبعد أن حُرمت بناتٌ كثيراتٌ حق الحياة على يد العرب الأفظاظ، جاء الإسلام ليلفظ تلك الأساليب غير الإنسانية، متوعدًا فاعليها بالعذاب الأليم، ضاربًا المثل بتشريعاته ووصاياه فى الرفق بالمرأة، ناشرًا ظلاله الوارفة حولها. . فكان النبى ﷺ أرحم الخلق بالمرأة عمومًا، وبأزواجه وبناته خصوصًا. .

- كان ﷺ يتجوز فى صلاته عندما يسمع بكاء صبى فى المسجد، رفقًا بأمه.
- وكان يسمع الحداء، فيوصى الحادى بأن يخفف، رفقًا بالقوارير -أى النساء.
- ويشفق على أسماء بنت أبى بكر -زوج الزبير بن العوام- لما رآها تحمل النوى، فينيخ لها راحلته ليحملها خلفه.
- ويأذن لعثمان بن عفان فى التخلف عن غزوة بدرٍ، ليرعى زوجه المريضة.
- ويأمر رجلا أن يدع الخروج للجهاد، ليصحب زوجه فى رحلة الحج.
- وعندما كانت تأتيه فاطمة -رضى الله عنها- كان يأخذ بيدها، ويقبّلها، ويُجلسها فى مكانه الذى يجلس فيه.
- وتقول عائشة -رضى الله عنها-: «ما ضرب رسول الله امرأة له قط» [النسائى].
- وعن أنس، رضى الله عنه: «خرجنا إلى المدينة قادمين من خيبر، فرأيت النبى ﷺ يجلس عند بعيره، فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبتيه حتى تركب» [البخارى].

- ولقد حصلت المرأة العربية -لأول مرة- على حريتها وحقوقها السياسية، يشهد بذلك موقفه ﷺ فى بيعة العقبة، واعترافه بالدور الاجتماعى للمرأة، وكمال أهليتها التى تؤهلها لأخذ البيعة، فلم يشأ أن يبايع الرجال نيابة عن أزواجهن وأخواتهن وبناتهن، كما يشهد بذلك موقفه فى بيعة النساء عقب فتح مكة، إذ بايع «٦٠٠» صحابية، وقد دار حوار فريد بينه وبين هند بنت عتبة -رضى الله عنها- يؤكد فضل هذا الدين على العالمين، وشفقته بالمرأة، ودعم ثقته بها..

• المرأة داعية وعالمة وفقيهة

كان من نتاج هذه الثورة التاريخية الشاملة فى حقوق الإنسان والمرأة على وجه الخصوص، أن اشتدت المرأة فى إثبات ذاتها للحاق بالرجل، فخرجت إلى المجتمع داعية، ومجاهدة، وعالمة، وشاعرة، وفقيهة، فلم تترك مجالا للرجل إلا نافسته فيه، وانتفت عنها صفات النقص والعجز.. فكانت عائشة رضى الله عنها أعلم بالإسلام وفرائضه من كثير من الصحابة.. عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه: «ما أُشكل علينا -أصحابُ رسول الله ﷺ- حديثٌ قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علمًا».. وعن مسروق رضى الله عنه: « نحلف بالله، لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عائشة عن الفرائض».. وعن عروة بن الزبير: «ما رأيت أحدًا أعلم بشعر ولا بفقه ولا بطب من عائشة».

وكانت سمراء بنت نهيك الأسدية، التى أدركت رسول الله ﷺ وعمرت.. تمر فى الأسواق، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتضرب الناس على ذلك بسوط معها.

وأم شريك غزية بنت جابر بن حكيم القرشية العامرية التى أسلمت، ثم جعلت تدخل على نساء قريش، فتدعوهن وترغبهن فى الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا لها: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم.. وبقية قصتها معروفة فى كتب السيرة والتراجم، حيث تعرضت للحبس والتعذيب، ثم أظهر الله لها الكرامات وأسلم القوم على يديها.

إن المرأة المستضعفة المستكينة التى تعامَل معاملة السفهاء، لم يعد لها وجود فى المجتمع المسلم الذى حمى ظهرها وقوّى شوكتها.. إنها تنصح الحاكم وتغلظ له القول، وتغشى مجالس الرجال من أجل إسداء النصيحة والتذكير بالله..

التقت خولة بعمر بن الخطاب يومًا، وهو خارج من المسجد، وبصحبته الجارود العبدى، فسلم عليها عمر، وهو أمير المؤمنين، فقالت له: يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميرًا فى سوق عكاظ، ترعى الضأن بعصاك، فاتق الله فى الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشى الفوت، فقال الجارود: قد أكثرتِ على أمير المؤمنين أيتها المرأة، فقال عمر: دعها، أما تعرف؟ هذه خولة التى سمع الله قولها من فوق سبع سموات، وعمر أحق والله أن يسمع لها.

ولقد رأينا من الصحابيات الكريمات -رضى الله عنهن جميعًا- من توقف نفسها لخدمة دين الله، فيسلم على يديها الرجل والرجلان.. فها هى أم سليم بنت ملحان، تزوجت مالك بن النضر فأسلم على يديها، فولدت له أنس بن مالك، ثم قُتل، فخطبها أبو طلحة قبل أن يدخل فى الإسلام فقالت له: أما إنى فيك راغبة، وما مثلك يُرد، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فذلك مهرى لا أسألك غيره.. فأسلم أبو طلحة وتزوجها. قال ثابت: فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم: (الإسلام).

إن من يقللون من شأن المرأة، مدعين كثرة كلامها وثرثرتها، وعجزها فى مواجهة الشدائد والأزمات، يرد عليهم الإسلام بمواقف بناته اللاتى فهمن عقيدته فهمًا صحيحًا، فصرن أكثر ثباتًا من بعض الرجال وأوفر منهم عقلا وحكمة.. فها هى أم الفضل بنت الحارث (زوجة العباس بن عبد المطلب)، كانت هى وزوجها العباس وأبناؤها، يكتمون إسلامهم بأمر من رسول الله ﷺ، ليتعرفوا على أسرار المشركين بمكة، ويوافوا بها رسول الله ﷺ. ولما انتصر المسلمون على المشركين فى

بدر، أوصت أم الفضل أولادها ومولاها أبا رافع بأن يكتموا فرحتهم بهذا الانتصار. . لكن مولاها أبا رافع لم يستطع ذلك، ولم ينج بالتالى من بطش أبى لهب الذى كان شديد الحقد والكراهية لمحمد وصحبه، فصب جام غضبه على أبى رافع، وضربه على مرأى من سيدته أم الفضل. . هنالك انقضت على أبى لهب صائحة: استضعفته إذ غاب عنه سيده؟!. . وضربته بعمود من أعمدة البيت فشجت رأسه شجة قاتلة، لم يعش بعدها سوى سبع ليالٍ.

تحطيم أسطورة الذكر!!

لقد حطم الإسلام أسطورة (الذكر) الأنانى، الذى طغى على (الأنثى) وحرمها حق الحياة الكريمة، مستغلا قوته العضلية وإمكاناته الجسدية. . حيث لفت المشرع الأنظار إلى أن الحياة لا تكون إلا بالطرفين: الرجل والمرأة، ولا تطيب إلا بالمعاملة الطيبة القائمة على الحب والاحترام، والمودة والسكن، وهو ما شجع المرأة المسلمة على المطالبة بجميع الحقوق التى للرجال، ولِمَ لا وهن يحملن أثقالا لا يحملها الرجال ويقمن بأعباء تفوق قدرات الرجال؟. . فها هى أسماء بنت يزيد بن السكن تتقدم بهذه الشكوى إلى النبى ﷺ مطالبة بحق أخواتها فى المساواة بالرجال، لم يكن هذا مطلبها وحدها، بل مطلب أخواتها الصحابيات. . لقد أتت النبى ﷺ فقالت: «بأبى أنت وأمى يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، وإنى رسول مَنْ ورائى من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولى وعلى مثل رأيى، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك واتبعناك، وإنا معشر النساء مقصورات مخدرات، قواعد البيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم، وإن معاشر الرجال فُضِّلوا علينا بالجُمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والجهاد فى سبيل الله، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وغزلنا أثوابهم، وربينا أولادهم، أفنشاركهم فى هذا الأجر والخير يا رسول الله؟. . فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه، ثم قال: «**هل سمعتم مقالة**

امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه؟» فقالوا: بلى يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا. . فالتفت رسول الله ﷺ إليها فقال: «انصرفى يا أسماء، وأعلمى مَنْ وراءك من النساء، أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها لموافقته، يعدل كل ما ذكرت للرجال». . فانصرفت أسماء وهى تهلل وتكبر، استبشارًا بما قال لها رسول الله ﷺ.

إن المرأة فى المجتمع الإسلامى، كيان محترم يستحيل الاستغناء عن وجوده ضمن الحياة العامة لهذا المجتمع، وهى ليست عورة كما يدّعى بعض الجهلاء ممن ابتلاهم الله فى عقولهم، فحرّموا -على غير شرع الله- خروج المرأة، واختلاطها بالمجتمع على الطريقة الإسلامية السليمة، فحرموا المجتمعات الإسلامية بتلك الإجراءات التعسفية الخير الكثير، وضيقوا ما وسعه الله على الناس. . «عن سهل بن سعد قال: كانت امرأة تجعل فى مزرعة لها (سلقًا)، فكانت إذا جاء يوم الجمعة تنزع أصول السلق، فتجعله فى قدر، ثم تجعل عليه قبضة من شعير بعد أن تطحنه، فتكون أصول السلق عرقة -أى مرقة- قال سهل: كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرب ذلك الطعام إلينا، فكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك، ولم يكن فى الطعام لحم ولا دهن» [البخارى].

وما انتكست المرأة إلا عندما خالف المسلمون الشرع، ومضى جهلاؤهم فى تشويه عقل المرأة، وتفكيرها، وعدُّوا رأيها خسرًا، ومشورتها نقصًا فى رجولتهم، فقال بعضهم (شاوروهن وخالفوهن)، ونسوا أن النبى ﷺ أخذ بمشورة أم سلمة -رضى الله عنها- فى وقت وصل فيه التنازع بين المسلمين إلى درجة شديدة، فكان رأيها بردًا وسلامًا على الصف المسلم، الذى آب إلى ربه وعاد معتذرًا لنبيه.

• شجاعة أدبية نادرة

إن الشجاعة الأدبية النادرة التى عُرفت عن المرأة المسلمة، إنما صنعها ذلك الدين العظيم، الذى ثبَّت قدمها وأولاها الرعاية والاهتمام التامّين، فهى فى مأمن من تسلط الرجل وعنفه، وهى لم تعد تلك الدمية التى يستخدمها الرجل فى

أغراض التلذذ والمتعة ثم يلقيها بعد أن يشبع منها. . إنها الآن تفتخر بكفاءتها وتضحياتها ورجاحة عقلها. .

عن أبى بردة عن أبى موسى رضى الله عنه قال: بلغنا مخرج[١] النبى ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى، أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم، فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومى. فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبى طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا. فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر، وكان أناس من الناس يقولون لنا (يعنى أهل السفينة): سبقناكم بالهجرة. ودخلت أسماء بنت عميس وهى ممن قدم معنا، على حفصة زوج النبى ﷺ زائرة -وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر- فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها. فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس. قال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم. قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم. فغضبت وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم. وكنا فى دار أو فى أرض البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك فى الله وفى رسول الله ﷺ. وايم الله[٢] لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ. ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبى وأسأله، والله لا أكذب وأزيغ[٣] ولا أزيد عليه. فلما جاء النبى ﷺ قالت: يا نبى الله إن عمر قال كذا وكذا. قال: **فما قلت له؟** قالت: قلت له كذا وكذا، قال: **«ليس بأحق بى منكم. وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان»**. قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونى أرسالا يسألونى عن هذا الحديث، ما من الدنيا شىء هم به أفرح ولا أعظم

(١) مخرج النبى ﷺ: أى هجرته إلى المدينة.

(٢) وايم الله: قَسَمٌ.

(٣) أزيغ: أميل.

فى أنفسهم مما قال لهم النبى ﷺ. قال أبو برة (راوى الحديث): قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث منى [البخارى ومسلم].

- **المرأة الفدائية**

إن خروج المرأة المسلمة للجهـاد، يعد أعلى درجات المساواة بين الرجل والمرأة، فإذا قلنا إن هذا الخروج وقع والمسلمون حديثو عهد بجاهلية كانت تقتل المرأة خوفًا من وقوعها فى الأسر -فإن هذا الأمر يدل بشكل واضح وصريح على أن الإسلام مارس حربًا شرسة لإنصاف المرأة واسترداد حقوقها، وهذا السلوك الإسلامى يلجم كل من يتقـول على هذا الدين مدعيًـا أنه أهان المرأة أو أنه هضم حقوقهـا. . لقد شاركت صحابيات كثيرات فى حروب عدة، منهن: عائشة، نسيبة بنت كعب، أم سليط الأنصارية، أم سليم بنت مـلحان، أم حرام بنت ملحان، الربيع بنـت معوذ ابن عفراء، أم عطية الأنصارية، أسـماء بنت يزيد بن السكن، حمنة بنت جحش، صفية بنت عبد المطلب، أمامة بنت أبى الحكم، أم حكيم بنت الحارث.

ولقد عرف الإسـلام المرأة (الفدائية) التى تضحى بروحها فى سـبيل عزة الدين وكرامـة المسلمين، فحـملت من أجل ذلك السلاح، كالرجـل تمامًا، مدافـعة عن الحق، معرضة نـفسها للهلاك. . قالت أم عـمارة: قد رأيتنى وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ، فما بقى إلا نفير مـا يتمون العشرة، وأنا وابناى وزوجى بين يديه نذب عنه والناس يمرون به منهزمين، ورآنى لا ترس مـعى، فرأى رجلا موليًـا معه ترس، فقال لصـاحب الترس: «**ألق ترسك إلى مَنْ يقاتل**»، فألقى ترسـه فأخذته، فجعلت أتتـرس به عن رسول الله ﷺ، فيقبل رجلٌ على فرس فـضربنى وتترست له، فلم يصنع سيـفه شيئًا، وولى، وأضـرب عرقوب فرسه، فـوقع على ظهره، فجعل النبى ﷺ يصيح: **يا ابن أم عمارة، أمك، أمك**. قالت: فـعـاونى عـليه حتى أوردته شعوب»[1].

---

(١) الشعوب: الموت.

• عصور زاهرة

وإذا تركنا العصر النبوى وانتقلنا إلى العصور الإسلامية الأخرى الزاهرة، لمسنا نبوغ المرأة وبروزها فى جميع المجالات الدينية والدنيوية، فصارت أكثر انفتاحًا على المعارف المختلفة، خصوصًا بعد اتساع رقعة الخلافة الإسلامية وازدهار حضارتها التى حفلت بشتى أنواع العلوم، تقابلها نهضة كبيرة فى العلوم الدينية المختلفة.. فكان للمرأة المسلمة دور كبير فى رواية الحديث النبوى، وكان منهن عالمات فى المسائل الشرعية وأمور الفقه، وكان منهن الأديبات، والملمات بأخبار العرب وتاريخ الشعوب، بل منهن من وصلت إلى منزلة كبيرة فى تخصصها، مثل سكينة بنت الحسين بن على التى عُرفت بأنها سيدة الناقدين، حيث يجتمع إليها الشعراء والأدباء فيحتكمون إليها فيما ينتجون من آثار.

وقد زاحمت المرأة المسلمة، الرجال فى طلب العلم، وأحاطت بجميع فروع العلوم، وأتقنتها أيما إتقان، ولم تعد تختلف عن الرجل فى هذا الجانب، حيث لم تُحرم من فرص التعليم التى كانت تعقد حلقاتها عادة فى المساجد أو فى بيوت العلماء.

وتعد الدولة العباسية، أكثر من عنى بتعليم النساء، حتى ظهرت نسوة يحملن العلم ويدرسنه، قل أن تجد مثلهن فى أوروبا الآن، من حيث الرجاحة والإتقان..

أما أهم ما يميز المرأة المسلمة فى تلك العصور، فهو مبادراتها فى ميدان العمل العام، بدعمها للمبرات العامة، وسدها لشتى الثغور الاجتماعية، وبروزها فى بذل الخير وتفريج الكربات.. ولقد أسهمت مساهمة فعالة فى مجال الفتوحات الإسلامية، واكتتبت بمالها وحليها وشعرها لمساعدة الجيوش.. وما من قطر إسلامى إلا وبه أثر أو سبيل أمرت امرأة بإنشائه على نفقتها الخاصة.

«وكفاهن فخرًا ما قامت به السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد، فإنها كانت من أفراد الدهر، فقد أنفقت أموالها الطائلة بغير حساب، فى تحصين الثغور،

والحصون، ثم نظرت إلى ما يلاقيه الحجاج من المشاق فى الذهاب من العراق إلى بيت الله الحرام، فأرسلت المهندسين وأمدّتهم بالمال والعمال، فقسموا الطريق بين مكة وبغداد إلى خمس عشرة مرحلة، وأنشأوا فى كل واحدة منها بئرًا أو اثنتين، وأنشأوا الصهاريج والحياض لاختزان مياه الأمطار، وشيّدت فى بعض المراحل قصورًا وقبابًا ومساجد بحسب الحاجة، واستمر العمال والمهندسون يعملون على جرّ الماء إلى مكة بلا مبالاة بالنفقات الباهظة، وهى باقية إلى الآن، وتعرف «بعين زبيدة»، وحين عرضت عليها مصاريف هذه العين ألقت الحساب فى النهر وقالت: «تركنا الحساب ليوم الحساب»[1].

(١) تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل، محمد الغزالى، دار الشروق ، ١٩٩٦م.

شبهات يثيرها خصوم الإسلام حول معاملته للمرأة

يثير خصوم الإسلام، عـددًا من الشبهات حول معاملته للمرأة، فيـتهمونه بمنعها من التفكيـر، وتقييد حـريتها، وحـرمانها من التعلـم والعمل، وأن شريعتـه تسمح بضـرب المرأة وإهانتهـا. . وأن الطلاق الإسلامى والتـعدد يعـدان ظلمًا بينًا للـمرأة وتعسفًا ينتهك إنسـانيتها، ويتخذون من حديث (ناقصـات عقل ودين) فرصة لاتهام الإسلام بتسفيـه المرأة وتقليل شأنها، كما يعتبرون ميـراث المرأة المسلمة تمييزًا للرجل عليها وإجـحافًا بها. . إلخ تلك القضايـا التى يثيرونها؛ طمعًا فى انتـقاص الإسلام وتنفير الناس منه، ورغبة فى تأليب المرأة -التى هى نصف مجتمعاته أو يزيد- عليه.

وفى السطور التالية نرد على تلك الشبهات، مـستندين إلى النصوص الصحيحة التى تبرئ ساحة الإسلام من تلك المغالطات:

١- الحجاب قيدٌ على تفكير المرأة وحريتها

يدّعى خصـوم الإسلام أن ديننا يقيـد حرية المرأة، ويضع قيـودًا على تفكيرها، بفرض الحجاب، الذى يعوق إمكاناتها ويجعلها فريسة الجهل.

● **وللرد على هؤلاء نقول:**

يحرص الإسـلام على إقامة مجـتمعات آمنـة من الفتنة، خالية من الاخـتلاط الماجن والفوضـى الجنسية، التى تحـول الإنسان من مـخلوق كرّمـه الله على سائر مخلوقاته، إلى كائن شهوانى مشوه لا يشغله سوى الوطء والسفاد.

وفى سبـيل ذلك قنن الشرع ما يظهـر وما يخفى من عورات الرجـال والنساء، وحظر الأقـوال والأفعـال التى تشـيع الفـاحشـة بين الناس وتحـرض على الرذيلة والفـسق، فمنع العـرى، وسد منافـذ الفتن التى يأتى غـالبهـا عن طريق التبـرج

والسفور.. ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وأمر بغض البصر للرجل والمرأة على السواء.. ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣٠، ٣١]، «يا على، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة» [الترمذى].

وقد ألزم الإسلام المرأة، الحجاب باعتبارها فتنة الرجل، ولأن غريزة التبرج وإظهار الزينة من أحب الأشياء إلى قلب المرأة، فهى راغبة -بفطرتها- فى إظهار محاسنها ومفاتنها للرجال، والرجل بطبيعته ميال إلى المرأة منجذب لها رهن بإشارتها.

إن الإسلام عندما يفعل ذلك إنما يحمى مجتمعاته من تبرج الجاهلية التى تكتوى المجتمعات الأخرى بنارها، كما أنه يسمو بالمسلمة، راغبًا ألا تعود بنفسها إلى عهد الرقيق اللاتى كن يعرضن مفاتنهن فى أسواق النخاسة، وهو يحميها أيضًا من الوقوع فى أيدى الذئاب الذين يتربصون بفرائسهم ليفتكوا بها.

والإسلام ليس بدعًا بين الأديان فى هذا الأمر، فقد كان الحجاب معروفًا فى عهد إبراهيم عليه السلام، وعرفته سائر الأديان، بل عُرف البرقع الذى يغطى الوجه كله.. كما أن ستر العورة فطرة أصيلة، أوجدها الله فى الإنسان.. ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

يشترط الإسلام فى زى المرأة أن يستر جميع بدنها عدا الوجه والكفين، وأن تلتزم المرأة الاعتدال فى زينتها، وأن يكون لباسها مما تعارف عليه الناس فى مجتمع المسلمين، وأن يكون مخالفًا -فى مجموعه- للباس الرجال.

وليس فى الإسلام زى محدد للمرأة، لكنه يشترط فى ثيابها ألا تشف ولا تصف، وأن تكون فضفاضة، وألا تكون لباس شهرة، وألا تكون متعطرة.

وفيما عدا ذلك فللمرأة المسلمة ممارسة حياتها، كواحدة من المجتمع السوى الذى لا يعرف إفراطًا ولا تفريطًا.. «فالإسلام لا يعرف الغلو فى حجب النساء الذى عُرف فى بعض البيئات والعصور الإسلامية، فهو من التقاليد التى استحدثها الناس احتياطًا منهم، وسدًا للذريعة فى رأيهم، وليس مما أمر به الإسلام»(١).

• حجج أعداء المرأة المسلمة

إن فريقًا من المعادين للإسلام والمسلمين، من اليهود والصليبيين وصبيانهم من العلمانيين وغيرهم، ينكرون على المرأة المسلمة حجابها مدَّعين أنه يحجب تفكيرها مثلما يحجب مفاتنها.. وهؤلاء يريدونها مذبحة للأعراض والحرمات، وغرضهم من ذلك هدم مجتمعاتنا المسلمة التى استعصت على محاولاتهم لقرون.

إن الحجاب لا يمنع المرأة من الخروج من بيتها، ولا يمنعها من العمل، ولا يمنعها من تلقى العلم فى أعلى درجاته؛ لأنه ليست هناك علاقة بين الحجاب والجهل ولا بين السفور والعلم.. والذى فرض الحجاب أراد به تحرير المرأة من قيود وجهالات كثيرة، فهو رمز لحرية الفكر، وأداة لصيانة المرأة، ونور فوق رأسها يرمز إلى أنها خرجت به من ظلمات الجهل إلى أنوار العفة والفضيلة.

لقد أباح الإسلام للمرأة أن تشارك فى الحياة العامة، وأن تدلى برأيها فى كل أمر من أمور المسلمين، فهى ليست محصورة فى البيت لا تبرحه، بل لها أن تختلط بالرجال وأن تتحدث معهم وتشاركهم أعمالهم، بضوابط الشرع التى حددها العلماء، بغض البصر، وأن تلتزم اللباس المحتشم، وأن يكون كلامها وقورًا بعيدًا عن الإغراء والإثارة، وأن تتحلى بالحياء فى مشيها وحركاتها، وألا تختلى برجل، وأن تحرص على أن تكون لقاءاتها بالرجال فى حدود الحاجة وبما يوجبه العمل المشترك.

وإذا كان الإسلام قد وضع خطوطًا فاصلة فى مجتمعاته بين الجنسين، فإنه فى المقابل يضرب بيد قوية على من يلغى هذه الفواصل ويتعدى حدودها؛ لأن هذا

(١) فتاوى معاصرة، د. يوسف القرضاوى، دار القلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

يعنى انحلالا أخلاقيًا، ومشكلات اجتماعية لا حصر لها، وأمراضًا وطواعين فتاكة، وبهذا نصير كالغرب الذى يحاصره الموت والعذاب من كل مكان وما هو بميت.

وإذا كان خصوم الإسلام ومن يتبعونهم من المنافقين يريدونها إباحية مطلقة، تقضى على الفضيلة وتشيع الرذيلة، فإن هناك -فى المقابل- فريقًا من المسلمين يضيقون على المرأة ويريدون حبسها، بما يتنافى مع ما جاء به الإسلام وبما يشوه الفطرة ويوقع الخلل فى توازن المجتمع، فمنهم من يصر على عدم إخراج المرأة من بيتها، إلا لزوج أو لقبر!!، ونسوا أو تناسوا ما جاء به القرآن، وما حفلت به السنة المطهرة من صور ومشاهد لنسوة خرجن للعمل والخدمة واختلطن بالرجال.. ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٣- ٢٦].

بل احتفى القرآن بامرأة (ملكة سبأ) كانت حاكمة، وقد اعتبرها مثلا لمكانة المرأة وموقعها المتميز داخل المجتمع.. ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٢-٣٤].

ومنهم من يرى صوتها عورة، وهذا لا يستند إلى دليل صحيح فى الإسلام، فالنساء على عهد النبى ﷺ حادثن الرجال وسألنه فى أمور الدين، وذهبن إلى الأسواق، ومارسن الأنشطة، بل كانت منهن راويات للحديث،

وشاعرات وفقـيهات، ولم نسمع عن نهى فيـما فعلن. إن المحظور على المرأة المسلمـة، هو ألا تخضع بالقـول، ولا ترقق كلامـها، ولا تلين بالحـديث مع الرجال الأجانب، وهذا لـيس عدم ثقة بالنساء وإنما حمـاية لهن ممن لا خلاق لهم من الرجال.

ومنهم من يعتبر وجه المرأة عـورة.. وهذا قول يحتاج إلى دليل، فلم يرد نص صـريح من القرآن ولا فى بيـان واضح من السنة يوجب سـتر الوجـه، ولو صح وجوبه لانتشر ولأصبح ممـا يُعلم من الدين بالضرورة، «لأن كشف الوجه من سنن الحياة الإنسانية، والناس بحاجة -فى كل وقت- أن تكشف المرأة وجهها، للتعرف على شخصيات المخـاطبين وأحوالهم، ولتشجيع المرأة على المشاركة الاجـتماعية، ولتحقيق الرقابة المجتمعية، ولتخفيف حدة الفتنة، ولتنشيط حياء المرأة، كما أن فى ذلك قدرًا من الصحة النفسية»(١).

وقد كان سفور المرأة هو الغالب فى مجتمع المسلمين على عهد النبى ﷺ، فقد أمر الخاطب بأن ينظر إلى مـخطوبته، وكانت المسلمات يخرجن للصـلاة كاشفات الوجوه.. عن عـائشة رضى الله عنها: «كـن نساء المؤمنين يشهـدن مع رسول الله صلاة الفجـر متلفعات (متـغطيات الرأس) بمروطهن (ثوب غير مـخيط) ثم ينقلبن (يرجعن) إلى بيوتهن حيث يقضين الصلاة، لا يعرفهن أحد من الغلس (ظلمة آخر الليل مع نور الصباح)» [البخارى ومسلم].

بل لقد أذن النبى ﷺ إذنًا صريحًا بأن تبدى المرأة وجههـا وكفيها.. عن عائشة رضى الله عنها، أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسـول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنـها وقال لها: «**يا أسمـاء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا**- وأشار إلى وجهه وكفيه» [أبو داود].

(١) انظر: تحرير المرأة فى عصر الرسالة، عبد الحليم محمد أبو شقة، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

٢- الإسلام يمنع المرأة من العمل

يدّعى خصوم الإسلام، أنه يمنع المرأة من الخروج والعمل، ويرغمها على البقاء فى البيت خادمة للرجل، أسيرة لديه.

● **وللرد على هذه المغالطة نقول:**

لا يوجد نص شرعى صحيح الثبوت، صريح الدلالة، يحرّم عمل المرأة المسلمة خارج بيتها، خصوصًا أن الله خاطبها كما يخاطب الرجل، فهى نصف المجتمع الإنسانى، ولا يُتصور أن يعطل الإسلام نصف مجتمعه فيصيبه بالشلل والجمود.

لقد عملت بعض أمهات المؤمنين، وتصدقن بما كسبن من هذه الأعمال.. تقول عائشة رضى الله عنها: «كانت زينب بنت جحش تسامينى فى المنزلة عند رسول الله ﷺ ولم أر امرأة قط خيرًا فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تصدق به وتقرب إلى الله».. وكانت زينب -رضى الله عنها- امرأة صناعة باليد، كانت تدبغ وتخرز وتتصدق فى سبيل الله.

بل قد يكون عمل المرأة فى بعض الأحيان، مستحبًا أو واجبًا، وهناك أدلة من القرآن والسنة لتلك المحاولات، فابنتا شعيب خرجتا للعمل لشيخوخة أبيهما، وأسماء ذات النطاقين عاونت زوجها الزبير فى سياسة فرسه.. أو كأن تكون المرأة أرملة أو مطلقة ولا مورد لها ولا عائل، وهى قادرة على نوع من الكسب يكفيها ذل السؤال، أو قد يكون المجتمع نفسه بحاجة إلى عمل المرأة فى تخصصات بعينها، لا تصلح فيها إلا المرأة.

إلا أن الإسلام يشترط على المرأة حال خروجها للعمل خارج بيتها، أن يكون هذا العمل مشروعًا فى ذاته، أى لا يفضى إلى ارتكاب حرام، وأن تلتزم بآداب المسلمة عند الخروج من البيت، فى اللبس والمشى والكلام والحركة، وألا يكون عملها على حساب رعاية زوجها وتربية أبنائها.

• العمل الأهم

على أن عمل المرأة المسلمة الأهم والأعظم، هو تربية أبنائها، والانشغال بهم، وهذه رسالة جليلة وعمل فريد لا تقوم به إلا المرأة، فعلى عملها هذا يتوقف مستقبل الأمة، وبهذه الوظيفة تسعد الأسر، وتنجو الشعوب من مهلكات تحيق بها إن أهملتها أو فرطت فيها.

لقد خرجت المرأة الغربية للعمل مضطرة؛ لأنها لا تجد من ينفق عليها ويقوم بكفالتها ورعاية أبنائها، فهى تعمل فى وظائف الرجل، الرفيعة منها والوضيعة، خوفًا من الفقر والجوع. . أما المرأة المسلمة فهناك من هو متكفل بالإنفاق عليها وإعالتها بطريقة تكفل صيانتها وكرامتها.

والمرأة إذا خرجت للعمل دون الحاجة إليه، تخسر فى مقابل ذلك الكثير والكثير، فعملها فى بيتها لا يقدر بثمن (النساء فى المجتمعات الصناعية يساهمن بأكثر من ٢٥-٤٠٪ من منتجات الدخل القومى بأعمالهن المنزلية)[١].

«والأمومة ليست نومًا، ولا كسلا، ولا فراغًا، وإنما هى كفاح، وصبر وبلاء، وفداء، وإيثار، وتضحيات، يهون بجانب ذلك كل عمل من الأعمال، وما أظن الأم التى تترك البيت وتترك أولادها، إلى مكتب أو مصنع، أو مدرسة، أو مشغل أو شركة، أو عيادة طبيب، إلا هاربة من جلائل الأعمال، مفلسة من الجلد والتبعة والمسئولية»[٢].

لقد اكتوى الغرب بنار خروج المرأة للعمل، وانطلاقها فى دروبه غير عابئة بنتائج ذلك. . لقد حصد أضرارًا اجتماعية هائلة جنت على الأسرة فى بلاده، حيث كثر الزنى وقلَّت الرغبة فى الإنجاب حتى بدأت أعداد سكان بعض الدول الأوروبية فى التناقص، وكثرت جرائم الشباب والأطفال بصورة مخيفة بسبب افتقاد حنان الأم، التى أصبحت هى نفسها مهانة ومنفلتة. . أما المقابل الذى تحصل عليه المرأة فهو لا

---

(١) حاولت مؤسسة مالية أمريكية تقدير عمل الأم فى التربية والطبخ، فوجدت أنها تستحق ٥٠٨ آلاف دولار، بما يساوى ١٧ وظيفة، حيث تعمل الأم فى المنزل لمدة ١٨ ساعة على مدار اليوم.

(٢) لا تظلموا المرأة، د. محمد كامل الفقى، مكتبة وهبة، ١٩٨٥م.

يتساوى مع ما يصيبها من جراء ممارستها الأعمال المجهدة التى هى من صميم عمل الرجل، كحرمانها من الإنجاب، وتعرضها -حسب دراسات علمية- إلى الإصابة أكثر من غيرها بسرطانات الثدى والجهاز الهضمى، ومرض السكر.

والغرب يحاول الآن، وبشكل جاد، إعادة المرأة إلى عملها الأصلى، بعدما ملّت هى نفسها ذلك الدور السئيم الذى لم تُخلق له، فمساواتها بالرجل فى العمل وهمٌ أفاقت المرأة الأوروبية منه مؤخرًا، وقد ملّت أيضًا تلك الحياة العائلية التى لا ترى فيها زوجها وأبناءها إلا للحظات خاطفة، تكون خلالها مرهقة الجسم خائرة القوى متوترة الأعصاب.

لقد وضع ميخائيل جورباتشوف، الرئيس السوفييتى الأسبق والسكرتير العام للحزب الشيوعى- النقاط فوق الحروف فى هذه القضية، فى كتابه (البروسترويكا- أو إعادة البناء) الذى قال فيه:

«ولكن طوال سنوات تاريخنا البطولى والشاق، عجزنا عن أن نولى اهتمامًا لحقوق المرأة الخاصة، واحتياجاتها الناشئة عن دورها كأم وربة منزل، ووظيفتها التعليمية التى لا غنى عنها بالنسبة للأطفال. إن المرأة إذ تعمل فى مجال البحث العلمى وفى مواقع البناء وفى الإنتاج والخدمات، وتشارك فى النشاط الإبداعى.. لم يعد لديها وقت للقيام بواجباتها اليومية فى المنزل.. العمل المنزلى، وتربية الأطفال، وإقامة جو أسرى طيب. لقد اكتشفنا أن كثيرًا من مشاكلنا فى سلوك الأطفال وفى الشباب وفى معنوياتنا وثقافتنا وفى الإنتاج -تعود جزئيًا إلى تدهور العلاقات الأسرية والموقف المتراخى من المسئوليات الأسرية، وهذه نتيجة متناقضة لرغبتنا المخلصة والمبررة سياسيًا لمساواة المرأة بالرجل فى كل شىء والآن -فى مجرى البروسترويكا- بدأنا نتغلب على هذا الوضع، ولهذا السبب فإننا نجرى الآن مناقشات جادة فى الصحافة وفى المنظمات العامة وفى العمل وفى المنزل بخصوص مسألة ما يجب أن نفعله، لنسهل على المرأة العودة إلى رسالتها النسائية البحتة».

٢- الشريعة الإسلامية تشجع ضرب المرأة

ويرى المناوئون للإسلام، أن شريعته تجيز العنف الأسرى، وتشجع ضرب المرأة والإساءة إليها -لفظيًا وجسديًا.

● **وللرد على هؤلاء نقول:**

لا يقبل الإسلام إهانة المرأة أو الإساءة إليها بقول أو فعل، فالدين الذى يمنع سب الحيوانات والجمادات لا يقبل بحال سب الإنسان وخصوصًا المرأة التى هى ابنة أو شقيقة أو زوجة أو أم.

ولقد نفّر النبى ﷺ أشد التنفير من ضرب الزوجات، ووصف من يفعلونه بصفات غير حميدة. . روى عنه ﷺ أنه قال: **«لا تضربوا إماء الله»**، فأتاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: يا رسول الله ذئر[1] النساء على أزواجهن، فأذن فى ضربهن. فأطاف بآل محمد نساء كثير؛ كلهن يشكين أزواجهن. فقال النبى ﷺ: **«لقد أطاف بآل محمد سبعون امرأة؛ كلهن يشتكين أزواجهن، ولا تجدون أولئك خياركم»** [أبو داود].

ويقول ﷺ: «**شر الناس الضيق على أهله**»، قالوا: يا رسول الله، وكيف يكون ضيقًا على أهله؟ قال: «**الرجل إذا دخل بيته خشعت امرأته وهرب ولده وفرّ، فإذا خرج ضحكت امرأته واستأنس أهل بيته**» [الطبرانى]. ويقول ﷺ معنفًا الضرابين للنساء: «**لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها فى آخر اليوم**» [البخارى].

وإذا كانت الشريعة قد رخصت بضرب الزوجة، فإنما جُعل ذلك فى حالة الضرورة وهى حالة النشوز والتمرد على الرجل والتعالى عليه، وهى حالة استثنائية عندما تفشل وسائل أخرى يجربها الزوج كالوعظ والهجر فى المضجع. . **﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ. .﴾** [النساء: ٣٤].

أما الأصل فهو النهى عن الضرب وإسقاطه؛ إبقاء للمودة بين الزوج وزوجه.

(١) ذئر: أى اجترأن ونشزن.

فعلى الزوج أولا: **الوعظ والنصح والتوجيه الهادف**، وتذكيرها بما عليها من حقوق وما افترضه الله عليها من وجوب طاعة زوجها، مترفقًا بها، مؤملا صلاح حالها، فإذا لم تستجب انتقل إلى الخطوة التالية..

وهى أن يهجرها فى الفراش، إظهارًا منه لعدم الرضا عنها والاستياء من معاملتها، فإذا لم يثمر الهجر فى المضجع، فقد شرع للزوج أن يؤدب زوجته، بضربها ضربًا غير مبرح.. يقول النبى ﷺ: «**ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت**» [أحمد وأبو داود].. وهذا يعنى أن الضرب آخر الدواء، وليس المراد منه الانتقام، ولا يلجأ إليه الزوج إلا بعد نفاد صبره، والخوف من إهدار كرامته وسمعة بيته وأولاده، وهذا هو السر فى قول النبى ﷺ: «**لا يُسئل الرجل فيم ضرب امرأته**» [أبو داود].

إننا هنا أمام ما يسمى (نشوز الزوجة)، أى استعلاؤها على زوجها، وسعيها إلى هدم أسرتها، فيكون الضرب هنا حفاظًا على كيان الأسرة، ورد الزوجة الشاردة التى غلبتها نفسها وشيطانها.

وبناء على ما سبق فإن الضرب المشروع لتأديب الزوجة:

- لا يجوز إلا للناشز التى لم يفلح معها الوعظ أو الهجر أو التحكيم.
- لا يجوز إذا كان عديم الجدوى.. وهذا ما قال به المالكية، فقد اشترطوا للضرب: أن يعلم الزوج أو يغلب على ظنه أن الضرب سيفيد فى تأديبها وردعها عن النشوز، وإلا فلا داعى للجوء إليه طالما لن يثمر الإصلاح المنشود.
- أن يكون فى غير الوجه، وأن يكون غير مبرح؛ أى يكون خفيفًا غرضه الإيلام الأدبى وليس الإيلام الجسدى، قال ابن عباس رضى الله عنهما: «يضربها بالسواك».. قال المالكية: يقتصر الضرب على الآليات التى تجعله رمزيًا، حتى لكأنه لون من المداعبة التى تفتح القلوب وتطوى صفحة النشوز.

- لا يُسمح به للزوج إلا إذا كان التقصير من جهة الزوجة فقط، بأن يكون موفيًا لها جميع حقوقها.

- وأخيراً.. **فإن ترك الضرب أفضل، وإسقاطه هو الأولى**، ويُقتصر التأديب على الوعظ والهجر دون اللجوء إلى الضرب، إبقاء للمودة بين الزوج وزوجه.

إن الضرب -حسب الشريعة- له شروط تكاد تُخرجه عن ماهية الضرب، فضلا عن أنه لا يقع إلا على ناشز؛ استنفد معها الزوج كل وسائل الإصلاح ولم يبق أمامه سوى التلويح بهذا الإجراء لردها عن طغيانها وتسلطها.

• تأديب للمحبوب

«إن فقهاءنا والجمهور منهم قد أحاطوا تأديب الزوج للزوجة بالعديد من الضمانات التى تجعل التأديب وسيلة من وسائل الإصلاح والإنقاذ للزوجة والأسرة من الدمار.. التأديب للمحبوب لأنه حبيب ومحبوب؛ كما يؤدب الأبوان أولادهما وهم أحب من لديهما، وليس سبيلا للإهانة أو الإيذاء والإضرار والانتقام.. ذلك أن ضرب الزوج لزوجه أمر شاذ، لا يباح إلا إذا كان آخر الدواء لحالات الشذوذ التى تهدد سلامة الأسرة التى هى الحرم للزوج والزوجة والأولاد، وإسقاطه من وسائل الإصلاح اجتهاد ملحوظ عند قطاع ملحوظ من فقهاء الإسلام»(١).

إن الحديث عن الضرب فى نطاق الزوجية، إنما هو حديث عن أسرة معتلة، يسيطر عليها العناد والشقاق.. أما الأسر السوية فإن قضية الضرب بالنسبة لها غير واردة على الإطلاق؛ فالأصل فى الأسر المسلمة شيوع جو التفاهم وعدم التنازع، والعشرة بالمعروف، واحترام كرامة الطرف الثانى، والشراكة فى أمور الحياة الزوجية، فى ثقة متبادلة وتعاون تام فى السراء والضراء، فالزوج

---

(١) انظر: العنف الأسرى.. جاهلية العصر، عامر شماخ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

يهيئ لزوجه وأولاده عيشًا كريمًا، والزوجة تعينه على ذلك، مع قيامها برعاية منزلها وأسرتها.

«وتحث الشريعة الإسلامية كلا الزوجين على فهم طبيعة الآخر، والوعى بالفوارق الفطرية والطبيعية والنفسية لكل منهما، وبوجود قواسم وسمات مشتركة بينهما، كما تحث الشريعة كلا الزوجين -لنجاح الحياة الزوجية- على الاهتمام بعوامل التوافق والإيجابيات فى شخصية الطرف الآخر، وحصر أسباب الاختلاف، والبحث عن حلول وسط يتراضيان عليها، والبعد عن نزغات العناد والإثارة، والإفراط فى الغيرة وحب التغلب على الآخر»[١].

٤- الطلاق الإسلامى استهانة بشأن المرأة

يتعالى صياح أنصار (تحرير المرأة) هذه الأيام، حول طلاق المرأة فى الإسلام الذى جعلته الشريعة بيد الرجل، راغبين فى سن قانون يمنع ذلك، يجعل أمر الطلاق بيد قاضى المحكمة، هو الذى يقدره وهو الذى يعلنه، ويتم إثباته بوثيقة رسمية.

وحجة هؤلاء أن انفراد الزوج بهذا الحق فيه ظلم للمرأة وإهمال لشأنها، أما ما يطالبون به فيحرر المرأة من ظلم الرجل وينصفها، ويُلحقها بركب المرأة الغربية التى لا تخضع لجبروت الزوج.

● **ونقول لهؤلاء:**

إن المسلمة التى نطقت الشهادتين، لا يجوز لها أن تقبل من دينها ما تشاء وتدع منه ما تشاء تقليدًا للمرأة الغربية المستباحة وجريًا وراء نزواتها.. ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فإن الشرع الذى أمر بهذا لم يحاب الرجل على المرأة، إنما فرض ذلك لمصلحة الزوجين معًا، وهو أعلم منا بما يصلحنا وما لا يصلحنا.. ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤].

(١) المرجع السابق.

لقد ضيق الإسلام دائرة الطلاق إلى أبعد الحدود، وجعله آخر الدواء، وهو يسعى منذ شروع الرجل فى الزواج لتجفيف منابعه والتقليل من حالاته؛ حرصًا على تماسك المجتمعات المسلمة، ومنعًا من تفاقم مشكلات اجتماعية قد تعصف باستقرار هذه المجتمعات وتماسكها.. فقد أمر الخاطب بحسن اختيار من يقوم بخطبتها، وأمره بالنظر إليها، وأمره بالاستيثاق من رضا المخطوبة.. ثم بعد الزواج أمره بحسن المعاشرة، فإذا وقع خلاف فهو مأمور بعلاج هذا الخلاف، على مستوى الزوجين أولا، ثم التحاكم إلى الأهل بعد ذلك..

كل هذه إذًا قيود أمام الزوج، كى لا يقع الطلاق الذى يقطع حبل الزوجية ويمنع الأطفال من رعاية والدين متفاهمين متحابين.. ثم هناك نصوص كثيرة تُرغِّب فى الحياة الزوجية القائمة على الصبر والاحتمال وتقدير مدى المسئولية الملقاة على كاهل كلا الزوجين، وتهدد -فى الوقت ذاته- كل من يهوِّن من أمر الطلاق ويسعى بطيشه ورعونته إلى تفكيك أواصر الأسرة التى عُقدت عند تأسيسها على ميثاق الله الغليظ.

يقول الله تعالى، مقيدًا الرجال من التسرع فى إيقاع الطلاق، بأسلوب منطقى تحبه النفس وتميل إليه.. ﴿**فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩]، ويقول النبى ﷺ: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**» [أبو داود].. هذا بالنسبة للرجل.. أما بالنسبة للمرأة فيحذرها من الخلع قائلا: «**أيما امرأة اختلعت من زوجها بغير نشوز، فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**» [أبو داود وابن ماجة]، ويقول ﷺ: «**أيما امرأة سألت زوجها طلاقًا فى غير ما بأس، فحرامٌ عليها رائحة الجنة**» [أبو داود].

وإذا كان النصارى يتفاخرون بأنهم يحرِّمون الطلاق، إلا فى حالات تكاد تكون معدومة، معتبرين ذلك إنصافًا للمرأة، وتطييبًا لخاطرها، فإن هذا -بدون شك- قمة الإجحاف للإنسانية عمومًا، وهو مخالفة فجة لفطرة

الإنسان السوية.. فالحياة الزوجيـة لا تخلو من حالات كراهية ونفور، كما لا تخلو من أذى، وشح، وربما عجز الزوج عن أداء حقـوق الزوجة، أو عجزت الزوجة عن أداء حقوق الزوج، فما الحل إذًا؟!، الحل عند من يحرمون الطلاق ويحصرونه فى حـالات نادرة.. يكون بإباحة الزنى وتعدد العشـيقات ومن ثم انتشار المواليد غير الشرعيين، فى مقابل الزوجة المعطلة بأمر الكنيسة.

• قيود أخلاقية ومادية

أما الإسلام وهو دين الوسطية.. ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [البقرة: ١٤٣]، فإنـه يتعـامل مع الإنسان كـإنسان، له رغـبات وشـهوات، يحب ويكره، ويـقوى ويضعف.. فترك له الحق فى عدم الاسـتمرار فى هذه الشراكة.. ﴿**وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ١٣٠]، لكنه وضع للطلاق قيودًا: أخلاقية ومادية.

- **فمن القـيود الأخلاقـية**، أنه حذر من هذا الأمـر، ووصف من يفعلونه بصـفات ذمـيـمـة.. يقـول النبى ﷺ: «**تزوجـوا ولا تطلقـوا فـإن الله لا يحب الذواقين والذواقات**» [الطبرانى]، ويقول ﷺ: «**إن إبليس يضع عرشـه على الماء، ثم يبعث سراياه، فـأدناهم منه منزلة أعظمـهم فتنة، يجىء أحـدهم فيقـول: فعلت كـذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، ويجىء أحدهم فـيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، فيدنيه منه ويقول: نعم أنت**» [مسلم].
- **أما القيود المادية**، فإنه جعل الطلاق مرتين، يكون رجعيًا خلالهما، كى يفيق من تسـرع به، وكى يكون جـرس إنذار لكلا الطرفين، للزوج بألا يكـرر ما فـعل، وللزوجة لتأخذ حذرها بعدم استفزاز الزوج، وبتلافى عيوبها والصبر على اندفاع الزوج وثورته.. والإسلام لا يبـيح للزوج إخراج زوجته من بيت الزوجـية عند

طلاقها، بل تبقى مقيمة عنده علّه يحنّ إليها وتحنّ إليه فيعودان كما انفصلا ﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

فإذا وقع الطلاق وصار حتميًا، فللزوجة حق استرداد المهر.. ﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا..﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ولها حق المتعة.. ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]، ولا يحق للزوج أن يشنع عليها أو يؤذيها.

• القرار بيد الزوج.. لماذا؟

أما لماذا جُعل الطلاق بيد الزوج؛ فلأنه هو الذى تكلّف، وحمل على عاتقه تكاليف الزواج، وهو الذى يتحمل الخسارة عند الطلاق، وهو أبصر بالعواقب من المرأة، سريعة التأثر، كثيرة الغضب.. ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].

إن خصوصية الحياة الزوجية، هى التى جعلت المشرع الإسلامى يجعل قرار الطلاق بيد الزوج، فإذا شعرت المرأة بعجزها عن مواصلة حياتها الزوجية مع زوج لا تحبه فلها أن تنخلع منه نظير التنازل عن حقها فى المهر والمتعة.. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ولها أن تطلب أن يكون الطلاق بيدها، وذلك عند كتابة عقد الزواج، يقول النبى ﷺ: «**أحق الشروط أن توفوا به، ما استحللتم به الفروج**» [متفق عليه]..

لكن لا يجوز أن يكون الطلاق للمحكمة، فليست كل أسباب الطلاق يمكن أن تذاع، والحياة الزوجية كما قلنا سجال من الشد والجذب، والرضا والغضب، وانتقالها إلى المحاكم يفسدها، ويوصل الفوضى داخل البيت.. وعندما يشعر الرجل بأن قوامته مهددة، ورئاسته استولت عليها المحكمة، فلم يعد هو الزوج

الفعلى الذى يملك قرار الانفصال أو الاستمرار.. ومن هنا تتعقد الأمور وتصل إلى طريق مسدود(١).

٥- التعدد.. نظام مجحف ينتهك إنسانية المرأة

وكما يعلو صياح أنصار (تحرير المرأة) إزاء الطلاق الإسلامى، يزداد صراخهم إزاء نظام التعدد الذى أباحته الشريعة لمصلحة المجتمعات والأفراد وفى مقدمتهم المرأة.

● **ونقول لهؤلاء:**

إذا كان الإسلام قد أباح التعدد -الذى قررته الكتب السماوية كلها- فإنما فعل ذلك لمصلحة المرأة والرجل على السواء، فهو جزء من منظومة اجتماعية إسلامية ضيق الله فيها على عباده من جهة، وبسط لهم من جهة أخرى، فحرّم النظر إلى المرأة الأجنبية، وحرّم الخلوة، وحرّم الزنى، وأباح تعدد الزوجات»(٢).

«والإسلام لم يغفل عن ضرر قد يقع على الزوجة الأولى من جراء التعدد، ولكنه وازن بين المصالح المترتبة على التعدد والمصلحة المستفادة من البقاء على زوجة واحدة، فدفع أشد المفسدتين وجلب أعظم المصلحتين»(٣).

وكما أباح الإسلام التعدد، فقد وضع له شروطًا لابد أن تُوفَّى، وإلا أثم فاعله، أهمها: القدرة على العدل، يقول تعالى: ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا** ﴾ [النساء: ٣]، والقدرة على نفقة الزوجات والأولاد وحسن رعايتهم، يقول النبى ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول**» [أبو داود]، ويقول: «**كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته.. الرجل راعٍ على أهل بيته ومسئول عن رعيته..**» [البخارى].

---

(١) فشل الطلاق الذى يتم عن طريق القاضى فى تونس فى تقليل حالات الطلاق، بل زادت تلك الحالات زيادة ملحوظة، حيث لم يوفق القضاة فى الصلح بين الأزواج كما كانوا يؤملون، إذ فى أحد المواسم القضائية لم تتم المصالحة إلا فى عشر حالات من بين ١٤١٧ حالة.

(٢) زوجة واحدة تكفى.. فكونى لزوجك مثنى وثلاث ورباع، عامر شماخ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.

(٣) موقع (دار الإفتاء المصرية) الإلكترونى.

وقد حذر النبى ﷺ من عدم القسط بين النساء، يقول «**إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وشقه ساقط**» [الترمذى]. . وبشّر ﷺ الذين يعدلون بين زوجاتهم بالفوز الكبير يوم القيامة، فى الحديث الذى ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم ما ولوا**» [مسلم].

لقد شُرِع التعدد فى إطار وسطية الإسلام وإعجاز تشريعاته، كحالة استثنائية أو ضرورة لها مبرراتها وضماناتها. .وبالتالى لا حجة لمن يختزلون الحكم الشرعى للتعدد فى الوجوب، حيث لا يوجد نص يوجب الفعل أو الترك، وإنما أباحته الشريعة مراعية فطرة البشر، ومراعية بعض الأحوال الاجتماعية. . لكنها لم تفرضه ولم تجعله أصلا.

وعندما أمر الإسلام بالعدل بين الزوجات، فإنما أمر بمراعاة المشاعر والأحوال، وتقدير أمور الغيرة بين النساء، وألا يقصر الزوج فى حق أو واجب، وأن العاطفة شىء والمسئولية شىء آخر، وإذا كان غرض المعدد بناء أسرة جديدة على حساب أسرة قائمة فهو آثم، فإنما شُرِع الزواج للبناء وليس للهدم، وللإضافة وليس للنقصان.

كما لا حجة لمن يطالبون بمنع التعدد، فإن المنع يؤدى إلى المفاسد؛ ذلك أن المحتاج إلى زوجة أخرى وشُرِط عليه الامتناع؛ سيلجأ إما إلى الكبت والحرمان، وإما إلى الانحراف بالزنى وغيره. وإما إلى اختلاق عيوب فى زوجته تبرر موقفه.

• التعدد كالدواء

إن التعدد فى الإسلام، كالدواء يعالج البعض ويضر آخرين، وإن الامتناع عنه لعدم القدرة على الإنفاق والعدل؛ خير ألف مرة من التورط فيه مع العجز عن تحقيق هذين الشرطين. . وما عدا ذلك فهو أمرٌ قد يكون واجبًا وقد يكون مستحبًا لمن توافرت لديهم ضرورات التعدد.

ومن حق المرأة المسلمة أن ترفض التعدد، أو تشترط ذلك فى عقد الزواج، وهى مخيرة، إن شاءت قبلت الوضع الجديد، أو تطلب الطلاق لتبحث عن زوج آخر لا يعدد، فهذا كله من حقها. . روى البخارى ومسلم عن عقبة بن عامر

-رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**أحق الشروط أن يُوفى به، ما استحللتم به الفروج**» [النسائى]، لكن ليس من حقها أن تطلب من زوجها طلاق زوجته الأخرى، فعن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: «**نهى النبى ﷺ أن يخطب الرجل على خطبة أخيه، أو أن يبيع على بيعه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفئ ما فى صحفتها أو إنائها، فإنما رزقها على الله تعالى**».

والإسلام ليس بدعًا فى هذا الأمر، فالتعدد قررته الكتب السماوية كلها، فالتوراة فيها إثبات التعدد فى حق كثير من رسل الله -عليهم السلام- منهم: إبراهيم، ويعقوب، وداود، وسليمان، وموسى.. كما أن الإنجيل ليس فيه نص يحرم تعدد الزوجات.

لقد ظل التعدد مباحًا فى اليهودية، حتى جاء الحبر غرشوم الإشكنارى وأصدر قرارًا بتحريمه، وذلك فى القرن الحادى عشر، كان ذلك فى سياق الإصلاحات التى قام بها هذا الحبر فى القوانين اليهودية.

أما النصارى فإنهم لم يحرموا التعدد حتى القرن السابع عشر.. وقد تأثروا بالبلاد التى عاشوا فيها.. ففى أفريقيا يبيحون التعدد ويسمحون للقساوسة بالزواج، وفى أوروبا عكس ذلك.. ولم تحرم المسيحية التعدد إلا بقانون مدنى لا بنص من كتابهم المقدس.

وهناك بعض الطوائف المسيحية تبيح التعدد -حتى الآن- مثل طائفة (المرمون) فى أمريكا، التى لا تحدد عددًا معينًا من الزوجات، أى تبيح التعدد بدون حد أقصى.

«يضاف إلى ذلك أن أمر التعدد ليس من تشريع الأديان السماوية فحسب، بل هو أمر مستقر فى سائر الحضارات، فالثابت تاريخيًا أن تعدد الزوجات ظاهرة عرفتها البشرية منذ أقدم العصور، بل كانت هذه الظاهرة منتشرة بين الفراعنة، وأشهر الفراعنة على الإطلاق هو رمسيس الثانى، كانت له ثمانى زوجات وعشرات الجوارى، وأنجب أكثر من مائة وخمسين ولدًا وبنتًا، وأسماء زوجاته وأولاده منقوشة على جدران المعابد حتى اليوم»(١).

---

(١) المرجع السابق.

وإذا كانت الكنيسة قد منعت التعدد، فإنها قد أعطت الفرصة لانتشار البغاء؛ الذى أفرز مجتمعات مختلة نفسيًا وأخلاقيًا.. ففى أمريكا وحدها ١٢ مليون طفل غير شرعى، ١٧ مليون شاذ جنسيًا، ١٥ مليون شخص مصاب بالأمراض التناسلية، ومن بين كل خمس أسر هناك أسرة يُرتكب داخلها زنى المحارم!!

إن هذه القيود المخالفة للشرع والفطرة، هى التى دفعت عددًا من مثقفى الغرب إلى انتقادها، والمناداة بتعدد الزوجات وعدم الاقتصار على زوجة واحدة؛ لما ينتج عن ذلك من اضطراب وبؤس.. تقول آنى بيزانت فى كتابها (الأديان المنتشرة فى الهند): «كيف يجوز أن يجرؤ الغربيون على الثورة ضد تعدد الزوجات المحدود عند الشرقيين مادام البغاء شائعًا فى بلادهم؟!. فلا يصح أن يقال عن بيئة إن أهلها موحدون للزوجة، مادام فيها إلى جانب الزوجة الشرعية خدينات من وراء ستار، ومتى وزنا الأمور بقسطاس مستقيم ظهر لنا أن تعدد الزوجات الإسلامى الذى يحمى ويحفظ ويغذى ويكسو النساء؛ أرجح وزنًا من البغاء الذى يسمح بأن يتخذ الرجل المرأة لمحض إشباع شهواته، ثم يقذف بها فى الشارع متى قضى منها أوطاره»(١).

وفى عام (٢٠٠٠) ناقش (مجلس الدوما الروسى) الاقتراح الذى تقدم به نائب الرئيس فلاديمير جيرنوفسكى، وهو نائب قومى متشدد، الذى دعا إلى سن تشريع يُسمح بمقتضاه بالتعدد للرجال، بحيث يصبح أربع زوجات فى حده الأقصى.. وعلل تقديمه هذا المشروع بأنه سوف يسمح بحل المشكلات الديموجرافية والاجتماعية فى روسيا، ولأن هناك عشرين مليون امرأة روسية لا يمكنها الزواج.. وقد قال: «امنحوا النساء هذه الفرصة الأخيرة».. إلا أن الاقتراح قوبل بالرفض، حيث جاءت نتيجة التصويت بالرفض: ٢٧١ صوتًا مقابل ٢١ صوتًا.

إن إباحة التعدد هى المناسبة للواقع؛ فإن عدد النساء أكثر من عدد الرجال، فماذا تفعل المرأة إذا لم تتزوج؟!، إنها سوف تلجأ إلى الزنى والضياع، وهو

(١) موقع «إسلام أون لاين» الإلكترونى، مرجع سابق.

- للأسف- واقع المرأة الغربية، فحسب إحصاءات منظمة الهجرة الدولية، فإنه يتم -سنويًا- بيع نصف مليون امرأة ممن لا أزواج لهن إلى شبكات الدعارة فى مختلف دول العالم، حيث يتم استغلالهن جسديًا فى النوادى الليلية وممارسة الدعارة وتمثيل الأفلام الإباحية.

• نظرة موضوعية

إن نظرة موضوعية لأمر التعدد، تؤكد صلاح هذا الأمر لجنس المرأة عمومًا، فإن المرأة -بفطرتها- لا يمكنها الاستغناء عن الرجل، حتى لو كان الزواج منه نصف زواج أو ربع زواج، ولهذا شاع المثل المصرى (ضل راجل ولا ضل حيط)، دلالة على حاجة المرأة الملحة للرجل ورغبتها الشديدة فى اتباعه والاحتماء به.

إن قطاعًا لا يستهان به من النساء، من العوانس والأرامل والمطلقات، يقبلن الزواج من متزوج قادر على النفقة والإحصان، وإلا فإنهن يقضين حياتهن على هذه الصورة من الحرمان، من الزواج والأمومة، أو يشبعن غرائزهن من خلف ظهر الدين والأخلاق، والمجتمع.

وإذا كان الرجل المعدد فى المجتمعات الإسلامية يتحمل عبء ما ينتج عن الزواج من ذرية، يأمره بذلك دينه والعرف السائد، فإن العشيقة فى الغرب هى التى تتحمل عبء حملها، إما بتربيته بعد أن تخلى عنه أبوه الذى يبحث -وطفله مازال جنينًا فى بطن أمه- عن عشيقة أخرى، أو بقتله بالإجهاض.. وتشير الإحصاءات فى هذا الصدد إلى أن (٨٠٠ ألف) فتاة مراهقة فى أمريكا وحدها يحملن سفاحًا سنويًا، وأن (٤٠٠ ألف) منهن يخترن الإجهاض، أى يقتلن أولادهن فى أرحامهن، كى لا يتحملن نفقات وأعباء تربيته من ناحية، ومن ناحية أخرى كى ينطلقن للعربدة من جديد.

والتعدد كرامة للمرأة، فهى معززة بالزواج، مصونة فى بيتها، لها زوج يحميها، وأطفال يشبعون غريزتها فى الأمومة.. إن زواجها ولو كان من رجل متزوج من

أخرى يحميـها من طمع الرجال فيهـا، ومن نظرات المجتمع التى لا ترحم، ولقب الزوجة أصون لشرف المرأة، بدلا من اتخاذها بغيًا بدون مقابل، تحت مسميات براقة مثل الصديقة أو الصاحبة، والحقيقة أنها (فتاة ليل) بلا أجر، ويستطيع أى رجل ولو كان تافهًا أن يلقيها ويبحث عن أخرى بعد أن يقضى منها نهمته.

والتعـدد طهرة للمـجتمع من الفـساد الأخـلاقى، فإنه يدفع أخطار السـفور والاختلاط ويحـمى المجتمعات من الفناء، ويقيـها من الأمراض والطواعين التى باتت تهدد مجتمعات الغرب، فـفى أمريكا وحدها (٦٥ مليون) مصاب بأمراض جنسيـة لا يمكن شفـاؤها، وهناك (١٥ مليون) إصـابة جديدة كل عـام.. ولقد أدت الفوضى الجنسية فى الغـرب إلى سطو ٧٠٪ من الرجال على نساء أخريات غير زوجاتهم.

٦- حديث (ناقصات عقل ودين) يؤكد تسفيه الإسلام للمرأة

روى الإمام مسلـم فى صحيحه عـن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يا معشـر النساء تصدقن وأكثـرن الاستغفار، فـإنى رأيتكن أكثر أهل النار**، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟، قال: **تكثرن اللعن وتكفرن العـشير، وما رأيت من ناقـصات عـقل ودين أغلب لذى لب منكن**، قالت: يا رسـول الله وما نقـصان العقل والدين؟، قال: **أما نقـصان العـقل فشهـادة امرأتين تعـدل شهادة رجل، فـهذا نقصان العقل، وتمكث الليالى ما تصلى، وتفطر فى رمضان، فهذا نقصان الدين**».

لقد أخذ أعداء الإسلام، هذا الحديث قرينة للهجوم عليه، والإساءة إلى قائله، وما نظر هؤلاء إلى مقاصـد الحديث ومعانيه الحقيقيـة، وما نظروا إلى المناسبة التى قيل فيهـا.. ولو أنهم استجمعوا شجـاعتهم واعترفوا بمقدار حـفاوة المعصوم ﷺ بالمرأة فى سـائر سنته، ووضـعوها بجـوار هذا الحـديث -لأحسنوا الظن بقـوله، ولاعتـبروا ما قـيل فى حق المرأة فى هذا الحديث إنما هو مـن رحمة الإسـلام بها وحدبه عليها وهو من قبيل اهتمام الرسول بها.

إن معيار التفاضل فى الإسلام، ليس من خلال النوع، ذكرًا كان أو أنثى، أو من خلال القوة والضعف، وإنما يكون التفاضل بالتقوى.. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، ولو كان الإسلام ينتقص عقل المرأة كما يقولون لجاءت آيات القرآن صريحة فى ذلك، ولكُلفت المرأة وحوسبت على قدر هذا النقص، بل الواضح فى القرآن والسنة، أن هناك مواقف لنساء تربعن خلالها على قمة العقل والحكمة، ولو قورنت إحداهن بالرجال لعدلت الألف رجل.. ولم نقرأ فى سيرة النبى ﷺ وصحابته الكرام مثل هذا الاتهام، الذى يخالف طبيعة الأشياء، فليس هناك رجل ذكى على الإطلاق وامرأة غبية على الإطلاق، بل توزع الذكاء بين النوعين، فهناك المرأة العاقلة ذات المنطق التى تحسن التصرف وتقدر الأمور بقدرها وتحسب عواقبها، ولديها ملكات عقلية ندرت فى كثير من الرجال، مثل سرعة البديهة وإلجام العاطفة، والنظر إلى الأمور نظرة موضوعية مدعومة بالكيس والتريث..

وفى المقابل هناك كثير من الرجال لا يحسنون صنعًا، ولا يملكون عقلا، اللهم إلا خشونة الصوت وتمدد المنكبين واستطالة الشارب، لكنهم عند الملمات لا يساوون شيئًا، وربما أنقذتهم من ورطاتهم امرأة بمشورتها وحسن تدبيرها.

إنه لما أتيحت للمرأة -فى الآونة الأخيرة- فرص التعليم على سبيل المثال، تفوقت فى أحيان كثيرة على الرجل، وأثبتت فى عدد من التخصصات أنها الأوفر عقلا، والأكمل فهمًا.. يلاحظ ذلك فى الجامعات المصرية التى حصدت فيها الطالبات فى السنوات الأخيرة غالبية مقاعد أعضاء هيئة التدريس.. فهل توصف هؤلاء البنات المتفوقات بأنهن ناقصات عقل؟!

• اقرءوا بقية الحديث

وهل يتوافق ما قاله النبى ﷺ فى الحديث من نقص عقل المرأة مع قوله فى الحديث نفسه: «أغلب لذى لب منكن»؟! إنه هنا يصف المرأة بالدهاء والمكر

وبقدرتها على احتواء أذكى الرجال، وأقواهم شخصية، ولا تفعل ذلك إلا ذات حيلة تفوق قدراتها قدرات الرجل الذى سرعان ما يسلم لها بالهزيمة.

وقد ورد فى الحديث ذاته، صفة المرأة التى تحاور النبى ﷺ: (جزلة)، قال العلماء: هى ذات العقل والرأى والوقار، فكيف تكون ذات عقل وهى ناقصته فى الوقت ذاته؟!

إن الحديث قيل فى مناسبة سعيدة، قال العلماء: عيد أضحى أو فطر، ولهذا فليس من المحتمل أن يكون النقص الذى قصده النبى ﷺ، نقصًا حقيقيًا يميز الرجل عنها ويرفع درجته وجزاءه عليها، بل المرجح أن يكون ذلك مداعبة قصدها النبى ﷺ فى تلك المناسبة، وهو الذى عُرف عنه البشرُ وحبه للنساء، ويستبعد العلماء -فى الوقت ذاته- أن يكون ما قاله قاعدة عامة أو حكمًا شاملا، خصوصًا أن صياغة الحديث أقرب إلى صيغة التعجب منها إلى صيغة التقرير.

ولقد قيل هذا الحديث لنساء الأنصار، اللاتى تميزن عن نساء المهاجرين بقوة شخصياتهن وسلامة منطقهن كما اعترف بذلك عمر رضى الله عنه قال: «كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قَدِمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب الأنصار». . فمن الطبيعى والحال هكذا، أن يكون النقص فى عقل المرأة المشار إليه فى الحديث، هو النقص الذى يعتريها حال حملها وولادتها، فيسيطر عليها الضعف والكسل الذى يشمل العقل كما يشمل باقى الجسد.

أما نقص الدين، فهو ليس نقص الجزاء أو نقص التقدير لقلة الكفاءة وضعف الإيمان، وإنما النقص المقصود هو نقص أيام عبادتها فى أيام حيضها ونفاسها مقارنة بالرجل.

والإسلام عندما يمنعها من ممارسة العبادات فى تلك الأيام، ليس لنجاسةٍ وصمها بها اليهود، وليس لنقصٍ فيها كامرأة، وإنما هو فى الحقيقة رحمة بها. . فكما أنه لم يكلفها لزوم صلاة الجماعة فى المسجد، لكيلا يرهقها بالتردد على

المسجد خمس مرات فى اليوم لقيامـها برعاية زوجها وأبنائها فى الوقت ذاته -فهو أيضًا لا يجمع عليها ثقل تكاليـف هذه العبادات وأعراض هذه العادة الدورية التى ترهقها وتترك تأثيرها وأعراضها المؤلمة على سائر أعضائها.

أما بخصوص شـهادة المرأة التى أشار إليها الحديث، وهى تـعدل نصف شهادة الرجل، كـما أقـرت ذلك آية البقـرة -فقـد أشرنا لذلك من قـبل، وطرحنا رأى العلماء الذين أكدوا أن ذلك يكون فى عقود وشـهادات المعاملات المالية، التى تقل أو تنعـدم فيـها خـبرة المرأة، ولا يكون لهـا القدرة على مـجاراة الرجـال فى هذا الأمر. . ونسوق هنا ما قاله الدكتور محمد عزة دروزة للرد على من ينكرون الأخذ بشهادة امرأة واحدة فى بعض القضـايا وفى حال الضرورة. . يقول: «وهناك وقائع كثيرة متنوعة فى الشئون المالية وغير المالية، تقع مفاجأة وصدفة، ولا يكون شاهدًا عليها إلا امرأة أو امرأتان، وعدم الأخـذ بشهادة الشاهدة أو الشاهدتين، قد يؤدى إلى ضياع حق أو جريمـة، أو حالة شرعية يجب التحقق منهـا. والذى نعتقده أن اعتـبار ذلك ضرورة شرعـية، وليس فى القرآن ولا فى السنة الـصحيحـة ما يمنع ذلك، وحكمة الله ورسوله أعظم من الرضاء بضياع حق أو جريمة أو حالة شرعية بسبب كون شاهد ذلك امرأة أو امرأتين»[١].

٧- تمييز الرجل على المرأة فى الميراث فيه تعسف وظلم لها

يعد مـيراث المرأة المسلمـة من أكثر القـضايا التى يثـيرها أعداء الإسـلام، حيث يزعمون أن الشريعة ميزت الرجل على المرأة فى الميراث فأعطتها نصف ما للرجل. .

وهذا من التدليس، إذ هناك اعتبارات عـدة فى هذه المسألة، لو نظر إليها هؤلاء نظرة حيـادية لعلموا أن المرأة المسلمـة تحظى بما لم يحظ به الرجل، وأنهـا فُضلت عليـه فى الميراث إجـمالا. . فـالتفـاوت فى الميراث سـببـه التفـاوت فى الأعبـاء والتكاليف المالية المفروضة على كل من الرجل والمرأة، فالرجل يدفع مهرًا ليتزوج،

(١) انظر: المرأة بين الموروث والتحديث، د. زينب رضوان، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م.

فى حين تأخذ المرأة مهرًا . . والزوج مكلف بالإنفـاق على زوجته، أما هى فلا . . والأب ينفق فيما بعد على أولاده والأم غير مكلفة، والابن ينفق على أبويه إن كانا محتـاجين، والبنت ليست مكلفة بالإنفـاق عليهما . . والأخ ينفق على أختـه غير المعالة حتى ولو كانت لها ذمة مالية.

والإسلام عندما يحث على الزواج، يضيف بهذا إلى المرأة رجلا يعطيها به حقًا جديدًا فى مـاله، وفى الوقت ذاته ليس للرجل مثل هذا الحق فى مـالها، بل يربأ الإسلام بالرجل أن يطمع فى مال زوجته أو أن يكون عالة عليها.

ولن نبالغ إذا قلنا إن المرأة المسلمة مميزة على الرجل فى الميراث، ونصـيبها أكبر من نصيبه، فهى إن تركت النصف لأخيها فإنما أعطته لامرأة أخرى التى هى زوجة هذا الأخ . . وهى فى بعض الأحـيان ترث مـثل الرجل، وفى أحيـان أخرى ترث أكثر من الرجل، أو ربما ورثت ولم يرث الرجل . . وهذه حالات معروفة بالتفصيل فى علم المواريث، فمثلا فى حال ميراث الأبوين من أولادهما ممن له ولد، تحصل الأنثى (الأم) على نصيب كنصيب الذكر . . ﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١١]، وذلك لأن حاجة الأبوين فى الغالب واحدة.

«بل هناك حالات يكون نصـيب الأنثى فيهـا أعلى من نصيب الذكر، كـما إذا ماتت امرأة وتركت زوجـها وأمها وأخوين شـقيقين وأختـًا لأم، فإن للأخت للأم السدس كامـلا، وللأخوين الذكرين الشقيـقين السدس بينهما، لكل واحـد منهما نصف السدس»(١).

• عدلٌ إلهى واعتبارات عديدة

إن العدل الإلهى أوجب عدة اعتبارات عند قسم الميراث، وهذه الاعتبارات ليس فيـها نظر إلى النوع، وإنما تقوم بـالأساس على: درجة القـرابة بين الوارث، ذكرًا كان أو أنثى، وبين المورّث المتوفى، كما تقوم على موقع الوارث من الحياة، وأخيرًا

(١) مركز المرأة فى الحياة الإسلامية، مرجع سابق.

تقوم على التكليف المالى الذى يوجبه المشرع على الوارث حيال الآخرين، وهذا هو الاعتبار الوحيد الذى يفرق بين الذكر والأنثى، هنا ينظر الشرع إلى الأعباء المالية الملقاة على عاتقهم، فالأخت المتزوجة التى حصلت على النصف فقط هى فى إعالة زوجها، والأخت غير المتزوجة تحصل على النصف كذلك، لكن أخاها الذى حصل على ضعف ما حصلت عليه مكلف شرعًا بإعالتها بعيداً عن ذمتها المالية الخاصة.

ويرعى الإسلام كما قلنا درجة القرابة بين الوارث، ذكراً كان أو أنثى، وبين المورث المتوفى، فكلما اقتربت الصلة زاد النصيب فى الميراث، وكلما ابتعدت الصلة قل النصيب، فابنة المتوفى تأخذ أكثر من والده وأكثر من أمه.

كما يراعى الإسلام كذلك، موقع الوارث من الحياة، فيعطى للشباب أكثر مما يعطى للكهول الذين قاربوا على توديع الحياة وصاروا فى كنف ورعاية آخرين، كل هذا دونما اعتبار لجنس من يرث، فبنت المتوفى ترث أكثر من أمه -وكلتاهما أنثى، وترث البنت أكثر من الأب، كذلك يرث الابن أكثر من الأب -وكلاهما من الذكور.

وما يروجه خصوم الإسلام ومروجو الفتن من أفكار حول هذه القضية، أمر يدعو إلى الضحك والاشمئزاز فى الوقت ذاته.. فهم أولا يريدون تحريف الكلم عن مواضعه، فالله يقول: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، وهم يعارضون قول الله وينقضون حكمه -تعالى عما يقولون علواً كبيراً.. ثم هم ثانيًا يقترحون أن تتساوى المرأة بالرجل فى الميراث مع قيامها بالإنفاق مثلما ينفق وأن تتحمل تكاليف الزواج مثلما يتحمل.. وهذه فرية انطلت حينًا من الدهر على المرأة الغربية فأوسعتها ابتذالا وإهانة، فهذا حق يراد به الباطل، فهم يغرون المرأة بأن فى ذلك مساواتها بالرجل، وكسر قوامته، ومنعه من الاستئثار بإدارة شئون الحياة المشتركة بينهما -إلا أن الواقع ينسف كل هذه الأفكار (النظرية) التى لن ينجحوا يومًا فى تطبيقها كما يريدون.. فالمرأة الأوروبية هى

التى تصرخ الآن ولا تسمع مجيبًا، كى تعود إلى بيتها وتمارس أمومتها، وتستجدى كل من يمر عليها أن تعود الأمور إلى نصابها الطبيعى: الرجل يسعى وينفق، والمرأة من خلفه تسانده وترعى شئونه وتربى أطفاله تربية سليمة.

ولو أنفقت المرأة مثلما ينفق الرجل، ولو تكلفت فى الزواج مثلما يكلف، ما تزوجت الفقيرات، وهن السواد الأعظم من النساء، ولطالبت -فى مقابل ما تنفقه- بحقها فى الطلاق، وفى القوامة، ولوقع التنازع والشقاق، وصار البيت أرجوحة فى يد شريكين متشاكسين وليسا زوجين لكل منهما حقوق وعليه واجبات.

ويزداد إسفاف القوم عندما يقولون -كما كتب سلامة موسى قديمًا: «إنه لو ورثت البنت كما يرث الولد لأغرت الشباب بالزواج منها» . . وهذا إسفاف وقصر نظر، فهم يصورون المرأة كأنها سلعة بوار، تروج سوقها بما تملك من مال وليس بما هى عليه من دين وأخلاق، فتكون حينها مطمعًا لكل نصاب يجيد نصب شباكه على الضحية ليقتنص ما معها من نقود، ثم يتحول إلى غيرها لاستكمال مشواره الإجرامى مع النساء؟!.

٨- المرأة فى الإسلام لم تنل حقها فى التعليم مثل الرجل

يدّعى خصوم الإسلام، أنه يفرق بين الرجل والمرأة فى الحقوق التعليمية. . وأنه ظلمها بتفضيل الرجل عليها فى هذا الجانب.

● **ولهؤلاء نقول:**

للعلم فى الإسلام مكانة لم يعرفها دينٌ قط، إذ عنى بالعلم عناية كبيرة للغاية، يدل على ذلك ما ورد من ألفاظ العلم ومشتقاته فى الكتاب والسنة، ففى القرآن وحده ورد اللفظ بمشتقاته أكثر من ٨٥٠ مرة، هذا غير المترادفات الأخرى التى تعطى المعنى نفسه، وفى السنة المطهرة لم يخل كتاب من كتبها من باب العلم، وفيها لفظ العلم ومشتقاته يزيد على الألف مرة.

ولا ننسى أن أول ما نزل من الوحى على النبى ﷺ كانت تلك الكلمة الخالدة (اقرأ) التى عُرفت بها الأمة وجعلها البعض شعارًا لها، فأمتنا هى (أمة اقرأ)، التى

وضعت أسس العلم الرصين، وجعلت العلماء ورثة الأنبياء، وفرقت بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون.. والعلم فى الإسلام وسيلة لمعرفة الخالق سبحانه، وخشيته، والتمييز بين الحق والضلال، والخير والشر.

ولم يقيد الإسلام العلم فى مجال من المجالات، أو تخصص من التخصصات ولم يقصره على شئون العقيدة والدين، بل أطلقه فى جميع المجالات، وأكد أن الدين والعلم يسيران جنبًا إلى جنب، يقوى أحدهما الآخر، ويكشفان سويًا ما فى الكون من أسرار ونواميس تؤكد وجود الخالق وقدرته على الخلق والإبداع.

والمرأة فى الإسلام مخاطبة كالرجل تمامًا بكل ما ورد عن العلم، فى كتاب الله وفى سنة نبيه ﷺ، فالآية التى تقول: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ..**﴾ [المجادلة: ١١] تخاطب الرجل والمرأة على السواء، والآية التى تقول: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه: ١١٤]، تخاطبهما معًا أيضًا، وهكذا سائر الآيات.. والأمر نفسه ينطبق على ما جاء فى سنة النبى ﷺ، فالحديث الذى يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهُ فى الدين**» [أحمد]، يخاطب النوعين: الرجل والمرأة، وكذلك سائر أحاديث النبى ﷺ -اللهم إلا الآيات والأحاديث الصريحة التى تخاطب الرجل وحده، أو المرأة وحدها.

وموقف الإسلام واضح وصريح من قضية تعليم المرأة، التى يشغب بها فصيل ممن يكرهون الإسلام، مستغلين مواقف بعض البيئات الإسلامية التى لا تحبذ خروج المرأة للعلم، استنادًا إلى تقاليد قبلية ليس لها علاقة من قريب أو بعيد بالإسلام، ومستغلين أيضًا بعض الأحاديث الموضوعة التى تنهى عن تعليم النساء..

• واجب وفريضة

فتعليم الفتاة حق لها على والدها، يقول النبى ﷺ: «**حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويعلمه الكتاب، ويزوجه إذا بلغ**» [البيهقى].. والولد هنا: كل مولود، ذكرًا كان أو أنثى، ويقول ﷺ: «**من كانت له بنت فأدبها وأحسن**

تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها، وأسبغ عليها من نعمة الله عز وجل التى أسبغ عليه، كانت له سترًا وحجابًا من النار» [الطبرانى]، بل لقد امتدت محاولات الإسلام لتعليم المرأة إلى الجوارى والخادمات، يقول النبى ﷺ: «.. ورجل عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران» [البخارى].

وطلب العلم فرض على كل مسلم ومسلمة، يقول النبى ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» [ابن ماجة]، والمسلمون جميعًا، الرجال والنساء، مأمورون بالاطلاع والقراءة والبحث.. ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

ولقد تعلمت النساء على عهد النبى كما يتعلم الرجال، بل كان ﷺ يحاضرهن فى مواعيد محددة.. «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله، فقال: «اجتمعن فى يوم كذا وكذا، فى مكان كذا وكذا»، فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله» [البخارى].

ويدل حديث عائشة رضى الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين»، على أن الساحة كانت مهيأة لأن تتلقى المرأة العلم بحرية تامة، حتى أنها باتت تسأل عن أمور شائكة، دفعتها إلى ذلك الحاجة إلى تحسين مستواها العلمى وثقافتها العامة.

«وكانت أمهات المؤمنين التسع اللائى توفى عنهن الرسول ﷺ كلهن معلمات ومفتيات لنساء أمته، ما لم يعلمه عنه غيرهن من أحكام شرعية وآداب زوجية، وحكم نبوية، وكان الرجال يرجعون أيضًا إليهن فى كثير من أحكام الدين»(١).

(١) انظر: الحقوق التعليمية للمرأة، مرجع سابق.

ولقد اشتهرت نسوة فضليات، فى عهد النبى ﷺ وغيره من العهود الإسلامية، بالتبحر فى العلم وسبق الرجال فيه. . فكانت الشفاء العدوية -من قبيلة بنى عدى رهط عمر بن الخطاب- تجيد الكتابة، وقد طلب إليها النبى ﷺ أن تعلم زوجه أم المؤمنين حفصة بنت عمر، تحسين الخط وتزيين الكتابة. . وكانت أم الدرداء الفقيهة الزاهدة تقول: «لقد طلبت العبادة فى كل شىء، فما أصبت لنفسى شيئًا أشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم. . وقد وصفها النووى بقوله: «اتفقوا على وصفها بالفقه والعقل والفهم» وقد عاشت أيام معاوية وكانت تقيم ستة أشهر فى بيت المقدس وستة أشهر فى دمشق.

وقد شهد العصران الأموى والعباسى، ثورة فى تعليم النساء، سجلن خلالهما سبقًا على الرجال وتبحرن فى المجالين اللغوى والأدبى، وقامت المرأة فى هذين العصرين بالتدريس والطب، والقضاء فى مجال المرأة، وشغل الوظائف العامة فى الخدمة المدنية. . ووجدنا كثيراً من مشاهير العلماء يتلقون العلم من عدد من النساء، فالشافعى وابن خلكان تعلما على بعض النساء، وابن عساكر قال إن عدد شيوخه من النساء زاد على بضع وثمانين امرأة!

وأباح الإسلام للمرأة أن تخرج للسؤال عن دينها والصلاة والعلم، وأمر زوجها ألا يمنعها ذلك: **«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»** [البخارى]، بل ذهب بعض العلماء إلى حرمة منع الزوج لها إن أرادت ذلك، وأباح بعضهم لها أن تعصيه لتحصيل العلم والصلاة.

وللمرأة المسلمة الحق فى تعلم جميع فروع العلم، بما لا يتعارض مع مقاصد الشرع، وهذا ينطبق أيضًا على الذكر، فتحريم الشرع لبعض العلوم يكون على النوعين، كقول الله تعالى: ﴿**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ**﴾ [البقرة: ١٠٢].

٩- الإسلام يمنع المرأة من ممارسة حقوقها السياسية

يؤكد خصوم الإسلام أن ديننا يمنع المرأة من ممارسة حقوقها السياسية، مستندين إلى بعض الآراء التى ترى فى ممارسة المرأة المسلمة هذه الحقوق ما يخالف أفعال النبى ﷺ وسلوك مَنْ بعده من السلف الكريم. .

● **ولهؤلاء نقول:**

ليس هناك مانع شرعى يمنع المرأة المسلمة من حق الانتخاب والترشح للمجالس النيابية، جريًا على قاعدة أنها مساوية للرجل فى جميع الأحكام الشرعية. . «ولا نجد فى القرآن الكريم ولا فى سنة النبى ﷺ الصحيحة (فيما نعلم) نصًا يمنع المرأة منه، بل رأينا الفقه الإسلامى فى مجموعه يبيح لها أن تكون (وكيلة) عن فرد أو مجموعة أفراد، وما عضوية المجالس النيابية فى حقيقتها إلا هذا»(١).

ومن المعلوم أن الانتخاب هو اختيار الناس لوكلاء لهم ينوبون عنهم فى الرقابة والتشريع، فهو بمثابة عملية توكيل، تتم من خلال صندوق الانتخابات، والمرأة المسلمة ليست ممنوعة من أن توكل آخرين للدفاع عن حقها والتعبير عن إرادتها كمواطنة لها حق كحق الرجل. كما أن إعطاءها الصوت لمن يمثلها فى دائرتها يعد بمثابة شهادة، فهى تشهد لمن أعطته الصوت بالتزكية، والصلاح، وهى مأمورة بعدم كتمان الشهادة. . ﴿**وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٨٣]. . فمن هنا صار الأمر واجبًا وضرورة.

---

(١) قضايا المرأة والطفل فى ضوء السنة النبوية، د. محمد البلتاجى ود. محمد المنسى، دار الهانى للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).

- أما من يعارضــون ذلك استنادًا إلى الآية الكريمة: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، فيرد عليهم الـدكتور يوسف القرضاوى بقوله: «هذا دليل غير ناهض وذلك لما يلى:

- **أولا**: الآية تخاطب نسـاء النبى، كمـا هو واضح، ونساء النبى لهن من الحـرمة وعليهن من التغليظ مـا ليس على غيرهن، ولهذا كان أجر الواحدة مـضاعفًا إذا عملت صالحًا، كما جُعل عذابها -إذا أساءت- مضاعفًا أيضًا.

- **ثانيًا**: أن أم المؤمنين عائشة، مع هذه الآية، خـرجت من بيتها وشهدت (مـعركة الجمل) استجـابة لما رأته واجبًا دينيًا عليها، وهو القصاص من قـتلة عثمان، وإن أخطأت التقدير فيما صنعت كما ورد عنها رضى الله عنها.

- **ثالثًا**: أن المرأة خرجت من بيتها بالفعل، وذهبت إلى المدرسة والجامعة، وعملت فى مجالات الحياة المختلفة، طبيبة ومعلمة ومشرفة وإدارية وغيرها دون نكير من أحد يعتـد به، مما يعتبره الكثـيرون إجماعًا على مـشروعية العـمل خارج البيت للمرأة بشروطه.

- **رابعًا**: أن الحاجة تقتضى من (المسلمات الملتزمات) أن يدخلن معركة الانتخاب، فى مواجهة المتحللات والعلمانيات اللائى يزعـمن قيادة العمل النسائى، والحاجة الاجتماعـية والسياسية قـد تكون أهم وأكبر من الحاجة الفردية التى تجـيز للمرأة الخروج إلى الحياة العامة.

- **خامسًا**: أن حبس المرأة فى البيت لم يُعرف إلا أنه كان فى فـترة من الفترات قبل استقرار التشريع، عـقوبة لمن ارتكبت الفاحشة. . ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء:١٥]، فكيف يظن أن يكون هذا من الأوصاف اللازمة للمرأة المسلمة فى الحالة الطبيعية؟!

إن المسلمة الملتزمة إذا كانت ناخبة أو مرشحة، يجب أن تتحفظ فى ملاقاتها للرجال من كل ما يخالف أحكام الإسلام من الخضوع بالقول، أو التبرج فى الملبس، أو الخلوة بغير محرم، أو الاختلاط بغير قيود، وهو أمر مفروغ منه من قِبل المسلمات الملتزمات.

وأن منِ حق المرأة أن تنصح وتشير، بما تراه صوابًا من الرأى، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقول هذا صواب وهذا خطأ، بصفتها الفردية، فلا يوجد دليل شرعى يمنع عضويتها فى مجلس يقوم بهذه المهمة.

إننا حين نقول بجواز دخول المرأة فى مجلس الشعب، لا يعنى ذلك أن تختلط بالرجال الأجانب عنها، بلا حدود ولا قيود، أو يكون ذلك على حساب زوجها وبيتها وأولادها، أو يخرجها ذلك عن أدب الاحتشام فى اللباس والمشى والحركة والكلام، بل كل ذلك يجب أن يُراعى بلا ريب ولا نزاع من أحد، وهذا مطلوب من المرأة فى مجلس الشعب، والمرأة فى مجلس الجامعة، والمرأة فى مجلس الكلية، والمرأة فى عملها خارج البيت أيًا كان هذا العمل»[1].

• معارضة فى غير موضعها

- وأما الذين يمنعون المرأة المسلمة من ممارسة حقوقها السياسية وتولى المناصب العامة استنادًا إلى الحديث: «**لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**»، فإنهم لم يفهموا مقصده، وأخذوا بعموم اللفظ وهو أمر ليس عليه إجماع، فإن الحديث قيل فى مناسبة خاصة، هى عندما تولت ابنة ملك الفرس حكم بلادها، فلم يكن إنكار النبى لامرأةٍ ذات كفاءة تولت الحكم، ولكن لأنها ابنة الملك التى اقتنصت الحكم بالتوريث وفى بلدها من هو أكثر كفاءة منها.. ولو كان الأمر عامًا ما احتفى

(١) مجلة لواء الإسلام، العدد العاشر، السنة الثالثة والأربعون، غرة جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ، يناير ١٩٨٩م.

القرآن الكريم بملكة سبأ ذات العقل الراجح والتفكير السليم والحلم والأناة التى قالت فى أكثر الأوقات عصبية: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

إن المنع الذى يتفق عليه جمهور علماء المسلمين، هو منع المرأة من تولى (الخلافة) أو كما يسمونها (الإمامة العظمى)؛ لأن الخليفة أو الإمام يكون من مسئولياته إمامة الناس فى الصلاة، وهو ما لا يجوز للمرأة.

أما ما عدا ذلك من أمور الحكم فإنه يجوز للمرأة، فلها أن تكون وزيرة، وعميدة ورئيسة وغير ذلك من المناصب العليا.. «بل لها أن تكون رئيسة دولة كما أفتى بعض العلماء الذين اعتبروا رئاسة الدولة تحكمها المؤسسات التى تضبط أداء الرئيس، رجلا كان أو امرأة»(١).

- وأما من يعارضون لظنهم أن المرأة تغلبها العاطفة، ولا تستطيع الحكم على الأشياء بصورة سليمة، فيما يتعلق بمن تختاره للحكم أو النيابة، فيرد عليهم العلماء بقولهم: إن هذا ليس معناه قصور العقل أو عدم الصلاحية؛ فالأنثى كالرجل يعتريها ما يعتريه من عواطف وميل بشرى، لكنها فى النهاية لديها القدرة على استعمال المنطق والعقل، خصوصًا إذا تعلق الأمر بقضايا مصيرية لها ولقومها.

- وأما من يعارضون للعوارض الطبيعية التى تعترى المرأة (دورة، حمل، ولادة، إرضاع، أمومة)، وتعطلها عن أداء مسئولياتها إن اختيرت نائبة مثلا، فيُرد عليهم بأن هذه المسئوليات إذا أسندت لامرأة فيكون ذلك لمن سلمت من هذه العوارض، فالمرأة التى ليس عندها أولاد، أو التى فرغت من تربيتهم، أو التى تخطت الخمسين ولم تعد تثقلها هذه العوارض، فلن يكون هناك ما يعطلها عن أداء هذه المسئوليات على خير وجه.

---

(١) انظر: الفتوى رقم (٦٦٧٠)، موقع (دار الإفتاء المصرية) الإلكترونى، مرجع سابق.

١٠- الإسلام لا يولى المرأة القضاء تقليلا لشأنها

يرى خصوم الإسلام أن المرأة المسلمة قليلة الشأن، متدنية الوضع.. ويستندون في ذلك إلى منعها في الدول الإسلامية من تولي وظيفة القضاء.

● **ولهؤلاء نقول:**

لا حرج في أن تتولى المرأة المسلمة وظيفة القضاء، وأن تعتلي منصته.. الأصل في ذلك كما يرى العلماء: «تساوي الرجل والمرأة فيما لم يدل الدليل القطعي (أو يغلّبه الظن الراجح) على اختصاصه بأحدهما، أو منع أحدهما منه»[1].

ولا يوجد في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة نص صحيح قطعي الدلالة، ولا ظني الدلالة بطريق عقلي راجح، يمنع من ذلك.. وإذا كان بعض الفقهاء يستندون في المنع إلى أن النبي ﷺ لم يول امرأة قضاءً ولا ولاية بلد، وكذلك فعل خلفاؤه ومن تبعوهم -فإن هذا دليل على أن الأمر ليس واجبًا.

وإذا كان الإسلام قد أذن للمرأة بالفتوى في الدين والاجتهاد فيه ونقل نصوصه ورواياتها للناس، فهو لن يمنعها من تولي القضاء، وهو درجة أقل في المسئولية بالطبع من الإفتاء الذي مارسته المرأة المسلمة في كثير من العصور من بينها عصر الصحابة الكرام.

وإذا كان هناك خوف من قلة خبرة المرأة، ومن (نقصان عقلها)، كما يرى البعض، وأن القضاء شبيه بالإمامة الكبرى التي تشترط الذكورة.. إلا أن كثيراً من العلماء السابقين واللاحقين، يرون جواز أن تكون المرأة قاضية على الإطلاق.. وحجة المحدثين في ذلك: «أن نصوص الشريعة لم تلزم النظام القضائي الإسلامي بطريقة معينة لا يتعداها، بل اكتفت بالتوجيه العام نحو تحري العدل والحكم به، وتركت أمر الإطار القضائي للمجتهدين في كل عصر.. وقد استقرت النظم القضائية الحديثة على أنه يجلس للقضاء في كل دائرة هيئة قضائية مكونة من رئيس وعضوين يتشاورون جميعًا ويتعاونون في مراحل القضية المتابعة

(١) انظر: قضايا المرأة والطفل في ضوء السنة النبوية، مرجع سابق.

لتحرى الحق والحكم به، ولو غفل أحدهم عن اعتبار ما فيها ذكره الآخران به، ولو كان الجميع ذكوراً»[(١)].

بل إن بعض النظم الغربية الحديثة تلجأ إلى نظام المحلفين، وهو نظام تكون إدارة التحقيقات فيه للقاضى، أما تكييف الحكم فيقوم به المحلفون الذين يصلون فى القضية الواحدة إلى عشرة أفراد، يُصدر كل منهم حكمه، ثم تُرفع الأحكام العشرة للقاضى ليرجح بينها.. وهنا يكون القاضى حكماً بين الحكام، وناطقاً رسمياً بالحكم قبل أن يكون قاضياً.. وفى هذا يتم تلافى ما ينجم عن (إفراد القاضى)، وهى حجة البعض فى منع المرأة من تولى القضاء، قياساً على الشهادة التى يمكن أن تضل فيها المرأة كما جاء فى آية البقرة، فتأتى هذه النظم المستحدثة لتخلى الطريق أمام المرأة لتولى وظائف القضاء دون أدنى حرج.

١١- ختان المرأة المسلمة يمثل انتهاكاً لجسدها

هذه القضية من القضايا التى اتخذها (أنصار المرأة!!) المتحررون، فرصة لشن هجومهم على الإسلام، وبث سمومهم فى جميع الأرجاء، بزعم أن هذا الفعل يمثل انتهاكاً لجسد المرأة وإهانة لها، فضلا عن أنه يحرمها من حقها فى الإشباع الجنسى.

والأمر أبسط من أن تقوم من أجله تلك المعارك، خصوصاً أنه ليس هناك إجماع فى المسألة، وليست هناك أوامر أو نواهٍ شرعية صريحة تحسم هذا الأمر، مما يعطى الفرصة لرأى الطب، العضوى والنفسى، ولتجارب الناس للاعتماد عليها عند التعامل مع القضية.

يقول الدكتور القرضاوى: «ولعل أوسط الأقوال وأعدلها وأرجحها، وأقربها إلى الواقع، وإلى العدل فى هذه الناحية، هو الختان الخفيف، كما جاء فى بعض الأحاديث -وإن لم تبلغ درجة الصحة- أن النبى ﷺ قال لامرأة كانت تقوم بهذه المهمة: «**أشمى ولا تنهكى، فإنه أنضر للوجه، وأحظى عند الزوج**» و«الإشمام» هو

(١) المرجع السابق.

التقليل، ولا تنهكى أى لا تستأصلى، فهذا يجعل المرأة أحظى عند زوجها، وأنضر لوجهها فلعل هذا يكون أوفق. والبلاد الإسلامية تختلف بعضها عن بعض فى هذا الأمر، فمنها من يختن ومنها من لا يختن. . وعلى كل حال، من تركه فلا جناح عليه؛ لأنه ليس أكثر من مكرمة للنساء، كما قال العلماء، وكما جاء فى بعض الآثار»[١].

إن عدم الإجماع على تحريم ختان الإناث أو تكريهه، يدل على مشروعيته، فمن فعله إذًا فلا جناح عليه، ولا يصح أن يقال إنه انتهك جسد المرأة أو أهانها -إلا أن يؤدى إلى ضرر، ولا يقع هذا الضرر إلا لأنه لم يلتزم بما ورد عن النبى ﷺ حينما أمر المرأة بعدم استئصال هذا الجزء البارز، أو أن تؤدى عملية الاستئصال إلى تشوه حقيقى وتلوث والتهابات قد تصل إلى الرحم وقنوات المبيض مما يسبب العقم فيما بعد، فضلا عما يسببه قطع البظر بالكامل أو جزء من الشفرة من التخلص من الأعصاب الجنسية للمرأة، مما يحرمها من الحس الجنسى ويصيبها بالبرود فتصير كالذكر المخصى وهو ما يسبب الكثير من حالات الطلاق والتفكك الأسرى.

وعمومًا فإن كل حالة تقدر بقدرها، والقول الفصل فى ذلك للطبيب الذى يفتى: إما بقطع الجزء الزائد، وإما تركه إن لم يجد هناك ضرورة تحتم ذلك.

(١) فتاوى معاصرة، مرجع سابق.

الباب الثانى

الإخوان والمرأة

- تمهيد
- رؤية الإخوان المسلمين للمرأة
- مكانة المرأة فى واقع الجماعة
- حسن البنا والمرأة
- قسم للأخوات داخل الحركة
- وسائل تربية الأخت داخل الجماعة
- واجبات الأخت داخل الجماعة
- أدوار الأخت فى مواجهة المحن
- الإخوان وقضايا المرأة المعاصرة
- رموز نسائية أفرزتها الحركة
- مفكران إخوانيان كبيران يناصران المرأة
- موسوعة (تحرير المرأة فى عصر الرسالة)
- هل حدث تطور فى فكر وواقع الإخوان تجاه المرأة؟
- تحديات تواجه المرأة الإخوانية

تمهيد

تعتمد دعوة الإخوان المسلمين على الفهم العام الشامل للإسلام، ولذا فإن فكرتهم تشمل كل نواحى الإصلاح فى الأمة، ويلتقى عندها كل محبى الخير الذين عرفوها وفهموا مراميها. .

وهم يطالبون بإصلاح الحكم، وتربية الشعب على العزة والكرامة، ويطالبون بجعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. . ويعدون أنفسهم عقليًا وروحيًا وجسديًا، اعتقاداً منهم بأن تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أن يؤديها سوى مسلم قوى البدن مثقف الفكر. . وهم يعنون بتدبير المال وكسبه من وجهه الحلال، كما يعنون بأدواء المجتمعات الإسلامية، ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها[١].

ويعتقد الإخوان المسلمون أن الاستقامة والفضيلة والعلم من أركان الإسلام، وأن المسلم مطالب بالعمل والكسب، وأنه مسئول عن أسرته، ومن واجبه إحياء مجد الإسلام، بإنهاض شعوبه وإعادة تشريعه، كما يعتقدون أن المسلمين جميعًا أمة واحدة، تربطها العقيدة الإسلامية. . وأن السر فى تخلفهم هو ابتعادهم عن دينهم.

وهم قوم ينتهجون الربانية فى حياتهم الخاصة، وفى الوقت ذاته هم اجتماعيون «يختلطون بالمجتمعات كلها على اختلاف أنواعها، ينشرون دعوتهم ويروجون لفكرتهم. . ويجاهدون فى إصلاح المجتمع الذى تنخر فيه الأمراض الاجتماعية وتفتك به العلل الأخلاقية، ضاربين المثل بأنفسهم فى البذل والتضحية»[٢].

---

(١) انظر بالتفصيل: مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا (رسالة المؤتمر الخامس)، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.

(٢) الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى، محمد شوقى زكى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٠م.

ومن أجل تكوين فرد ربانى، كما أراد مؤسس الجماعة حسن البنا -عليه رحمة الله- فقد وُضعت لذلك مناهج للإخوة والأخوات الذين يعتنقون فكر هذه الجماعة، أُخذت هذه المناهج كلها من كتاب الله، وهى واضحة الأهداف، سليمة الوسائل، تتناول تربية الفرد، والبيت والمجتمع تربية إسلامية رشيدة.. «وهذه المناهج متجاوبة مع المتغيرات يُقبل منها ما لا يتعارض مع الإسلام ويُردّ ما يخالف تعاليمه، وهى تستوعب كل متطلبات الأمة فى حاضرها، وعندما يأخذون بها فلابد أن تكون عملية، واقعية، قابلة للتطبيق»[١].

• نظرة تاريخية

ولقد ساعدت عوامل كثيرة فى ظهور هذه الجماعة، على رأسها المستعمر الذى أفسد كل شىء، وصاحبته موجات عاتية من الفساد الاجتماعى والسياسى، ناهيك عن حملات التنصير التى اجتاحت البلاد وألقت بظلالها السود على الشعب المصرى.. يقول حسن البنا: «وعقب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤/١٩١٨)، وفى هذه الفترة التى قضيتها بالقاهرة، اشتد تيار موجة التحلل فى النفوس، وفى الآراء والأفكار باسم التحرر العقلى، ثم فى السلوك والأخلاق والأعمال باسم التحرر الشخصى، فكانت موجة إلحاد إباحية قوية جارفة طاغية، لا يثبت أمامها شىء، تساعد عليها الظروف والحوادث»[٢].

وفى هذه الظروف زاد سفور المرأة واختلاطها بالرجال، وعاصرت الجماعة -منذ نشأتها- دعوات صارخة إلى التأثر بالحضارة الغربية فيما يتصل بالمرأة.. ولقد طالت هذه الدعوات، المرأة المسلمة، «بتشويه شخصيتها، بمحاولة غزوها فى دينها

(١) انظر بالتفصيل: وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، د. على عبد الحليم محمود، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٨٦م.

وخلقهـا، لخلعها منهـما وإلقائها فى حـضيض القيم والأخـلاق السائدة عند المرأة الغربية التى لا تعتز بدين ولا تهتم بحياء ولا خلق إلى حد كبير»[(١)].

ومن أجل ذلك تم استيراد كـثير من العادات والتقاليد الغـربية التى تتعارض مع ديننا وآدابنا. . فأشاعوا الملاهى والمراقص، وخرجت النساء من البيوت بلا ضابط، مبالغات فى الزينة، كاشفات عن عوراتهن، واختلط الطلاب والطالبات فى التعليم الجامعى، مما أفسد التعليم الذى تم استيراد نظمه من الغرب دون النظر إلى ما يتفق مع الإسلام وما لا يتفق معه.

ولقد أكد من عاصروا تلك الفترة أن القاهرة على سبيل المثال، تحولت إلى ماخور كبير، وخصـوصًا حى الأزبكية والوسعة، حتى ضج الناس من زوارها الأجانب، ومن الحالة الأخـلاقية المتردية التى وصلت إليـها البلاد من انحطاط ورذيلة. وفى ظل هذه الأوضاع الاجـتماعـية والسيـاسية المتـردية، نشط دعاة (تحرير المرأة)، وسعوا إلى تحقـيق أهدافهم. . «فطرحوا فى طريق المرأة المسلمة أشواكًا شائكة كـثيرة منها: أن الإسلام هضم حقـها وأنقص قدرها، والدعوة إلى الخـروج إلى ميـادين العـمل العامـة والتـخلى عن مسـئـوليات البـيت، وتحريضـها على النشوز وإسـقاط قوامـة الرجل، ودعوتهـا إلى تحديد النسل، وتشكيكها فيما شرعه الله لها من الحجاب وعدم التبرج وإباحة تعدد الزوجات والطلاق وغير ذلك»[(٢)].

وقد تعددت وسائل هذا الفـريق الداعى إلى زرع الفتنة فى قلب المرأة، فكان له رواد ورائدات، يناهضون الإسلام، ويسعـون بشتى الطرق إلى هدم المجتمع المسلم وإهالة التراب على آدابه وقيمه التى تدعو إلى العفة والطهارة.

---

(١) وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، مرجع سابق.

(٢) أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعة أمين عبد العزيز، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٥م.

- ففى سنة ١٨٩٤، أصدر المحامى مرقص فهمى كتابًا بعنوان (المرأة فى الشرق)، دعا فيه إلى: القضاء على الحجاب الإسلامى، وإباحة الاختلاط، وتقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضى، ومنع التعدد، وإباحة الزواج بين غير المسلم والمسلمة.. وقد تبعه قاسم أمين الذى دعا إلى ما دعا إليه مرقص، فيما عدا زواج المسلمة من غير مسلم، غير أنه هو الذى فتح الباب لدعوات التحرر.
- أما هدى شعراوى فكانت أول من خلع الحجاب مع سيزا نبراوى ونبوية موسى عقب عودتهن من مؤتمر نسائى دولى، وذلك عام ١٩٢٣.. وقد شاركت فى ١٤ مؤتمرًا نسائيًا دوليًا، وأسست الاتحاد النسائى (عام ١٩٢٣) الذى أنشأ ١٥ جمعية نسوية فى مصر وحدها إضافة إلى مجلتين نسائيتين.

• دور سياسى واجتماعى

وقد كان لجماعة الإخوان المسلمين دور كبير فى الرد على دعاة (تحرير المرأة)، وذلك من خلال مجلاتهم وجرائدهم، حيث تناولت كتاباتهم مقاومة السفور، والاختلاط، ونادوا بتهذيب المرأة وفق أسس الإسلام، وخصصت صحفهم بابًا ثابتًا فى كل جريدة أو مجلة أصدروها باسم (البيت المسلم)، ركزت فيه على حقوق المرأة في الإسلام وكيف أكرمها هذا الدين، وصانها وحافظ عليها..

فتحدثوا عن حقوق المرأة فى الإسلام، وأشادوا بمنزلتها وأثرها فى الإصلاح.. كما دخلوا فى مناقشات وحوارات مع دعاة (التحرير) ليثنوهم عن أفكارهم، وليبينوا لهم الفرق بين الإسلام الذى يقدر المرأة ويعلى شأنها، والمسلمين الذين يظلمونها، لجهلهم بالدين ولبعدهم عن تعاليمه.

كما كان للجماعة دور مهم، فى إنقاذ المرأة من براثن الفساد الأخلاقى، والنهوض بها خلقيًا وعلميًا واجتماعيًا.. ومحاربة مظاهر الفحش والرذيلة، وخصوصًا ظاهرة البغاء التى حاربتها الجماعة بلا هوادة وسعت للقضاء عليها بشتى الطرق:

- فأنشأت داراً للتائبات، فى بداية نشأة الجماعة بمدينة الإسماعيلية، حيث توافدت عليها كثيرات ممن احترفن الدعارة. . فقامت الجماعة برعايتهن وكفالتهن، ومساعدتهن على التوبة، وقد تزوجت الكثيرات منهن، ومن لم يتزوجن تعلمن فنون الخياطة أو التفصيل أو الطهى، وعملن بهذه المهن الشريفة.

- وكان لصحافة الإخوان دور مهم فى مهاجمة تلك الظاهرة فى صحفهم، حيث أفردت لها مساحات كبيرة فى تلك الجرائد، وقد كتب كثير من قادة الإخوان -وعلى رأسهم الإمام البنا- حول هذه الظاهرة وتداعياتها، ودور المجتمع فى القضاء عليها.

- كما شجع الإخوان، الجمعيات والهيئات التى تحارب البغاء فكتبوا فى جرائدهم، مثل(جماعة مشروع محاربة البغاء)، و(رابطة الشباب المصرى). . وقد تطوع كثير من شباب الإخوان للعمل فى هذه الجمعيات.

ولم تتوقف حملات الإخوان حتى تم إلغاء البغاء رسميًا عام ١٩٣٥.

أما أهم ما فعله الإخوان للنهوض بالمرأة، فهو إنشاء قسم الأخوات المسلمات داخل الحركة. . وهو ما سنتناوله فى الصفحات التالية.

رؤية الإخوان المسلمين للمرأة

تنطلق رؤية الإخوان المسلمين للمرأة، من رؤية الإسلام لها، فهى الأم التى ورد فى شأنها الأثر الكريم أن الجنة تحت أقدامها، والتى قدمها الله تعالى على كل من عداها فى حق صحبة الأبناء لها.. وهى الابنة التى تولد كما يولد أخوها الذكر من الصلب ذاته ومن الرحم نفسها.. وهى الزوجة التى هى سكن للرجل والرجل سكن لها[١].

وتقوم تلك الرؤية.. «على المساواة الكاملة فى الكرامة الإنسانية بين الرجل والمرأة، وأهمية العمل على الحفاظ على التمايز بينهما فى الأدوار الاجتماعية والإنسانية، دون أن يؤثر ذلك على مكانة كل منهما. ودور المرأة فى الأسرة قائم على أساس أنها المسئول الأول عن تربية الجيل الجديد، والأسرة فى حضارتنا المصرية والعربية والإسلامية هى الوحدة الأساسية للمجتمع»[٢].

ويرى الإخوان أن العبرة بالإيمان وتقوى الله وحسن الخلق، فيما يخص الفرق بين المرأة والرجل، أما الفوارق الطبيعية فهى التى تنتج عن المهمة التى يقوم بها كل منهما فى الأسرة والمجتمع.. ويردون على مزاعم بعض الأديان والمذاهب الفاسدة التى افترت على الله الكذب وادعت أن حواء عليها السلام هى التى أغوت آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة التى حرمها الله عليهما فى الجنة -بأن نصوص القرآن والثابت من صحيح السنة المطهرة تسد كل منابع هذا الادعاء الزائف وتلك الخرافات الباطلة.

---

(١) انظر: وثيقة الإخوان المسلمين حول المرأة، الصادرة عام ١٩٩٤م (ضمن ملاحق الكتاب).

(٢) القراءة الأولى لبرنامج حزب الإخوان التى تم توزيعها على بعض الشخصيات العامة فى عام ٢٠٠٧م (ضمن ملاحق الكتاب).

ويقر الإخوان بحق المرأة فى الانتخاب، وفى عضوية المجالس النيابية، وفى تولى الوظائف العامة.. ويرون أن الوظائف التى تقوم بها المرأة.. «هى نتيجة توافق مجتمعى قائم على المرجعية الحضارية والإسلامية، والنقاش حول بعض الوظائف وإمكانية عمل المرأة بها (مثل القضاء) يجب أن يكون حالة من الحوار الاجتماعى والشرعى، للتوصل إلى توافق مجتمعى تشارك فيه المرأة والرجل بالرأى والقرار»[(١)].

ويهتم الإخوان المسلمون بالمرأة عمومًا؛ لإدراكهم خطورة مهمتها فى إعداد النشء وإقامة البيت المسلم؛ وكذلك لأهمية دورها الإصلاحى فى المجتمع وفى التواصل مع الأمة الإسلامية، وهم لذلك يرفضون تعرضها لأى عنف أو اضطهاد، ويساعدونها على تحقيق دورها المهم المنوط بها، ويعدونها لمهام المستقبل، ولأداء دورها على أكمل وجه.

ويرى الإخوان أن المرأة متساوية مع الرجل تمامًا فى مجال الدعوة والإرشاد، إن لم تفقه أحيانًا.. ويقولون فى ذلك: «إن الدين لم ينزل للرجال فقط، وإنما نزل للرجال والنساء»، وأن التكليف للرجال والنساء على السواء.. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، ودعوة النبى ﷺ كانت موجهة للنوعين.. ولذا لم تغفل الجماعة هذا الأمر، وانطلقت فى إعداد المرأة لتحمل تكاليف الدعوة ومسئولياتها، بإعداد البيت المسلم فى تفكيره وعقيدته، وفى خلقه وعاطفته، وفى عمله وتصرفه.

وينبع اهتمام الجماعة بالأخوات من شمولية المنهج الإسلامى، وإذا كانت المرأة أدرى بنفسيات النساء، فإنها تستطيع أن تصل إليهن بسهولة، كما يمكنها مخالطة بنات جنسها والدعوة بينهن فى كل الظروف والمناسبات، ويمكنها إبلاغ الأحكام

---

(١) المرجع السابق.

الشرعية المتعلقة بهن دون حرج. . «والمرأة -فى الجملة- أكثر اهتمامًا بدينها من الرجل، ويبدو أن ما حباها الله وخصها به من مشاعر الحنان والرحمة والرقة، جعلها أقرب إلى الفطرة الدينية من الرجل. . وهذا ما يجعلنا نؤمن بأن الغزو الحضارى الغربى، الفكرى والاجتماعى، الذى استطاع أن يهزم المرأة المسلمة فى عقر دارها، ويجعلها تتحلل من لباسها الشرعى وتقاليدها الموروثة، لم ينتصر نهائيًا، ولم يُفقد المرأة المسلمة عاطفتها الدينية، ولا عقيدتها الإسلامية»(١).

• دور ريادى

والرجل والمرأة فى دعوة الإخوان المسلمين، يمثلان جناحى العمل الإسلامى، وتهميش المرأة يعنى ضعف الحركة وحصرها فى فئات معينة، فالعمل النسائى يقوم بدور ريادى فى نشر الوعى الدينى وحل المشكلات المختلفة. . «ومن هنا فلابد أن يكون الصف الإخوانى عبارة عن إخوة وأخوات، خصوصًا أن المرأة مستهدفة تمامًا مثل الرجل، بل أكثر منه؛ لأنها هى التى تربى الرجال، وهى التى تُستخدم -فى الوقت ذاته- من الجهات المعادية للإسلام لإشاعة الرذيلة، وغيرها من مساوئ المجتمعات الغربية التى نقلوها لنا عبر المرأة»(٢).

المرأة إذًا فى الإخوان، هى شريكة الرجل، لها رسالتها التى ربما فاقت رسالته، فهى التى ترضع أبناءها لبان الدعوة، وهى التى تحمل البيت عندما يغيب الرجل. . ولها دورها التربوى فى إعفاف زوجها، كما لها دورها الدعوى الفاعل فى محيط المجتمع. . «هى إذًا ليست جارية فى البيت وليست كمًا مهملا وطاقة معطلة كما يحاول أعداء الإسلام أن يصوروها، إنها إنسان سوى له رسالة وقد شرفت بحمل عقيدة يوم أن حملتها مع الرجل»(٣).

---

(١) فتاوى معاصرة، مرجع سابق.

(٢) الداعية محمد حسين، فى حوار لموقع (إخوان أون لاين) الإلكترونى فى ١٩/٢/٢٠٠٤م.

(٣) انظر: الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، محمد عبد الحكيم خيال ومحمود الجوهرى، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.

مكانة المرأة فى واقع الجماعة

تحظى المرأة الإخوانية بمكانة من النادر وجودها فى أى مجتمع من المجتمعات أو بيئة من البيئات الأخرى، حتى اعتاد بعض الإخوان ترديد عبارة (الإخوان دللوا الأخوات) اعتراضًا على المنزلة الكريمة التى أنزلتها الجماعة الأخت المسلمة.

فمن سنة الجماعة تهيئة كل الظروف لصون المرأة، وجبر خاطرها، وحفظ كرامتها، فهى التى يُسمع لها أولا، وهى المقدمة على الرجل فى إجابة الطلبات، فإذا تعرضت لأذى هبت الجماعة لنصرتها. ومشكلاتها -إن كانت زوجة- تصل إلى مسئولى الجماعة قبل أن تصل إلى أهلها.

لقد تبوأت الأخت هذه المنزلة الاجتماعية العالية، منذ أن نادى حسن البنا بجماعته، وقد كان هو نفسه -رحمه الله- مثالا عمليًا فى الاهتمام بالمرأة عمومًا وبأهل بيته خصوصًا كما سنرى فى الصفحات المقبلة.

ولقد سارت الجماعة من بعده على هذا النهج فى التعامل مع المرأة، والذى استقاه المرشد الأول بعناية وتمحيص من كتاب الله تعالى وسيرة نبيه ﷺ.. حيث تلزم الجماعة أعضاءها بالسير على هذا النهج، فالأخ ملتزم التزامًا تامًا بما أمر به الإسلام تجاه المرأة، من احترامها وتقديرها، والحفاظ على مشاعرها واللطف بها.. وهناك أوراد لمحاسبة الأخ، يتفقد خلالها مسئولو الجماعة أحواله ومن بينها علاقته بأهله وأبنائه وماذا فعل بهم، وهل هو مقصر فى حقهم أو غير مقصر.. وهناك آليات لضبط العلاقة بين الأخ وزوجته، تبدأ هذه الآليات منذ الخطبة وتمتد خلال سنى الزواج، لمتابعة ما يطرأ على تلك العلاقة من أزمات، ثم علاجها فى بداية ظهورها -إن وجدت.

وللحق فإن المكانة الكبيرة للمرأة فى المجتمع الإخوانى، ساعدت فيها أيضًا طبيعة تلك المرأة، من حيث تفوقها على قريناتها فى كثير من الأمور؛ فهى تسعى دائمًا لإصلاح نفسها، ثم بيتها، ثم المجتمع الذى تعيش فيه، مما يجعلها مقبولة، تتمتع بالاحترام وتحظى بالاهتمام من قِبل الزوج ومن جانب المجتمع.. ثم هى تتمتع بالفهم الصحيح للدين الإسلامى، وتتمتع بفرص عديدة لتنمية ثقافتها وترشيد أفكارها بطريقة وسطية بعيدة عن التطرف والتحيز والجهل.. كما أنها لا تنساق وراء الدعايات الفاسدة من دعاة (حقوق المرأة)، بل هى فى الحقيقة خصم لهذه الدعوات.. وهى ذات رؤية واضحة لما يقع حولها من أحداث، وتتمتع بكامل الحرية التى أعطاها لها الإسلام، وسط محيط من المنتسبين للحركة، الحريصين على تطبيق قواعد الدين الصحيح.

وتهتم جماعة الإخوان المسلمين اهتمامًا كبيرًا بما يسمى (ملف البيت المسلم)، الذى تعتلى فيه المرأة الإخوانية أعلى درجاته، وهذا الملف لا يخلو منه منهج من مناهج الإخوان، سواء للإخوة أو الأخوات، ويلقى من الدعم والمتابعة الكثير والكثير.. فالأخ مطالب بحمل أهله على احترام فكرته؛ لأن الأهل والأولاد والخدم هم مؤيدو الدعوة، الواقفون وراءها.. «وإذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة، وإنما الأمة مجموعة من الأسر، وإنما الأسرة أمة مصغرة، والأمة أسرة مكبرة»[1].. ولن يكون ذلك إلا بتكوين البيت المسلم القدوة فى كل مظاهر الحياة، أما عماد هذا البيت فهو الزوجة، التى لابد أن تكون محبة راغبة فى الفكرة ومن يحملونها وفى مقدمتهم ذلك الزوج.. والأخ والأخت معًا مطالبان بالقيام بواجباتهما، كل نحو الآخر، وأن يحسنا حل المشكلات والخلافات الزوجية فيما بينهما.

● أمثلة من الداخل

ولقد أفاضت أدبيات الإخوان فى إظهار المكانة الرفيعة للمرأة، حتى جعلوها ثقافة عامة بين الناس، وشتان بين امرأة اليوم والمرأة قبل ظهور دعوة الإخوان، التى كانت أفكارها ورؤاها حول المرأة يوم ظهورها تمثل ثورة اجتماعية قلبت

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، مرجع سابق.

الموازين وأزاحت العديد من العادات الجائرة التى كبلت المرأة وأرهقتها . . يقول أحد شعراء الإخوان ممتنًا للمرأة متحدثًا عن مكانتها فى قلبه[١]:

وقالت لى (الأخت) لما رأتنى ... قصرت حديثى لصنف الذكور:
ألسنا شريكات هذى الحياة ... فمالك تنسى ذوات الخدور؟!
أجبت بأنى لهن الفداء ... فهن الحنان وهن الطهور
وما كنت أنسى رفيقات دربى ... وما كنت أنسى رحيق الزهور
فـ (حواء) أمى وأم الخليقة ... كانت لـ (آدم) نعم العشير
وتاب عليها الإله الكريم ... كما تاب عنه العزيز الغفور
و(سارة) زوج (أبى الأنبياء) ... ترافقه فى عناء المسير
ومن نسلها جاء جمع غفير ... من الأنبياء بمر الدهور
و(هاجر) نعم الشريك الصبور ... وقد أسلمت للعزيز القدير
و(فرعون) لما طغى فى البلاد ... أبت (زوجه) ظلمات القصور
و(مريم) فى طهرها لا تُبارَى ... بإخبات قلب وروح طهور
و(زوجات طه) النبى الكريم ... رفيقات طهر وباقات نور
فـ (حواء) أمى وأختى وزوجى ... وبنتى التى بالضياء تسير

ولقد وضع أحد خبراء الإخوان[٢] ميثاقًا عمليًا لتعامل الأخ مع زوجته، تشى كلماته بما عليه المرأة الإخوانية من مكانة عالية . . ننشره هنا كنموذج

(١) رسالة إلى أختى (ديوان شعر)، د. محيى الدين زايط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٤م.
(٢) هو الأستاذ محمد حسين، الداعية الإخوانى المعروف، صاحب كتاب (العشرة الطيبة)، وهو متخصص داخل الحركة فى شئون البيت المسلم، وله خبرة واسعة فى هذا المجال.

من بين نماذج عديدة يتم تطبيقها على الأسر الإخوانية، وتحظى بالمتابعة الجيدة:

١- أن ينوى دائمًا التعامل مع الزوجة لوجه الله تعالى، وفاء لعهده فى عقد الزواج على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٢- أن يعتاد سؤال نفسه: لو كان الرسول القدوة مكانى الآن، ما كان يفعل؟ فإذا استحضر الإجابة اختار فعلها وحاول تطبيقها.

٣- أن يكون معها دائم البشر، ملازم الابتسام خاصة عند دخوله البيت.

٤- يحرص على ألا يجرح مشاعرها أو يكسر خاطرها، ويراعى أحوالها.

٥- يحترم آراءها، ولا يسفه أقوالها ووجهة نظرها، ويريها فيما فيه مصلحة أنه أخذ بها، ويشاورها فى شئونه استجلابًا وتدعيمًا للثقة بينهما.

٦- يستمع لها، ويعوّدها أن تعرض عليه أمورها، وينصح لها، ولا يُلزمها بتنفيذ آرائه فيما يخصها، مثل تصرفها فى أموالها الخاصة، أو علاقاتها الشخصية بصديقاتها إذا كان ذلك لا يؤثر على العلاقة الزوجية أو لا يمثل مخالفة شرعية.

٧- يخصها ببعض أسراره الشخصية التى لا يضره التصريح لها بها؛ لتأكيد الثقة ولكى تبادله الأمر، وليزداد التجاوب النفسى، ولا يدع للشيطان مجالا لإقناعها أنه لا يزال هناك صندوق مغلق فيزداد تلهفها وقلقها على فتحه.

٨- يتعهدها بالهدايا فى حدود الإمكانات، ولو بقطعة حلوى؛ إدامة لأيام البدايات الحلوة، أيام الخطبة، وعقد الزواج وشهر العسل، وحبذا لو تخير ما تحبه وتشتهيه، من فاكهة أو مأكولات، مع خطاب مطوى يفاجئها بذكر أيام الهناءة والسرور، ليعيد إليها إشراق الحياة داخل البيت.

٩- يحرص على تذكر المناسبات الطيبة التى تخصها أو تخصهما معًا، وإبداء الفرح وما يناسب ذلك من تعبير.

١٠- يناديها بما تحبه من الأسماء، وخاصة اسم الدلال الذى تحبه، ولا يخجل أن يذكر اسم الدلال أمام أهله وأهلها.

١١- يُكثر التعبير لها عن حبه إياها بألفاظ رشيقة ومختارة بينه وبينها، ولا يحجب حبه لها عن الآخرين، ولنا فى رسول الله ﷺ قدوة مع زوجاته، وعائشة خاصة - رضى الله عنهن- فقد كان ﷺ يعبر عن حبه بالقول والفعل أمام أصحابه، فلا خجل من حب الزوجة وإبدائه، فإن ذلك من سنن النبى ﷺ وهديه.

١٢- يتعهد الأوقات، ليجعل معها وقتًا ملائمًا للسرور والاختصاص بها، بخلاف أوقات حجرة النوم، لاستعادة الذكريات الجميلة.

١٣- مصاحبتها والخروج معها خارج البيت للتنزه، على انفراد تارة، وتارة أخرى بصحبة الأولاد أو الغير، وكذلك لزيارة أهلها أو أهله أو أصدقاء الأسرة.

١٤- يعطيها مصروفًا خاصًا، مهما كانت فى غير حاجة إليه.

١٥- يبالغ فى مدحها والثناء على أعمالها فى البيت، ويشكر لها صنيعها فى خدمته وخدمة أولادهما وضيوفهما.

١٦- يجاملها بالمدح والثناء على مظهرها المحبوب له، وجمالها فى ثيابها واختيارها ملابسها الخاصة، وتجليها فى زينتها وحرصها على إدخال السرور عليه، حتى يستديم ذلك منها ولا تمله لعدم انتباهه لما تقدمه له وتخصه به.

١٧- ينفذ معها وصية النبى ﷺ : «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا..**» فيبدى معها بعض التساهل فيما ليس فيه معصية لله، ويتغافل عن بعض حقوقه ومطالبه شفقة ورحمة بها، ويتسامح فى بعض ما له عليها فلا يُكثر من عتابه لها، خاصة أمام أولاده وأمام الغير.

١٨- يُظهر الشفقة عليها عند مرضها، أو أثناء حملها، وأيام عادتها الشهرية، أو لظهور الإرهاق عليها، أو عند شكواها له، ولا يستهين أو يبدى تبرمه من

تكرار ذلك منها؛ فهى فى هذه الأوقات والأحوال أحوج ما تكون للشفقة أو التعبير بالكلمة الطيبة.

١٩- يكرم أهلها ويتحملهم بقدر الطاقة، ويبدى لهم ولها السرور، ويثنى عليهم أمامها وفى غيبتهم، ويحضها على وصلهم والإحسان إليهم، ولا يُشعرها بفارق المستوى إن كانوا أقل من مستواه، بل يبالغ فى احترامهم.

٢٠- يحرص على مساعدتها بالقيام ببعض مهام البيت، أو بشراء بعض المستلزمات، أو الوقوف والجلوس معها أثناء قيامها بذلك، لإشعارها بأنها ليست مثل الخادمة، وأن هذا العمل لا مهانة فيه، ولكى يتواضع مع أهله اقتداءً بالنبى ﷺ.

٢١- يتزين لها ويحرص على إرضائها فى مظهره؛ لأنها تحب منه مثل ما يحب هو منها، من حيث النظافة والتعطر وغسل الأسنان والتنقية من الروائح وجمال الملبس.

٢٢- يتيح لها التمتع معه فى حجرة النوم ويُكثر المداعبة والملامسة وإبداء الرغبة.

٢٣- الغضب جمرة من النار، والغضب من الشيطان، والشيطان من نار، والإنسان عندما يتمكن منه شيطانه فيغضب ينقلب إلى كائن آخر يتقمصه شيطانه فيُنطقه بما يريد، ويجعله يفعل ما يمليه عليه، فالتى كنت تعرفها قبل الغضب غير الزوجة المغضبة، فاستنقذ زوجتك من شيطانها وسيطرته عليها، فهى الآن وقت غضبها، ضعيفة منخذلة، فأشفق عليها فهى فى خطر، واغضب على شيطانها لا عليها.

٢٤- إذا رفعت زوجتك صوتها عليك فتحمل ذلك منها؛ لأنك لا تدرى ما دوافعها، ثم بعد الهدوء علِّمها وطالبها بحقك من التوقير.

٢٥- بادر أنت بمصالحتها بعد تعكير الصفو الزوجى؛ فلا تخلو علاقة فى الدنيا من التعكير بعد الصفاء، تواضع لله؛ فليس بين الزوجين كبر وتعاظم وقد

أفضى بعضهم إلى بعض وانكشف بينهما ما لا يطلع عليه غير الله سبحانه.

٢٦- لا تعاقب كثيرًا، ولا تجادل ولو كنت محقًا، وكن كبيرًا تصغر مشكلاتك، وكن رفيقًا ودودًا معلمًا لها الدين والخلق[١].

• شهادة للإعلامية كريمان حمزة

ونترك الكلام هنا للسيدة كريمان حمزة الإعلامية المعروفة التي تزوجت في فترة من حياتها أحد الإخوان[٢]، فأثنت عليه ثناءً كبيرًا، بما يمثل شهادة منها -وهي ليست من الإخوان- للزوج ورب الأسرة الإخواني في تعامله الكريم مع المرأة: تقول تحت عنوان (السنين الخضراء):

«عشت هذا الجو الإسلامي البديع ست سنوات ونصف السنة، مرت كأنها يوم واحد.. والذي لا شك فيه أن عِشْرَةَ هؤلاء الأفاضل وهذه النوعية من البشر داوت جراحي، وأمدتني بالصحة النفسية والبدنية، وقوّت إيماني بالله العلي العظيم.. بل إنني أعترف أن هذا الجو النقي قد دفعني إلى إنتاج متواصل، فطبعت أكثر من سبعة كتب للأطفال، كما تمكنت من إخراج أربعة كتالوجات للأزياء المحتشمة، وطبعت كتاب (نيجار والغابة) أربع طبعات، ثم شرعت في كتابة موسوعة (سيد الخلق) من خمسة أجزاء»[٣].

---

(١) ميثاق الأسرة، محمد حسين، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

(٢) هو اللواء شرطة كمال عبد الرازق -رحمه الله.

(٣) تزوجت مجرمًا، كريمان حمزة، نشر المؤلفة، ٢٠٠١م.

حسن البنا والمرأة

ظهرت جماعة الإخوان المسلمين على الساحة عام ١٩٢٨، والمجتمع يتنازعه طرفان: طرف منفتح على الغرب، فرحٌ بمباذله، لا ينظر إلا لعرى نسائه وشذوذ أفكاره، راغب -بشتى الوسائل- فى نقل هذا الشر إلى بلادنا وتحبيب الناس فيه أو إرغامها عليه.. وهناك طرف آخر مسكين يرى أدب المرأة وتهذيبها فى حبسها بالبيت ومنعها من العلم، وفرض النقاب على وجهها وعقلها فى آن واحد.

فى هذه البيئة المتناقضة أعلن حسن البنا ميلاد دعوته، التى كانت روحًا جديدة، أيقظت الغافل، ونبهت الآثم، ودعت الناس إلى كلمة سواء.. فمنهم من استجاب فقدم نفسه وما يملك فداءً للدعوة، ومنهم من كان حربًا على الجماعة وزعيمها.. لكن البنا -رحمه الله- كان ذا روح وثابة وهمة تعادل همم الألوف من البشر، فما التفت لمن يلقونه بالحجارة، ولكن شرع فى إزالة الغبار عن الصورة الجميلة للإسلام التى أهال عليها التراب: الهالكون الغامزون اللامزون للدين، والناسكون الجاهلون الذين يقصمون الظهر ويؤخرون الأمة.. وكانت المرأة جزءًا أصيلا من هذه الصورة البديعة..

وعندما أسس -رحمه الله- أول دار للدعوة فى الإسماعيلية وأنشأ مسجدًا، أتبع ذلك ببناء مدرستين، إحداهما للبنين سماها (معهد حراء الإسلامى) والأخرى للبنات أطلق عليها (مدرسة أمهات المؤمنين)، وقد عنى بهذه المدرسة عناية كبيرة حيث لم تكن فكرة تعليم البنات قد وضحت بعدُ فى أذهان الناس، فوضع للمدرسة منهاجًا إسلاميًا عصريًا يجمع بين أدب الإسلام وتوجيهه السامى للبنات والأمهات والزوجات، وبين مقتضيات العصر ومطالبه من العلوم النظرية والعلمية والعملية.. وقد أدت المدرسة رسالتها حتى تسلمتها بعد ذلك وزارة المعارف.

ولم تكن الدعوة قد انتقلت بعد إلى القاهرة، عندما أنشأ فى الإسماعيلية بيتًا للتائبات، إيمانًا منه بدور الدعوة فى استنقاذ المسلمين، وكفالتهم، والأخذ بأيديهم إلى بر النجاة. . . ففى حى العرب، وهى منطقة الإخوان، أصبح الناس يذهبون للصلاة، فتوقف عمل بيوت البغاء لقربها من المسجد، ثم كونت العاملات بالبغاء وفدًا وقابلن الإمام البنا يشكين له ضيق الحال بعد التوقف عن العمل فقال لهن: «الحل موجود عندنا. . هل تردن أن تستمررن فى عملكن أم تردن أن تتبن؟»، فقلن: نريد أن نتوب، فأجَّر لهن الإمام منزلا من ست حجرات، ووفر لهن أسباب المعيشة كلها، وسلم إدارته للأستاذ (يوسف طلعت)، وعرض عليهن تعلم حرفة، ووفر لهن سبل ذلك.

وبعدما انتقلت الدعوة إلى القاهرة، كان على البنا مواجهة سيل الإباحية الذى أفرزه تيار التغريب، بالرد على هذا التيار ومواجهته من ناحية، وبإعادة المرأة إلى طريقها الصحيح، البعيد عن الإسفاف والعبث بها من ناحية أخرى. . لقد استقرت الجماعة فى القاهرة فى وقت ظهرت فيه السينما والمسارح، وقد أبلت هاتان الوسيلتان بلاءً كبيرًا فى تصوير المرأة على أنها رمز النزوات والمغامرات العاطفية، وقد استقر فى الأذهان أن الحب هو العلاقات الجنسية المحرمة. . ومع تقدم هاتين الوسيلتين، ازداد انحراف النساء وزاد التبذل والفسق.

• البنا وقضايا المرأة

خاض البنا منذ قدومه إلى القاهرة معارك اجتماعية عديدة، ركز فى كثير منها على قضايا المرأة، خصوصًا أن بداية ظهور جماعته صادفت إعلان صفية زغلول خلع حجابها، وإصدار قاسم أمين كتابيه عن المرأة، وتفشى الاختلاط والسفور بصورة مقلقة، وظهور أنماط من التعليم الغربى تسعى سعيًا حثيثًا لإفساد الشباب المصرى ولاسيما أبناء وبنات الموسرين[1]. . وقد صادف -من جهة أخرى- تحريم

(١) نشرت أمريكا وقتها أكثر من (٢٠٠) مدرسة، كانت تسمى (مدارس الأمريكان)، سعت عن طريقها إلى نشر النموذج الأمريكى فى العلاقة بين (الرجل والمرأة).

قطاع لا بأس به من المجتمع خروج المرأة واعـتبار تعليمها مفسـدة. . وكان مجمل هذه المعارك إقرار البنا -استنادًا إلى صحيح الشرع- بما يلى:

- حق المرأة المسلمة فى التعلم، وحقها فى الخروج والعـمل أعمالا تناسبها وتخدم المجتمع، بزيها وهيئتها التى فرضها عليها الدين.

- المساواة بين الرجل والمرأة، إلا فى الفروق البدنية بينهما، والتى تفرق بالتالى فى رسالة وعمل كل منهما، فهى من طيـنة الرجل، ومساوية له، هى كائن كما هو كائن، ولهـا مهمـة كما له مـهمة «فـالإسلام قد جعل المـرأة قرينة الرجل، فى أصلها، وفى وجودها، وفى حقوقها العـامة، وأقر الإسلام ما بينها وبين الرجل من رابطة، ووضع الحقـوق العملية، ووضع التشـريعات واجبة التنفـيذ للمرأة، على أساس يحفظ كرامتها، ويضفى عليهـا خصائصها النسوية الأنثوية، ثم أدبها الإسلام أكمل الأدب»(١).

- حق المرأة فى الجهاد- إن تطلب الأمر ذلك.

- حق المجتمع فى منع الاختلاط، والخلوة، والتبرج، والخلاعة.

- علاج قضيـة المرأة لابد أن يتم وفق تعاليم الإسلام، حتى لا تُترك هذه الـقضية التى هى أهم قضـايا الاجتـماع تحت رحمـة الأقلام المغرضـة والآراء الشاذة بين المفرطين والمفـرِّطين. . «فالإسلام حين يضـع هذه التعاليم والقـواعد لا يضعـها للرجال ويدع النساء، ولكن الصنفين فى هذه الناحية الفردية فى الإسلام سواء، فعلى الأخت المسلمة أن تكون كـالأخ المسلم فى دقة وجدانها، وسمـو إدراكها، ومتانة خلقها، وسلامة بدنها»(٢).

(١) أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، مرجع سابق.

(٢) انظر رسالتَىْ: «دعوتنا فى طور جديد» و«نحو النور»، ضمن مجمـوعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، مرجع سابق.

• كتابات المرشد حول القضية

أما كتابات البنا فى الصحف والمجلات حول قضية المرأة فهى أكثر من أن تُحصى.. وقد واجه فيها أكاذيب الزاعمين بدعاوى تحرير المرأة، ونقض آراءهم، وكشف الأهداف الخفية التى كانوا يسعون إليها، وطرح رأى الإسلام فى العديد من القضايا، كالاختلاط، والتعدد والطلاق، ونصيب المرأة فى الميراث، وحظها من الشهادة..

أما أهم ما كتب فهو (رسالة المرأة المسلمة)، وهى رسالة جامعة، أكد فيها أن الإسلام يرفع قيمة المرأة ويجعلها شريكة الرجل فى الحقوق والواجبات، فهى منه وهو منها ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وأكد أن تكوين كل من الرجل والمرأة، الجسمانى والروحى، هو الذى يحدد دور كل منهما.. أما غير ذلك فهما متساويان فى الحقوق والواجبات.

وأكد فى هذه الرسالة أيضًا، ضرورة التفريق بين المرأة والرجل، بمنع الاختلاط الفاسد، الذى يجر المخاطر ويقود إلى الضياع.

ويرى أن المهمة الأساسية للمرأة، هى بيتها وأطفالها، «فهى كفتاة يجب أن تُهيأ لمستقبلها الأسرى، وهى كزوجة يجب أن تخلص لبيتها وزوجها، وهى كأم يجب أن تكون لهذا الزوج وهؤلاء الأبناء وأن تتفرغ لهذا البيت، فهى ربته ومدبرته وملكته.. ومتى فرغت المرأة من شئون بيتها لتقوم على سواه؟!»(١).

ولقد عنى البنا عناية خاصة بالبيت المسلم، وأولاه اهتمامًا يفوق باقى اهتماماته، يظهر ذلك فى كتاباته -على قلة ما كتب- فهو يرى أن النهوض بالبيت المسلم وبركنيه: الرجل والمرأة، هو أصل مهم من أصول الإصلاح الاجتماعى الكامل، ويكون ذلك «بإعلان التكامل والمساواة بينهما، وتحديد مهمة كل منهما تحديدًا دقيقًا»(٢)، وبالتزود بالعلم والمعرفة لكل منهما فى فنون الحياة المختلفة، كلٌ

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: رسالة بين الأمس واليوم، ضمن المرجع السابق.

فيما يليق به، وبصبغ البيت المسلم صبغة إسلامية خالصة، فى تفكيره وعقيدته، وفى خلقه وعاطفته، وفى علمه وتصرفه.

وهو يرى أن أفضل العمل المطلوب من الفرد الإخوانى أن يقيم بيتًا على مبادئ الإسلام فى مظهره ومخبره، ففى رسالة التعاليم يقول تحت عنوان: العمل المطلوب من الأخ الصادق: «تكوين بيت مسلم، بأن يحمل أهله على احترام فكرته، والمحافظة على آداب الإسلام فى كل مظاهر الحياة المنزلية، وحسن اختيار الزوجة، وتوقيفها على حقها وواجبها، وحسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام، وذلك واجب كل أخ على حدته»[1].

• جوانب عملية

أما الجوانب العملية لاهتمام البنا بقضايا المرأة، فنراها واضحة جلية فى تأسيسه فرق الأخوات، التى صارت قسمًا بعد ذلك.. وتوليه عام ١٩٤٣ التدريس - أسبوعيًا- لما يقرب من ١٢٠ أختًا، فى مدرسة خاصة، كن نواة القسم الذى يعمل بكفاءة منذ عام ١٩٤٤ حتى الآن، ويضم مئات الألوف من النساء، يقمن بالدعوة فى سبيل الله، ونشر آداب الإسلام وقيمه، ويضربن بأنفسهن المثل فى وقار المرأة المسلمة وقوة شخصيتها.

وفى الوقت الذى كانت فيه المرأة المصرية إما حبيسة البيت غارقة فى الجهل والتخلف، وإما شاردة مع الشاردات ممن ابتلين بمحنة الانفلات الغربى، نظم البنا عددًا من رحلات الحج، أشرك فيها النساء، لتكون بمثابة مظاهرة لإعلان عهد جديد من العلاقة بين الرجل والمرأة، تلك العلاقة التى أشهرها الإسلام منذ مئات السنين، ثم افتأت عليها أقوام معاصرون، إما بالجهل وإما بالشرود..

- ففى سنة ١٩٣٦، دعا البنا، الإخوان إلى أداء الفريضة فلبى الدعوة مائة من الإخوان، كان من بينهم ثمانى عشرة امرأة.

---

(١) انظر: رسالة (التعاليم)، ضمن المرجع السابق.

- وقد تكررت هذه الرحلة، وتكررت مشاركة النساء بأعداد أكبر في أعوام: ١٩٤٥، ١٩٤٦، ١٩٤٩م.

أما بيت حسن البنا، فكان ترجمة عملية لما يعتقده من تكريم الإسلام للمرأة وحفاوته بها .. تزوج رحمه الله من (لطيفة)[١] ابنة (حسين الصولى)، أحد رفقائه فى الدعوة وذلك بمدينة الإسماعيلية فى يناير عام ١٩٣٢، وكان أمر الزواج سهلا بسيطًا، كما ذكر ذلك فى كتابه (مذكرات الدعوة والداعية).

ويشهد من عاصر الإمام الشهيد، أنه كان مربيًا من طراز فريد، سمحًا، كريمًا، مع أهله وأولاده.. فهو رغم انشغالاته يقوم على شئونهم ويلبى طلباتهم، ويهتم بهم اهتمامًا عجيبًا.

رزقه الله تعالى ولدًا واحدًا (سيف الإسلام) وخمس بنات: وفاء، ثناء، هالة، رجاء، واستشهاد التى وُلدت بعد قتله.. فكانت البنات نماذج رائعة للمرأة المسلمة، تربين فى جو إسلامى صحى، يعامل المرأة كما أمر الله ورسوله، فخرجن للحياة فخورات بهذا الدين، وبوالدهن الذى انتشلهن وبنات جنسهن من مهاد الإباحية والتخلف.

أما الزوجة -رحمها الله- فقد حملها الزوج على حب الدعوة وافتدائها، وما كان ذلك إلا لحبها لـلقائد وقناعتها بفكره، وللطف وحسن العشرة اللتين كان يتصف بهما.. لقد كانت تحتمل غيابه ومبيته خارج البيت لأسابيع، وكانت تشاركه هموم دعوته، وتقدم مصلحة الدعوة على مصلحة بيتها ونفسها، ولم يكن

---

(١) السيدة لطيفة الصولى: حرم الإمام الشهيد حسن البنا، تزوجا عام ١٩٣٢ بالإسماعيلية، وترافقا كزوجين وكحارسين للدعوة لمدة سبعة عشر عامًا، حتى قتل الزوج غيلة عام ١٩٤٩، ففُرضت الحراسة على بيتها لسنوات، احتلوا خلالها البيوت المجاورة، بل مطبخ البيت الملاصق لهم، ولم يُسمح لمدة عامين لها ولغيرها بمغادرة البيت، أو أن يتصل بها أحد من خارجه، وقد وضعت مولودتها الأخيرة (استشهاد) بعد استشهاد الإمام، ثم أصدروا أمرًا بهدم بيتها لتُطرد مع أولادها إلى الشارع. عانت -رحمها الله- أمراضًا عدة.. حتى ماتت عام ١٩٦٨.

بيتها يخلو ساعة من ضيوف تقوم على خدمتهم وضيافتهم.. تقول ابنتها (ثناء) في حوار لمجلة (لواء الإسلام):

«ويذكر لوالدتي -يرحمها الله- أنه عندما قام والدي بتأسيس المركز العام للإخوان المسلمين، طلبت منه أن يأخذ كثيراً من أثاث البيت عن طيب نفس، ليعمر به المركز العام، فنقل السجاجيد والستائر والمكتبات، وكثيراً من الأدوات، وكانت سعيدة بذلك غاية السعادة..

لقد كانت -رحمها الله- تعتبر أي فرد من أفراد الجماعة هو أحد أبنائها، وأذكر أنه عندما كانت تأتي أخت من الأخوات لتشتكي من زوجها، كانت أمي تناقشها وكأنها أمها، وفي الوقت نفسه حماتها، وتبادر بالسؤال: ماذا فعلت أولا في ابني فلان حتى تصرف معك هذا التصرف؟!، وكانت تشارك الإخوان أفراحهم وأحزانهم، فكانت فرحة أي بيت من بيوت الإخوان هي فرحة في بيتنا، وأي مصيبة هي مصيبة في بيتنا كذلك»[1].

(١) مجلة لواء الإسلام، العدد التاسع، السنة الثالثة والأربعون، غرة جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ، ١١ ديسمبر ١٩٨٨م.

قسم للأخوات داخل الحركة

يعتبر الإخوان المسلمون، العمل الدعوى النسائى ضرورة من ضرورات الدعوة، وهو مسئولية الرجل والمرأة على السواء، وتكليف مشترك وإن اختلفت درجاته ومهامه.. فالآية: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، تؤكد أن القائمين على الحق الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، هم الرجال والنساء.. فكان لزامًا على الجماعة -التى عاصرت منذ نشأتها صراعًا بين دعاة التغريب من جهة ودعاة الدفاع عن القيم الاجتماعية النابعة من الإسلام من جهة أخرى- أن (تنظم) عمل المرأة، لخوض العديد من المجالات التى أبعدت فيها المرأة المسلمة عن دينها وقيمها.

كانت خطة الجماعة الاعتناء بالمرأة، كعنايتها بالرجل، فكونت لذلك أول (فرقة للأخوات المسلمات)، وذلك فى ٢٦ من أبريل عام ١٩٣٢م، بمدينة الإسماعيلية، أعدت لها لائحة داخلية[١] نظمت العمل فيها، وحددت أهدافها ووسائلها، وكان الغرض من تكوين هذه الفرقة: التمسك بالآداب الإسلامية، والدعوة إلى الفضيلة، وبيان أضرار الخرافات الشائعة بين المسلمات. وكانت أول رئيسة لهذه الفرقة، هى السيدة لبيبة أحمد التى كانت فى الوقت نفسه رئيسة تحرير مجلة (النهضة النسائية).. وقد اعتمدت هذه الفرقة على الدروس والمحاضرات فى المجتمعات الخاصة بالسيدات، والنصح الشخصى والكتابة والنشر.

واعتبرت عضوًا فى الفرقة كل مسلمة تود العمل على مبادئها وتقسم قسمها وهو: (علىَّ عهد الله وميثاقه، أن أتمسك بآداب الإسلام، وأدعو إلى الفضيلة ما

(١) ضمن ملاحق الكتاب.

استطعت). . واعتبر المرشد العام هو رئيس الفرقة، التى سُمح بتكوين غيرها فى باقى بلاد القطر.

وبانتقال الدعوة إلى القاهرة عام ١٩٣٣ تكونت بالقاهرة (فرقة الأخوات المسلمات)، التى أصبحت فى ١٤ من أبريل عام ١٩٤٤ (قسم الأخوات المسلمات)، وقد اختار المرشد العام، الأخ محمود الجوهرى[١] سكرتيرًا عامًا له.. ويتحمل عبء العمل فيه نساء الإخوان وقريباتهن، وقد انتخبت لذلك لجنة تنفيذية من بعض الأخوات للإشراف عليه[٢].

أما الغاية من تكوين القسم فقد كانت: بعث الروح الدينية والتعاليم الإسلامية الكفيلة بتكوين شخصيات من النساء تستطيع الاضطلاع بما يناط بها من أعمال وواجبات، والتعريف بالفضائل والآداب المزكية للأنفس، وإرشاد النساء إلى طرق التربية الإسلامية الصحيحة النافعة للأبناء، والعمل على صبغ البيت بالصبغة الإسلامية.

وقد أسهم القسم عند نشأته فى المشروعات الاجتماعية النافعة، كالمستوصفات ودور الحضانة، ورعاية الأيتام، ومساعدة الأسر الفقيرة، وقد أنشأ (دار التربية الإسلامية للفتاة) بمنطقة المنيرة بالقاهرة، إضافة إلى أنشطة دعوية واجتماعية أخرى مثل تصميم زى إسلامى للسيدات والعمل على نشره داخل البيئات المختلفة، وإقامة دروس عامة فى كل حى من الأحياء، ونشر الثقافة الصحية،

(١) محمود الجوهرى: ولد عام ١٩١٣، انضم للإخوان عام ١٩٤٠، أصبح سكرتيرًا لقسم الأخوات منذ عام ١٩٤٤ حتى عام ١٩٥٤ وقد اعتقل عام ١٩٤٩، واعتقل مرة أخرى عام ١٩٦٥، وقد خرج من المعتقل عام ١٩٧٣م، توفى عام ٢٠٠٤م.

(٢) ضمت اللجنة كلا من: آمال العشماوى (رئيسة)، فاطمة عبد الهادى (وكيلة)، أمينة على (أمينة الصندوق)، فاطمة توفيق (سكرتيرة أولى)، منيرة محمد نصر (سكرتيرة ثانية)، إضافة إلى عضوية كل من زينب عبد المجيد، هانم صالح، سنية الوشاحى، فاطمة عبيد، زهرة السنانيرى، محاسن بدر، فاطمة البدرى.

بإلقاء المحاضرات العلمية والعملية فى مجالات الإسعافات الأولية، كما انتقى القسم صفوة من الأخوات ليؤسس بهن (مدرسة الداعيات) يقمن بالتدريس لباقى الأخوات.

أما أهم الأعمال التى قام بها القسم فى هذه الفترة، وقد كانت الهدف الأول من إنشائه، فهو الدعاية للفكرة الإسلامية فى المحيط النسائى، بالدعوة الفردية وبالنشر فى جرائد الإخوان ومجلاتهم وكتبهم وبالمشاركة فى الأعمال والقضايا التى ترتبط بالدعوة.

ومن وصايا القسم:

١- العمل للإسلام واجب مقدس، بل هو فى الأخوات المسلمات الآن فرض عين على كل مسلمة ملتزمة، وخاصة بناتنا طالبات الجامعة والمعاهد.

٢- يتحتم الآن على طالبات الجامعة والمثقفات أن يفهمن رسالة الإسلام من منبعها الأصيل: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عن طريق القائمين بنشرها والعمل لها، ومن ضحوا فى سبيلها ولا يزالون.

٣- ونظرًا لخطورة دور المرأة والفتاة بصفة خاصة؛ لأنها أم المستقبل، ومربية القواد والزعماء المصلحين، يصبح لزامًا عليها أن تحمل هذا العبء فى الوقت الذى اتفقت وتعاهدت كل قوى الشر والبغى على حرب الإسلام، كما أصبح لزامًا عليها ألا تُخدع فيمن يلبس ثياب الغيرة على الإسلام، والأدعياء العاملين لصرفها عن المنهج القويم وجماعة الحق.

٤- على كل راغبة فى هذا الخير التعاون مع الأخوات المسلمات على حمل هذا العبء ونشره، على أن تكون كل داعية إلى هذا الحق قدوة ونموذجًا طيبًا لما تدعو إليه.

٥- وإذا كان الأمر كذلك، فهذه يد الأخوات المسلمات تصافح كل من تعاهد الله وتبايعه على العمل لدينها تحقيقًا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ**

أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقد تعهد الإمام البنا، مجموعة من الطالبات والخريجات والمدرسات، بالدروس والمحاضرات، فتكونت منهن لجنة(١) لزيارة الشُعب والأقاليم، وقد زارت اللجنة معظم فروع الأخوات فى الوجه البحرى والإسكندرية، وكان لهذه اللجنة الفضل فى النهوض بالقسم، فكن يقمن بإلقاء المحاضرات التى تشرح دعوة الأخوات المسلمات، والوقوف على مدى نواحى النشاط الأخرى كالمؤسسات وغيرها.

وقد صدرت عن الجماعة عام ١٩٤٦ نشرة إدارية عامة(٢) وُزعت على مسئولى المناطق الإخوانية، تضيف وظائف أخرى جديدة للعاملات بالقسم، بما يعد تطوراً فى عمل الأخوات، وفيها كذلك رد على من يسألون عن حظر مشاركة المرأة فى المستويات الإدارية للجماعة.

وفى عام ١٩٤٨ صدر أمر حل الجماعة، فأُوقف نشاط الإخوان الرسمى، وأوقف نشاط الأخوات تبعًا لذلك.. وبعد انتهاء المحنة استعاد الإخوان نشاطهم مرة أخرى، وتبعتهم الأخوات.

وقد اتسع نشاط القسم، وانتشرت الدعوة بشكل كبير فى أوساط الفتيات والأمهات فى القاهرة والأقاليم، حتى زادت شُعب الأخوات على مائة وخمسين شعبة ضمت آلاف الأخوات.. فتم تعديل لائحته عام ١٩٥١(٣)، بحيث تتضمن: «أن يكون مقر شُعب الأخوات المسلمات ودورسهن دور شعب الإخوان المسلمين أو

---

(١) كان على رأس هذه اللجنة مجموعة من الأخوات ممن سيكون لهن دور فاعل داخل القسم فيما بعد وهن: السيدة زينب الشعشاعى حرم الشيخ عبد اللطيف الشعشاعى، السيدة فاطمة عبد الهادى حرم الشهيد يوسف هواش، والسيدة أمينة على حرم الأخ محمود الجوهرى سكرتير القسم.

(٢، ٣) ضمن ملاحق الكتاب.

بيوتهم أو المساجد التى يشرفون عليها، بشرط أن يلاحظ إخلاء الدور من الإخوان تمامًا كلما كان هناك اجتماع أو دروس للأخوات».. فصارت شعب الإخوان تستقبل الأخوات بالنهار والإخوة بالليل.

• انقلاب يوليو وتتابع المحن

وقد ظل القسم يعمل بكفاءة تبعًا لكفاءة الجماعة، حتى وقع انقلاب يوليو عام ١٩٥٢، وقد تلته أحداث جسام وخصومات شديدة بين الإخوان وقادته.. تعرض الإخوان على إثرها لمحن عدة، لاقوا خلالها الموت والتعذيب الرهيب على أيدى العسكر، فى سجون قل أن تجد مثيلا لها فى أشد صفحات التاريخ ظلامًا.

وما وقع على الإخوان، وقع على الأخوات بل أشد، فالأخ فى سجنه يتلقى عذاب الهون والألم النفسى، أما الأخت فى الخارج فكانت تتعرض للموت البطىء جراء ما تقوم به السلطة من إيذائها والتضييق عليها، ورميها بالتهم -فوق ما كانت تقوم به الأخت من رعاية الأبناء.

وقد كان للأخوات الفضل فى الإبقاء على روح الجماعة، ومسيرتها، وبث روح الثبات بين أسر الإخوان، وإحياء فريضة التكافل بين عموم أفراد الجماعة.. فتكونت إثر محنة ١٩٥٤ ومذبحة ليمان طره (١٩٥٥)، لجنتان من الأخوات، إحداهما مهمتها إعداد الطعام والملابس للإخوان المسجونين الذين قُدر عددهم بالآلاف، وكانت المسئولة عن هذه اللجنة الأخت زهرة السنانيرى شقيقة الشهيد كمال السنانيرى، أما اللجنة الثانية فكانت مهمتها زيارة أسر المسجونين وتقديم كل ما تحتاجه تلك الأسر -ماديًا ومعنويًا- بالإضافة إلى تقديم الشكاوى والاحتجاجات إلى الجهات المسئولة.

وهذه السطور لن تستطيع وصف الدور الفدائى الذى قامت به الأخت على مدار عشرين عامًا، هى إجمالى السنوات التى قضاها الإخوان بسجون عبد الناصر،

والتى بدأت بمحنة عـام ١٩٥٤ حتى خـروج آخر فرد من الجـماعـة عام ١٩٧٤.. وسنحاول الحديث عن هذا الدور لاحقًا إن شاء الله.

وبخـروج الإخوان من السـجـون فى بداية سبـعيـنيات القـرن الماضى، بدأت الجماعـة فى استعادة نشـاطها، لكن بصورة أوسع، وبرؤية تناسب تلك الحـقبة، فبدأت الحركـة فى الانتشار ليس على المستوى المحلى، بل على المسـتوى العالمى، وبدأت هياكلها تـمدد وتتطور وتصير أكثر تماسكًا وثبـاتًا عن ذى قبل.. وما هى إلا فترة وجيزة حتى انطلقت الجماعة للعمل العام الشامل الذى لم يترك ساحة من الساحـات إلا شارك فيهـا، ولم يترك قرية أو نجـعًا فى طول البلاد وعرضـها إلا وصل إليه.

ونؤكد هنا أن انتـشار الإخوان يعنى انتشـار الأخوات؛ لأنه ما من شعـبة من شعب الإخوان إلا وعدد الأخوات فيهـا يفوق عدد الإخوان، وما من عمل يصل إليه الإخـوان، إلا وهناك عشرات الأعـمال قد وصـلت إليها الأخـوات وأدينها بمهارة واحتراف.

ولقـد واكب قسـم الأخوات التطورات الكـبيـرة والمتسارعـة داخل الجـماعـة وخارجها، مثلـه مثل باقى أقسام الحركة التى وصلت إلى اثنى عشر قـسمًا، فهناك -دائمًا- تصورات لمهمة القسم، وأفكار للنـهوض به، والجماعة تضع إمكاناتها فى كل وقت لدعم القسم، ومناقشـة خططه، ومتابعته بصورة تجعله دائمـًا فى مقدمة أقسام الجماعة.

فمهـمة القسم، هى صيـاغة الشخصـية النسائية صـياغة إسلامـية، وفق منهج الجماعـة، وتنمية الخبـرات والكفاءات الدعوية داخل شريحـة الأخوات، وإيصال الدعم الفنى بما يتيح تكوين رموز نسائية من بنات الحركة.

وسائل تربية الأخت داخل الجماعة

تتنوع مجالات التربية عند الإخوان المسلمين، فهى تشمل: «الفرد المسلم وما يتصل ببناء شخصيته، والبيت المسلم وما يجب أن يسوده من قيم وأخلاق، والمجتمع المسلم وما يحيط به من علاقات، والأمة المسلمة وما يتصل بها من إعداد وعمل، والدولة المسلمة وما يجب أن تكون عليه من منهج ونظام»(١).

وللجماعة عدة أهداف تنشدها فى الأخت المنتظمة داخل الصف، منها: تعميق الفهم الشامل للإسلام، ورفع مستواها الروحى، ومعرفتها التفصيلية لطريق الدعوة، ورفع مستواها الثقافى والسياسى، وإعدادها لتكون زوجة وأمًا وربة بيت، ورفع مستواها العلمى، وتأهيلها لتبليغ دعوة الله.. وهذه الأهداف تُنتج فى النهاية أختًا:

- شديدة الحرص على أداء الفرائض أداءً متميزًا، واجتناب الفواحش والمحرمات.
- تحب الإسلام حبًا واعيًا، وتعتز بالانتماء إليه، متعلقة بالصحبة الصالحة.
- تلتزم الالتزام الواعى بتعاليم الإسلام، مدركة لحقيقة دورها فى المجتمع.
- تدرك أيضًا حقيقة المعركة الشرسة على المرأة المسلمة.
- تثق فى طريق الدعوة(٢).

ولكى تحقق الجماعة أهدافها فيمن ينتمون إليها، فقد اخترعت وسيلة مهمة من وسائل التربية، هى (الأسرة)، وهى رباط أخوى وتنظيمى متين، بدأ العمل به عام

(١) وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، مرجع سابق.

(٢) انظر: طريق الأخت المسلمة (سلسلة نحو جيل مسلم)، الجزء الثالث، محمد عبد الحليم حامد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٢م.

١٩٤٥، يقوم على: التعارف والتفاهم والتكافل.. تتكون الأسرة من خمسة أفراد فى المتوسط، متحابون فيما بينهم، يحمل القوى منهم الضعيف، ويتعاون الجميع على البر والتقوى، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ولذلك أسموها (أسرة) كناية عن الرباط الوثيق المحكم بين أفرادها.

وللأسرة برنامج يشتمل على: ورد للمحاسبة، ومذاكرة شئون الدعوة، ومدارسة نافعة، وتحقيق معانى الأخوة بشكل عملى (عيادة مريض- تفقد غائب- تعهد منقطع)، ولزيادة الترابط يصومون معًا، ويصلون معًا، ويقومون برحلات جماعية.

ويسير نظام الأسر فى الأخوات على النظام العام للأسر فى الإخوان، الذى تنظمه لوائح خاصة ومناهج تُراعَى فيها الأهداف الثابتة للجماعة، وهى عبادة الله وحده وفق ما شرع، وخلافته فى الأرض، والتعارف بين الناس، وسيادة الأرض والتمكن فيها، والحكم بالشريعة.. كما تراعَى أهدافها المتغيرة، المتمثلة فى مواجهة المتغيرات المختلفة التى تستهدف المسلمين، وتنوير أذهان المنتمين لهذا الدين بإبعادهم عن الخرافة والدجل والإلحاد والمادية، ومواجهة التغريب والفلسفات الهدامة[(١)].

• أهداف نظام الأسر:

وهذا النظام -نظام الأسر- يرفع معانى الأخوة بين أفرادها إلى مستوى الأفعال.. «فالإسلام حريص على تكوين أسر من أهله، يوجههم إلى المثل العليا، ويقوى روابطهم، ويرفع أخوتهم من مستوى الكلام والنظريات إلى مستوى الأفعال والعمليات»[(٢)].

فإذا تحققت معانى الإسلام بين أفراد الأسرة الواحدة، تحقق لهم ما يتمنون من انتشار دعوة الإسلام وسيادة دولته.. «وليس نظام الأسر إلا تحقيق معانى الإسلام تحقيقًا عمليًا بين الإخوان، فإذا هم حققوا ذلك فى أنفسهم، صح لهم أن ينتظروا

(١) انظر: وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، مرجع سابق.
(٢) مجموعة رسائل حسن البنا، مرجع سابق.

ما وعد الله به المؤمنين من نصر، لا يعلم كيف يكون ولا متى يكون، إلا هو جلت قدرته، وأحاط بكل شيء علمًا»[١].

وهذا النظام نافع للدعوة، فهو يكوّن شخصية المسلم تكوينًا متكاملا يلبى مطالب الدين ومطالب الدنيا، ويوثق الروابط بين أفراد الجماعة (اجتماعيًا وتنظيميًا)، ويعمل على زيادة الوعى بالتيارات الموالية للعمل الإسلامى أو المعادية له، ويسهم فى إطلاق قوى الخير والصلاح الكامنة فى شخصية المسلم، ومقاومة عناصر التخاذل والسلبية فى شخصية الفرد، وتحقيق معانى الانتماء للجماعة والالتزام بأهدافها، ومن خلالها تتم دراسة المشكلات والمعوقات التى تعترض عمل الفرد من أجل الإسلام، تدارسًا يشخصها بدقة، ويرسم خطوط علاجها بوضوح.

أما مناهج تكوين الأخت، ثقافيًا وروحيًا، فيُراعَى فيها دراسة ما يلى:

- القرآن الكريم وعلومه، بحسن تلاوته، مع الحرص على الورد اليومى، والاستماع له، وفهم معانيه، والتعرف على بعض مباحثه، والتدريب على إنجازها.
- السنة المطهرة، بحفظ أحاديثها ودراسة آداب الإسلام، مع دراسة موجزة فى بعض علوم الحديث.
- العقيدة، بالتفرقة بين العقيدة الإيمانية والمحفوظات النظرية، ينتج عنها اطمئنان قلبى، مع ربط تلك المعانى بحياتنا.
- السيرة النبوية بمعايشة سيرة النبى ﷺ بالقلب والعقل واستخلاص عبرها، وإبراز دروس فقه الدعوة، مع إبراز المعانى الإيمانية والسنن الربانية فى الدعوات.
- تراجم الصحابيات، بإبراز دور المرأة فى الدعوة والحركة، ودورها فى الحياة الزوجية.
- الفقه وأصوله، بالبعد عن التعصب للآراء، ودراسة رسالة فى علم أصول الفقه، ودراسة فقه الأحوال الشخصية.

---

(١) المرجع السابق.

- الرقائق، بمراقبة النية والإخلاص، واستحضار تقصير النفس، والاستعداد الدائم للآخرة، والحذر من آفات القلوب وسائر المهلكات.

- الفكر الإسلامى، بالنظرة السديدة للأمور، وتكوين عـقلية منضبطة، والبعد عن الإفراط والتفريط.

- التوعية السياسية، بأن تكون ذات وعى سياسى، على دراية بالمحيط الذى تعيش فيـه بمعرفة مـشكلات الوطن والمناوئين للدعوة، ومتـابعة ما يصـدر عن الدعوة وقادتها ومفكريها. . ومتابعة الإعلام عمومًا.

• برامج وأفكار عملية:

وهناك برامج عـملية، وأفكار مرحليـة، ضمن وسـائل تربية الأخت تطرحـها الجماعة كل فترة، هدفها الارتقاء بمسـتوى الأخوات كزوجات وأمهات من ناحية، والنهوض بالعمل الدعـوى النسائى من ناحية أخرى، فهناك دورات تدريبـية عملية فى المجالات الطبـية والتدبير المنـزلى، وأخرى فى فنون الزوجية والأمـومة وإدارة البيـوت، وهناك ندوات علمية فى موضـوعات شتى تناسب المرحلة وأحـداثها. . وهناك الرحلات الترفـيهية ذات اليوم الواحد، التى تحـمل غالبًـا عنـوانًا أو شعـارًا لتحقيق هدف من الأهداف، كما أن هناك معارض مختلفة، دورية وغير دورية.

أما مـا يخص الأخت نفسـها من حـيث تحقيق معانـى الربانية فهـناك جداول للمحاسـبة، اليوميـة والأسبوعيـة، وهناك زيارات للدعاة، هدفها كـسب الخبرات وتوريث الدعوة، وهناك اليوم الإسلامى الشهرى، وهو اجتماع على الطاعة لتلقى درس فى العلم يعـالج قيـمة من القـيم الإسلامـية، بخـلاف الدروس المسجـدية الدورية. وتوفر المناطق عادة مكتبة ثقافيـة متنوعة، تشمل الكتاب والشريط والمجلة والقرص المدمج، هدفها توفير الزاد العقلى لبنات الجماعة.

نموذج لأحد البرامج العملية[١]:

١- الوقت هو الحياة، وعلى الأخت المسلمة الحرص على الاستفادة من وقتها وصرفه دائمًا فيما يفيد ويعود عليها وعلى من حولها بالخير، وعليها أن تنظم عملها اليومى وعملها الأسبوعى وعملها الشهرى بحيث تحتسب كل يوم جديد، عملا نافعًا تثاب عليه إن شاء الله.

٢- تتعاون الأخت المسلمة مع غيرها من الأخوات القريبات فى السكن على الدراسة والارتباط بالمنهج والسير على مقتضاه وتحديد المواعيد لذلك والمحافظة عليها.

٣- تقوم بإدارة اللقاءات أخت واعية تحضِّر الموضوعات وتلقيها على شكل حديث يتخلله أو يتبعه حوار ومناقشة لتوضيح الأفكار، ولا بأس بتوزيع بعض الموضوعات على الأخوات.

٤- الأخت الطالبة واجبها الأول دروسها، وعليها تنظيم الوقت بحيث لا يطغى شيء على شيء، وأمامها الفرص المواتية لنشر رسالتها بين زميلاتها ودعوتهن إلى الخير.

٥- الحرص على تلاوة القرآن يوميًا، ويحسن ختمه مرة فى الشهر.

٦- الحرص على قراءة الوظيفة الصغرى من المأثورات يوميًا.

٧- المواظبة على ورد الرابطة دائمًا عند إقبال الليل.

٨- الحرص على ختم الصلاة بالتسبيح والتحميد والتكبير وختم ذلك بقوله ﷺ: «**لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير**».

٩- الحث على قيام الليل ولو ليلة واحدة فى الأسبوع.

١٠- الحرص على صيام التطوع (الاثنين والخميس) من كل أسبوع.

---

(١) طريق الأخت المسلمة، مرجع سابق.

٢- تكوين البيت المسلم، بأن يحمل أهله على احترام فكرته.

٣- إرشاد المجتمع، بنشر دعوة الخير فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات، وتشجيع الفضائل.

٤- تحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبى.

٥- إصلاح الحكومة، حتى تكون إسلامية بحق.

٦- إعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية.

٧- أستاذية العالم، بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

ومن هنا فإن للأخت مسئوليات دعوية داخل الجماعة، وأدواراً لا يضطلع بها سواها، وقد تعارفن على هذه الواجبات منذ وقت مبكر، وهى واجبات بعضها ثابت وبعضها متغير، كما أن هناك تميزاً فى الواجبات بين الأخوات أنفسهن، فما هو مطلوب من الطالبة غير ما يُطلب من العاملة، وما يُطلب من المتزوجة غير ما يطلب من غير المتزوجة، فالزوجة الداعية مطلوب منها التعاون مع زوجها على البر والتقوى، والصبر على دعوته وأن تتحمل زلاته، وكثرة غيابه، وأن تكرم ضيوفه، وأن تتألم لألمه، وتفرح لفرحه، وأن تهتم بنفسها، وبأولادها وبيتها.

أما الطالبة فمن واجباتها فى الجماعة، أن تكون متفوقة دراسيًا، وأن تكون علاقاتها بزميلاتها طيبة، وأن تشارك فى الأنشطة الطلابية (الاتحاد/ الجمعيات العلمية/ المعارض/ الأسر الجامعية/ المحاضرات/ الرحلات/ العمل المسجدى/ الدعوة داخل المدن الجامعية/ حفلات تعارف وتخرج وحفلات مناسبات/ تكوين روابط على مستوى الأقسام والسنوات/ عقد الصلات مع عضوات هيئات التدريس/ المشاركة فى المسابقات العلمية/ التعاون المثمر مع الجماعات والروابط الخاصة بالطالبات).

وعمومًا فإن من واجبات الأخت الدعوية:

- أن تطبق مبدأ التعارف بين المسلمات.
- أن تسهم فى تغيير الواقع السيئ للمسلمين، فى بيوتهم وعاداتهم وتقاليدهم.
- أن تسهم فى إعداد المجتمع المسلم، فالحكومة المسلمة.
- أن تسهم فى تحرير أراضى المسلمين، وإيجاد وحدة بين دول العالم الإسلامى.
- أن تسهم فى نشر دعوة الله ، بالكلمة والقدوة، لفهم الإسلام فهمًا صحيحًا، والعمل وفق هذا الفهم، وبتأكيد الاعتزاز بالإسلام، والتضحية بالجهد والوقت والمال فى سبيل الله وإصلاح المجتمع، والالتزام بآداب الإسلام وأخلاقه، فى الزى والمطعم والمشرب والكلام والمشى والحركة.
- أن تقيم مشروعات نافعة للناس (تعليم الحرف للفتيات- تفقد أحوال الأرامل واليتامى- إقامة مشروعات بر- مساعدة الأسر الفقيرة- الاستفادة من أموال الزكاة- إحياء المناسبات الإسلامية- دروس تقوية- دروس علم- رعاية المساجد والمكتبات- إقامة مسابقات - القيام برحلات).

أما واجباتها المنزلية، فيمكن إجمالها فيما يلى:

- أن تعلم أن ميدان دعوتها الأول هو بيتها، فهى راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، تحافظ على هوية أسرتها وتحقق المظهر الإسلامى للبيت، فى عاداته وحياته، واحترام الفكرة الإسلامية والالتزام بها، بتربية أبنائها تربية إسلامية سليمة، وأن تكون قدوة لهم، تدلهم على قيم الإسلام فلا تسمح بشىء يُغضب الله، وأن تضبط نومهم ويقظتهم، وأن تتفرغ لخدمتهم ومجالستهم، وأن يكون بيتها قدوة للجيران والأقارب.
- أن تهتم بنظافة بيتها، وأن تنظمه من الداخل، وألا تقصر فى مهامها المنزلية، وألا تقصر فى حقوق زوجها وواجباتها نحوه، وألا يطغى عملها الدعوى على أعمال بيتها.

- أن تعين زوجها وأولادها على القيام بمهامهم الدعوية، وأن تذكّرهم إذا نسوا، وتنشطّهم إن كسلوا. . وأن تعد بيتها لمتطلبات الجهاد وطبيعة المرحلة، وأن تثبت زوجها عند المحن والوقوف بجانبه، والقيام بمسئولياته وخصوصًا رعاية الأبناء، وأن تحصن بيتها ضد عوامل الهدم الداخلية والخارجية، وأن تقوم بتهيئته لحمل أعباء الدعوة.

- أن تكون وصولة للرحم، تسعى فى حاجات قراباتها، وتحسن التعامل مع أهل الزوج، وتحملهم على احترام فكرتها.

- أن تحسن تدبير معيشتها، بالتحكم فى المظاهر الاستهلاكية الزائدة، ومحاربة التبذير والاستدانة، وضبط ميزانية الأسرة، والاستفادة من التجارب الناجحة والتكافل بين الأسر.

موجز بواجبات الأخت المسلمة كما وردت فى الرسالة التى أصدرها قسم الأخوات المسلمات عام ١٩٥٢[١]:

١- أولا: لدينها:

- أن تؤمن بالله. . والإيمان بالله طمأنينة يقينية تحل بالقلب، ومنطق روحى يوجه العقل، ومن شأن هذه الطمأنينة أن يكون الله فى حياة صاحبها هو كل شىء، فهو وحده الكبير المتعال، وهو القوى الذى له جنود السموات والأرض، وهو الغنى وما عنده خير وأبقى. . إلخ.

- أن تؤمن بالآخرة، فتضع بين عينيها أنها آتية لا ريب فيها، وأنها فى تلك الدنيا إنما تصنع بيديها ما تكون عليه فى الآخرة.

- أن ترعى كل ما أنزل الله من أمر ونهى، حق رعايته، فى غير غلو يجاوز ما أراد الله من اليسر، ولا ترخص يفسد همة المرء عن تعظيم حرمات الله.

---

(١) الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، مرجع سابق.

٢- ثانيًا: لعقلها:

- أن تزوده بأصح الحقائق، وأقوم المعانى، وأصدق المعارف؛ فإن العقل بذلك ينضج، وتزداد طاقة إدراكه وتتسع آفاقه، ويسمو مستواه.

- والتاريخ الإسلامى: تاريخ المعارك، والسياسة، ونشاط العقل، ومجاهدة النفس، وإرشاد الخلق، هو التطبيق العملى لما فهم سلفنا الصالح من أحكام الإسلام الحنيف. . فعلى الأخت المسلمة أن تجيل ذهنها فيما يطيق من آفاق هذا التاريخ، ولاسيما ما يتعلق بسير الرجال والنساء.

- وعليها أن تثقف نفسها بما تستطيع من معارف العصر فى الاجتماع والاقتصاد، والصحة، ومبادئ العلوم، وما يضطرب فيه الناس، سياسيًا واجتماعيًا وخلقيًا من غى ورشد، ورذيلة وفضيلة، وانحراف واستقامة، بحيث تعوِّد نفسها أن تحكم على ما ترى وتسمع وتقرأ، حكمًا يستهدى مقاييس الإسلام.

ثالثًا: لبيتها:

- أن تؤسسه على التقوى من أول يوم، وأن تشيع فيه روح الربانية العطرة.

- وأن تجعل كل مطالبها فى حدود الكفاية.

- والبيت مملكتها الصغيرة وهى ملكة عليه وله بالطبيعة: «**والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عنه**».

- وعليها أن تطبع نفسها منذ اللحظة الأولى على المفهوم الصادق لقوله سبحانه ﴿**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٨].

رابعًا: لمجتمعها:

- عليها أن تقاطع كل ما فى المجتمع من مساوئ، والعمل على تطهير المجتمع.

- أن تعمل فى بث الأفكار الناضجة، والمبادئ القويمة فى أذهان بنات جنسها، مثقفات، وغير مثقفات.

خامسًا: القدوة الحسنة:

- ونريد للأخت المسلمة، أن يكون سلوكها العام والخاص، وتصرفها فى كل شأن، صورة صادقة لمبادئ دينها ودعوتها. . والتحقق بشرائط القدوة آية الإخلاص، وسبيل التأثير فى نفوس الآخرين، فعليها أن يكون حالها أفصح دلالة وأقوى أثرًا فى النفوس من مقالها ووعظها.

سادسًا: نشر الدعوة:

- إن الدعوة إلى الله مرتبة الأنبياء والرسل، وأشرف ما شغل المرء نفسه، والله سبحانه يقول: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: ٣٣] فلتدعُ الأخت المسلمة إلى الله ما استطاعت إليه سبيلا:
- فلتدع كل من فى محيطها الخاص، وكل من استطاعت من أترابها إلى الإيمان بالله والدار الآخرة.
- ولتذكّر بالله؛ فإنه يجلو صدأ الغفلة من القلوب، ويورثها وجلا وخشية، ويُكسبها نزولا على أمر الله، ويفتح لها أبواب الجنة.
- ولتأمر بالخير، ولتنه عن المنكر، ولتفقه المسلمات فى دينهن وفرائضهن، وما جاء به الإسلام عن حقوق المرأة وسياسة الأسرة.
- ولتبشر فى المسلمات بما جاء به الإسلام، من أسس العدالة، والحرية والتكافل الاجتماعى، وأصول التشريع الصالح، والسياسات الوافية بكل خير.
- ولتعمل على إيجاد المجتمع الإسلامى الفاضل، وأخص خصائص هذا المجتمع، الإخاء والحب فى الله ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات: ١٠]، والغيرة على الإسلام والاعتزاز به، والاستمساك القوى بآدابه وتعاليمه.

أدوار الأخت فى مواجهة المحن

فى السنوات الأولى من عمر الدعوة، تنبأ مؤسسها بما ستلاقيه الجماعة من محن، وصارح البنا وقتها أفراد جماعته بأنهم سيتعرضون للخصومات الشديدة والعداوات القاسية بمجرد معرفة الناس بأهداف دعوتهم ومراميها. . وسوف يتعرضون للسجن والاعتقال والنقل والتشريد، وسوف تصادر مصالحهم وتفتش بيوتهم، وسوف تلاحقهم الحكومات وتناهض دعوتهم وتُلصق بهم النقائص والتهم. . وتنبأ البنا كذلك بأن هذه الابتلاءات سوف يطول أمدها حتى يأتى الله بانتصار الدعوة وسيادتها.

ومنذ أربعينيات القرن الماضى[١] وحتى اليوم، تتعرض الجماعة للمحن والابتلاءات ويتعرض أفرادها -كل يوم- للإيذاء والتضييق، ومحاولات الصد عن الدعوة وصرف أبنائها عنها.

ولقد كان للأخوات النصيب الأكبر فى تحمل نتائج هذه المحن، ولو استعرضنا ما يقع على المرأة الإخوانية من آثار تلك الابتلاءات، لوجدناها ضعف ما يلقاه الأخ. . وهذا يرجح رأى من يقولون إن المرأة فى الإخوان هى من ثبَّتت الجماعة وجعلتها صامدة، عصية على الفتن. .

١- فالأخوات يتعرضن لما يتعرض له الرجال:

تتعرض الأخت لما يتعرض له الأخ من سجن وتعذيب ومحاكمات، وتضييق وإيذاء، وإن كان ذلك بدرجة أقل؛ للأعراف والاعتبارات التى تدين من يفعل ذلك مع المرأة. . إلا أن ذلك لم يمنع من تعرضها لتلك الوسائل اللاإنسانية فى كثير من الأحيان، منذ الأربعينيات كما قلنا وحتى الآن. .

(١) بدأت الاعتقالات داخل صفوف الجماعة منذ عام ١٩٤٢.

- فقد استُخدمت النساء للضغط على الإخوان فى قضية السيارة الجيب (عام ١٩٤٨)، ودفعت المرأة الإخوانية الضريبة مثل الرجل.. جاء فى أحداث تلك القضية على لسان أحد الإخوة المتهمين:

«وقبل أن ينصرف هذا الضابط، وقف المتهم صالح الجناينى وأشار إليه قائلا: إن هذا الضابط أحضرنى إلى بندر الجيزة فى ٢٠ مايو ١٩٤٩م وهددنى بوجود مظروف سيؤدى بى إلى حبل المشنقة إذا لم أعترف، فلما أخبرته بأنى لا أعرف شيئًا، أمر الجنود بإحضار والدتى -وكان قد استحضرها من بلدتى بمحافظة الشرقية ووُضعت فى الحجز- ولكنى لم أصدق هذا حتى تبينت لى الحقيقة المرة، ووجدت العسكرى يُدخلها علينا وهى مربوطة بقيد حديدى واحد مع إحدى العاهرات، وكانت العاهرة عارية الثياب، فأشار إليها الضابط وقال لى: سوف نجعل والدتك كهذه العاهرة إذا لم تتكلم»[(١)].

- وفى عام ١٩٦٥م اعتقل عبد الناصر أربعة وثلاثين ألفًا من الإخوان، من بينهم ٤٥٠ أختًا، زوجات وبنات وأمهات الإخوان.. وكانت النية مبيتة لمحاكمتهن جميعًا، لولا صحافة الدول الإسلامية التى شنت حملة على النظام جعلته يتراجع عن ذلك، ولقد تعرضت الأخوات فى هذه المحنة لألوان من التعذيب البدنى والنفسى تقشعر لها الأبدان[(٢)].. وقد ذهبت إحداهن شهيدة -رحمها الله- كان الزبانية قد قبضوا عليها بعدما فرغوا من تعذيب زوجها، وقد أتوا بها من الصعيد وهى حامل فى توأم فى شهرها التاسع. لتموت فى سجن القناطر بعد تعرضها للنزف الشديد إثر تنقلها بين عدة أقسام بدون رعاية.

وفى هذه المحنة لم يرحموا المرأة فقط، بل لم يرحموا الأطفال والأجنة فى بطون أمهاتهم، فقبضوا على مجموعة من الأخوات الحوامل وممن يرضعن أطفالا، عُرفن

(١) الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ (رؤية من الداخل)، محمود عبد الحليم، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

(٢) يراجع فى ذلك كتب: أيام من حياتى لزينب الغزالى، الزلزال والصحوة، والإخوان المسلمون فى سجون مصر لمحمد الصروى، مذابح الإخوان فى سجون ناصر لجابر رزق.

بتنظيم الحوامل والرضع، وقد لاقين العذاب الرهيب على أيدى الجلادين وخصوصًا الحوامل منهن اللاتى وضعن أطفالهن داخل غرف الزنازين العفنة.

ويتحدث المهندس محمد الصروى بإسهاب فى كتابيه (الزلزال والصحوة)، و(الإخوان المسلمون فى سجون مصر) عن الفظائع التى وقعت للأخوات إثر القبض على تنظيم ١٩٦٥.. وقد أحصى معظم المعتقلات اللاتى ألقى النظام بهن فى السجن الحربى وفى سجن القناطر الذى أنشئ خصيصًا للنساء، حيث اعتقلوا عائلات بأكملها رجالا ونساءً، واعتقلوا نساء طاعنات فى السن، وبنات أبكارًا، واعتقلوا عرائس يوم زفافهن.. وقد تعاملوا معهن جميعًا بوحشية وفظاظة، فلم يشفع لإحداهن سن أو ظرف أو مرض.

اعتقلوا عائلة الهضيبى، وعائلة سيد قطب، وعائلة البردينى، وعائلة محمد عبد المقصود العزب، وعائلة زينب الغزالى، وعائلة أحمد عبد المجيد.. وقد تعرضت نساء تلك العائلات لابتلاءات شديدة.. فتم تعذيب حميدة قطب وزينب الغزالى تعذيبًا رهيبًا، وتم اتهامهما فى قضية قيادة التنظيم، وحُكم عليهما بالأشغال الشاقة، وقد هددوا الأخ محمد عبد المقصود العزب مأذون قرية البيضا بالدقهلية ببناته بعدما أحضروهن من بلدته، فى مشهد تشمئز منه الأنعام التى لا تعى ولا تعقل.. ....

وهناك قصص مروعة فى طريقة القبض على هؤلاء النسوة، وفى طريقة التعامل معهن أثناء الترحيلات، وفى داخل السجون.. ولعل ما حدث للعشرات من أخوات قرية كرداسة بالجيزة، ما يعد دليلا على نازية ذلك النظام وساديته، وعدم اعترافه بأى قيمة من القيم.

ومن لم تُعتقل من نساء الإخوان فى هذه المحنة، ظلت رهينة البيت، لا يزورها أحد، قريب أو غريب، ولا تزور هى أحدًا، فهناك حصار مفروض على هؤلاء الفضليات اللاتى دعتهن الحاجة واعتقال الزوج إلى بيع (الفجل والجرجير) لإطعام

أبنائه بعد أن كن كريمات ميسورات الحال، ومنهن من كانت تُسكت أطفالها بغلى الماء ووضع الخبز (البائت) فيه لتصنع لهم ثريدًا بدون مرق أو لحم، ومنهن من باعت أثاث بيتها للصرف على أبنائها، ثم باعت أوانى الطهى بالمنزل، وعندما زارت زوجها بالسجن لم يكن معها شىء ولو قليلا تقدمه له.

وكانوا إذا ذهبوا إلى أخ فلم يجدوه، أخذوا نساء البيت رهينة، فأحضروا أمهات الإخوة وزوجاتهم وبناتهم.. فأحضروا والدة الأخ فاروق المنشاوى[١] وأخواته الثلاث وأزواجهن، وفعلوا الأمر نفسه مع الأخ فايز إسماعيل.. وقد تعرضت تلك العائلات لفتن رهيبة ولاقت من الإهانات والتعذيب ما لا يحتمله بشر.

● وإذا كانت محنة ١٩٦٥ تمثل قمة المأساة بالنسبة لاعتقال وسجن نساء الإخوان، إلا أن ذلك لم يمنع من جاء بعد ذلك من انتهاج الأسلوب نفسه، بالاعتداء على الأخوات والقبض على بعضهن.. حدث ذلك فى انتخابات عام ٢٠٠٠، وفى انتخابات عام ٢٠٠٥م، هذا بخلاف ما يجرى حال القبض على الأخ، أو ما يجرى أثناء المؤتمرات والفعاليات الجماهيرية التى يقيمها الإخوان، حيث لا تسلم الأخوات من أذى الأمن واعتداءاته.

إلا أن أكثر المشاهد فجاجة، ما وقع أثناء جلسات محاكمات الإخوان (عام ٢٠٠٧)، التى بلغت ٧٠ جلسة، ففى كل مرة كانت الأخوات عُرضة لمضايقات (رجال) الشرطة والاعتداء عليهن، وفى جلسة النطق بالحكم فى ١٦/٤/٢٠٠٨م بلغت المأساة ذروتها، إذ طاردت الشرطة أكثر من ٥٠ من أهالى (المتهمين)، وفى نيتها إيقاع إصابات بهم، فأصيب العشرات بالفعل ومن بينهم نساء كثيرات، زوجات وبنات الإخوان، وقد شارك فى هذه الاعتداءات بلطجية أتوا بهم من السجون خصيصًا للتنكيل بالأهالى، وقد أصيبت زوجة الأخ حسن مالك وبناته إصابات بالغة، وقام أحد الضباط بالاعتداء بالضرب

(١) قُتل فى السجن عمدًا فيما بعد.

المبرح على ابنته خديجة وضرب رأسها أكثر من مرة فى سيارة (البوكس)، حتى أنقذها أحد أقاربها من يد الضابط.

٢- ويثبتن فى مواطن المحن

ثبتت نساء الإخوان كما يثبت الرجال، وضربن الأمثلة الرائعة فى الصمود، وأعدن أمجاد المرأة المسلمة فى السنوات الأولى للإسلام، عندما خرجت مهاجرة ومجاهدة، بائعة نفسها ومالها لله.. وعندما تعرضت للإيذاء والترويع ما فتّ ذلك فى عضدها، كما لم يثنها عن مواصلة ذلك الطريق الشائك الذى يعجز عن بلوغه أقوى الرجال..

تمثل لحظة القبض على الأخ أقسى ما يلاقيه الإنسان -أى إنسان- فى حياته، فالمستبدون يتواصون جيلا بعد جيل على انتهاز هذه اللحظة لإرغام الزوجة والأبناء على كراهية الدعوة، جراء ما يُفعل بهم وما يرونه، من تكسير للأبواب ونهب للأموال وإرهاب للجيران، وما يقع على الزوج من إهانات.. والزوجة إن لم تكن من أخوات الصف، واعية لمهمتها، مدركة لخطورة دورها فى مثل هذه الأزمات، فإنها سرعان ما تنفصل عن هذا الزوج وتطلب الطلاق، أو على أقل تقدير فإنها تكون أداة ضغط مزعجة للزوج.

تقول إحدى الزوجات[1]، ممن تعرضن لهذا الإرهاب:

«حينما أخذوا زوجى الدكتور عصام حشيش قال «أستودعكم الله» فقلنا له «نستودعك الله»، وهكذا أصبحنا فى كنف الله جميعًا.. ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ [الزمر: ٣٦]. كنت أردد هذه الآية للأولاد حينما توعدنا أحدهم بالرجوع مرة أخرى بعد اقتياد زوجى معهم وإصرارهم على أخذ مفتاح الشقة.. لكن لم يخطر ببالى أنه

(١) هى د. سميرة محمد أحمد، زوجة الدكتور عصام حشيش الأستاذ بهندسة القاهرة وأحد (المتهمين) فى محاكمة عام ٢٠٠٧ العسكرية. موقع (إخوان أون لاين).

سوف ينفذ هذا التهديد، كنت رغم ما حدث من اعتقال ظالم لزوجي وأمر مجحف بعدم التصرف في أموالنا التي ما جمعناها إلا من كد ومن تعب؛ كنت رغم كل هذا أظن أنه ربما توجد خطوط حمراء لكرامة الإنسان؛ ولكني صُدمت لما حدث معي يوم الإثنين ١٣/ ٣/ ٢٠٠٧م، الساعة التاسعة مساءً فقد كان يفوق كل ما حدث لنا من قبل من إرهاب.

حينما طرقوا عليَّ الباب وأنا بمفردي في الشقة زاعمين أني أخبئ أحدًا عندي بالمنزل، ذكرت لهم أني بمفردي في الشقة وليس معي أحدٌ من أولادي، ولا أستطيع أن أفتح لهم الباب إلا في وجود أحد من أولادي، وطلبت منهم أن يمهلوني للاتصال بأحد أبنائي ليحضر، ولكنهم رغم ذلك استمروا في الطرق على باب المنزل بعنف شديد وتهديدي بكسر باب الشقة.. حتى حينما قلت لهم إني سوف أرسل للصحافة لترى ما تفعلونه بالنساء بعد أخذ أزواجهن، قالوا: «إنت عارفة إن إحنا مش بيفرق معانا صحافة»، وحينما طلبت منهم إذن التفتيش قالوا: «إحنا مش بتوع أذون، وانت تعلمي هذا فدائمًا نأتي دون إذن».

وبعد نصف ساعة من الترويع لي من الخارج وإصراري على عدم فتح باب المنزل إلا في وجود أبنائي وبعد إظهار إذن التفتيش الذي لم يكن معهم ولم يظهروه لي، اضطررت أخيرًا أن أفتح باب المنزل وقد حفظني الله. ولكن هناك تساؤلات كثيرة تتوارد على خاطري: لماذا كل هذا العداء لنا ونحن لا نحمل لهم عداءً؟، أين حقوق المواطنة التي تغيّرت من أجلها مواد عديدة في الدستور؟، أين المجلس القومي للمرأة الذي يدّعي أنه ينادي بحقوق المرأة المهدرة؟.. ألم تُهدر حقوقي حينما أخذوا زوجي دون جريرة أو ذنب سوى أنه يريد الخير لبلده؟.. ألم تهدر حقوقي حينما اقتحموا بيتي وفتشوا في كل شيء حتى حجرة نومي فلم تعد لي وقتها خصوصية؟..

أخيرًا لقد شعرت هذه المرة بأنهم يقصدوننا نحن الزوجات والأبناء بهذه التصرفات للضغط علينا والتضييق حتى نكون أداة للضغط على أزواجنا، ولكن

أقولها . . فوالله الذى لا إله غيره لن يفلحوا فى هذا؛ فمن خالط النقاء والطهر وعاشره لا يرضى به بديلا ولا يمكن يومًا أن يكون سوطًا للجلاد عليهم، وهذه التصرفات لن تزيدنا -بإذن الله- إلا اعتصامًا بالله وتمسكًا بدعوتنا، ولن يضيعنا الله لأننا ننشد الخير لأمتنا وأهلينا . . ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ** ﴾ [الرعد: ١٧]» أ.هـ.

أما إذا وجدوا الزوجة ثابتة قوية حال القبض على زوجها، فإنهم يزيدون ضغوطهم باعتقاله لمدد طويلة، أو بتلفيق القضايا التى ربما فصلته من عمله أو منعته من ممارسة حياته بصورة طبيعية . . تقول (الزهراء) الابنة الكبرى للأخ خيرت الشاطر: «لقد تزوجت وأبى فى المعتقل، وأنجبت ثلاثة من أولادى وأبى فى المعتقل . . وزوجى اعتُقل حوالى خمس مرات خلال سنوات زواجنا التسع، فأمضينا ثلث عمر زواجنا وهو فى المعتقل»(١).

٣- كن عوامل ثبات للرجال

فكانت إحداهن تقول لزوجها: استوعب الحدث ولا تدع الحدث يستوعبك، وثانية تقول لزوجها الذى أراد النكوص: إما أن تثبت وإما تفارقنى، وثالثة تودع زوجها عند القبض عليه، برفع قبضة يدها إلى أعلى والجزّ على أسنانها وهى تقول: الله أكبر يا فلان، اثبت فقد عهدناك رجلا . .

تحكى السيدة علية (ابنة المستشار حسن الهضيبى) -يوم الحكم على أبيها من محكمة الثورة- تقول: «إن أخى المستشار محمد المأمون(٢) اتصل بنا من غزة حيث كان عمله هناك، وكان مشفقًا على والده وعلينا، فأمسكت أمى بالتليفون وسمعتها تقول له: يا مأمون، عاوزنى أقولك خير الشهداء حمزة ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله؟! بابا من حزب سيدنا حمزة، احنا حننسى

(١) موقع (إخوان أون لاين).

(٢) المرشد السادس للإخوان -فيما بعد.

مبادئنا واللا إيه؟!، وكمان قول الرسول ﷺ: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

٤- قمن برعاية الأبناء وإدارة البيوت

وهذا دور من أصعب الأدوار، وقد ثبتت فيه المرأة الإخوانية، وأدته كأروع ما يكون الأداء.. وهناك نماذج، قديمة وحديثة، تنبئ عن خصيصة لجماعة الإخوان المسلمين، لا توجد فى غيرها من الجماعات والهيئات الأخرى، فطريقة تربية الأخت ومجموع الخبرات التى حصّلتها مما يقع حولها من اعتقالات وتجاوزات، ووجود آليات للتكافل داخل الجماعة -كل هذا يجعل الأسر الإخوانية مستقرة حال غياب الزوج، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه فى غالبية الحالات التى يغيب فيها الأخ عن بيته يحدث تحسن كبير فى أحوال الأولاد الدراسية والتربوية؛ ربما لإحساسهم بثقل المسئولية التى أُلقيت عليهم، إضافة إلى تواجد إخوانهم بجوارهم، وتطوعهم بالصرف عليهم ورعايتهم بصورة ربما فاقت رعاية والدهم لهم.

والزوجة فى الإخوان تتوقع -مثل زوجها- قبل نومها، كل يوم، أن يطرق طارق الفجر، ليختطف الزوج.. فهى مستعدة دائمًا لتسلم (العهدة)، والقيام بدور الزوج والزوجة معًا.

يتحدث الأستاذ عباس السيسى[1] عن (أدوار الأخت المسلمة أثناء محنة ١٩٦٥) فيقول: «تقول الزوجة تتحدث مع الأخوات عن الطريقة التى كانت تعيش بها مع خمسة من الأولاد حين غاب زوجها فى السجن تسع سنوات، تقول: كان ذلك اعتبارًا من أغسطس ١٩٦٥ ولم يكن فى بيتى ما يسد رمق الأولاد لأكثر من يومين.. كان مرتبى ثلاثين جنيهًا، وهذا المبلغ لا يكفى لمدة أسبوع واحد، ولكنى استعنت بالله فى تدبير أمور المعيشة، فكنت أقوم بتربية الأرانب والبط بما يتبقى من

(١) حكايات عن الإخوان، عباس السيسى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٠م.

فتات المائدة -فى جزء من البلكونة استعملته لهذا الغرض- وكنت أقوم (بترقيد) البط على اثنتى عشرة بيضة فتخرج منها اثنتا عشرة بطة وكذا الأرانب لم تمت واحدة، وهذا من فضل الله. كنت أشترى كيلو اللحم ليبقى عندى أسبوعًا بالكامل وأستعين معه بالبيض والبطاطس والسمك. أما عن الملابس فكنت أقوم بعلاج الملابس القديمة للرجال فأعيد حياكتها وإصلاحها فتصلح للأولاد الذكور، كما كنت أقوم بعلاج الملابس النسائية بحيث تصلح للبنات مع شىء من التنسيق والتزويق بحيث يصعب على المشاهد أن يميز بين ماضيها وحاضرها! ولما جاء أحد الأعياد طلب منى أولادى ملابس العيد. فاشتريت جوالين من النوع الذى يشبه الصوف الأبيض وقمت بفك الجوال وعملت منه (كرارية خيط) وأضفت إليه نوعًا آخر من الخيط الملون ما بين أزرق أو أخضر أو أحمر وصنعت منها بشغل الإبرة لكل واحد منهم (شرزًا) بحيث لا يمكن أن يختلف عن (الشرز) الجديد! كل ذلك لم يكلفنى أكثر من جنيه واحد، هذا فضلا عن أننى كنت أدفع بعض أقساط للدروس الخصوصية وكذا علاج الأطفال فى حالة المرض الذى يلازمنا فترة وجود والدهم بالسجن. كل هذا رغم وجود المشكلات النفسية والإرهاق النفسى لما يحدث من ضغط من البوليس واستدعاء للقسم وغير ذلك.. والحمد لله على كل حال». أ. هـ.

٥- يقفن فى وجوه الطغاة

لقد حفل تاريخ الإخوان بنماذج لأخوات كن مصادر إزعاج لهؤلاء للطغاة، لجرأتهن فى المواجهة، ولمنطقهن فى الحديث مع هؤلاء المجرمين.. ولا يخشى هؤلاء الطغاة من شىء عند القبض على أحد الإخوان، خشيتهم من نساء البيت، اللاتى يوجهن إليهم الأسئلة الاستنكارية، ويخاطبن فيهم دينهم ورجولتهم، فمنهم من ينكس رأسه ويعترف بخطئه، ويقلّب فى داخله ما تقوله الأخت، فيحسن إلى زوجها ويعدها خيراً، ومنهم من طمس الله على قلبه وأذنه وجعل على بصره غشاوة فهو ملكى أكثر من الملك، إذ سرعان ما تبدأ معركة غير متكافئة، بل يزيد

أحدهم من شرّه فيبدأ التنكيل بالأخت، كمن اصطحب إحداهن فى عام ٢٠٠٥ بمحافظة الجيزة مع زوجها، ثم تركها فى طريق مهجور الساعة الثالثة صباحًا، وكمن حبس الزوجة ليُسكتها وأغلق عليها باب حجرتها بالمفتاح بعدما نزع أى وسيلة للاتصال لها بالخارج، ثم أخذ زوجها وترك الشقة ومضى.

● **ولقد ظهرت نماذج لأخوات فاجأن الطغاة بمواقفهن وثباتهن وشجاعتهن التى زلزلتهم وأربكت حساباتهم..**

- حضرت السيدة (سعدية) زوجة الوزير (أحمد حسن) لتواسى زوجة الإمام الهضيبى وبناته قائلة لأم أسامة «هونى عليك، أحمد حسن بك بعثنى لأطمئنك بأنه مستمر فى بذل أقصى الجهود حتى لا يُعدم زوجك، وإن كانت كلمة (المرشد) لا مجال لها بعد الآن.. قالت زوجة الهضيبى: يا سيدة هانم، اسمعى مشكورة وبلِّغى السيد الوزير أن حسن الهضيبى ما تولى قيادة الإخوان المسلمين إلا وهو يعلم أن سلفه العظيم حسن البنا قد اغتيل وأُهدر دمه علنًا فى شارع رئيسى بالعاصمة، وما رضى الهضيبى أن يكون خليفة إلا وهو ينتظر هذا المصير، وقد باع نفسه لله، وبعنا أنفسنا معه، فلن يرانا أحد إذا كان هذا قدر الله إلا نماذج سكينة واطمئنان سعداء بأن نحتسبه عند الله، وتكتمل سعادتنا بأن نلحق به شهداء.. ثم التفتت زوجة الإمام إلى بناتها الثلاث وقالت لهن: هذا ما عندى، فماذا عندكن يا بنات؟ فرددن فى صوت واحد: ليس عندنا إلا ما عندك يا أماه.

٦- يبثثن الأمل فيمن حولهن، ويصررن على مواصلة طريق الدعوة، رغم أشواكه وعقباته

حيث تهوِّن من شأن الظالمين، وتضع حقائق التاريخ الذى تجيد حفظه أمام من حولها، مستلهمة فى ذلك قصص الأنبياء والرسل مع من ظلموهم وبغوا عليهم، ثم كانت لهم العاقبة، بأن بدل الله اليسر بالعسر والفرج بالشدة والرخاء بالضيق

والأذى.. بعثت إحداهن[1] سلسلة خطابات إلى ابنها فى السجن، تتحدث فيها حول كل هذه المعانى.. وفى أحد هذه الخطابات كتبت تقول:

«ولدى الحبيب: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أكتب إليك هذا الخطاب مع قدوم عام جديد.. أعاده الله عليكم بالخير والبركات.

إن شهر «المحرم» على الأبواب، والعام الهجرى سنة ١٤٢٩ سيبدأ ونحن جميعًا فى أحسن حال، ونطلب من الله جميعًا -أنا وإخوتك الكرام- أن تكون فى أحسن صحة، وأن نراك معنا فى القريب العاجل إن شاء الله.

حبيبى.. سأكمل معك الموضوع السابق بإذن الله، وهو الحوار بين المؤمنين والظالمين، ولن يرضى الظالمون من المؤمنين أن يخلصوا دينهم لله، وأن يدعوه وحده دون سواه، ولا أمل فى أن يرضوا عن هذا.. مهما لاطفهم المؤمنون أو تلمَّسوا رضاهم بمختلف الطرق، فليتجاهل المؤمنون الظالمين، وليمشوا فى طريقهم إلى النهاية، فالله موفقهم بإذنه وحده لا شريك له، رضى الظالمون أم سخطوا، وما هم يومًا براضين.

إن الله سبحانه رفيع الدرجات، ذو العرش، يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده؛ فهو -سبحانه- وحده صاحب الرفعة والمقام العالى، وهو صاحب العرش المسيطر المستعلى، وهو الذى يلقى أمره للأرواح والقلوب على من يختار من عباده، وهذا كناية عن الوحى بالرسالة، وكلها صفات لله «العلى الكبير»، فإن الله يُلقى الروح على من يختار من عباده، فهى الإنذار.. ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

---

(١) هى والدة الأخ حسن مالك (المتهم) الثانى فى قضية عام ٢٠٠٧ العسكرية، وقد نُشر هذا الخطاب ضمن مجموعة مقالات نشرها أحد (المتهمين) فى القضية (د. أمير بسام).. وقد علق على هذا الخطاب قائلا: هذه الخطابات كانت تبعث فى نفوسنا الكثير من الأمل، والإصرار على مواصلة الطريق (موقع إخوان أون لاين).

وفى هذا اليوم.. يوم القيامة.. يتلاقى البشر جميعًا ويتلاقى الناس وأعمالهم، والملائكة، والجن، وجميع الخلائق التى تشهد بذلك.. اليوم المشهود، فى ساعة الحساب.. فهو يوم التلاقى بكل معانى التلاقى، ثم هو اليوم الذى يبرزون فيه بلا ساتر.. ولا واق.. ولا تزييف.. ولا خداع.. ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].. وينطلق صوت جليل رهيب يسأل ويجيب، ولا صوت غير صوته: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٦، ١٧]، ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]..

ففى هذه الحالة يكون الوصف بالسوء بذاته، فإن الإسلام يحمى سمعة الناس ما لم يظلموا، فإذا ظلموا لم يستحقوا هذه الحماية.

ويعقب السياق القرآنى على ذلك البيان هذا التعقيب الموحى: وكان الله سميعًا عليمًا، ليربط الأمر فى النهاية بالله، ويوجه إلى العفو عن السوء، وهو قادر على الأخذ؛ ليتخلق المؤمنون بأخلاق الله سبحانه وتعالى.

وشكرًا جدًا جدًا، وإلى المرات القادمة بإذن الله. ولك يا بنى من أمك القبلات والسلامات الكثيرة» أ.هـ.

- وها هى زينب الغزالى الجبيلى، تبعث برسائل التثبيت إلى أخيها حسن الهضيبى المرشد العام، خلال وجودهما فى السجن الحربى، حيث الجو الخانق، وحيث القيود التى تكبل الجميع.. تقول رحمها الله: «.. فى يوم أحسست بشىء يجذبنى إلى باب الزنزانة، كان صوت أقدام، أحسست أن قلبى ينجذب إليها، وأمسكت بباب الزنزانة، ووضعت عينى على الثقب الذى يرقبوننى منه بين الحين والحين، ورأيت صاحب هذه الخطى.. لقد كان الإمام حسن الهضيبى، المرشد العام. وأدركت أنهم قبضوا عليه، ووضعت فمى على

الثقب، وقرأت قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٩، ١٤٠]، وصرت أترقب هذه الخطى الغالية.. وكان الله يرزقنى رؤيته كل يوم، فكنت أقف وأردد الآية، ويجيب هو بإيماءة خفيفة لا يلحظها الشيطان الذى يرافقه.. كان هذا اللقاء يؤنسنى كثيراً ويشغلنى عن جل آلامى، وهذا أمر لا يحس بجلاله غير المؤمنين المتآخين فى الله»(١).

---

(١) أيام من حياتى، زينب الغزالى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٩م.

الإخوان وقضايا المرأة المعاصرة

لا تخرج آراء الإخوان فى قضايا المرأة المعاصرة، عن رأى الإسلام الوسطى فى تلك القضايا، التى عرضناها فى الباب الأول من الكتاب.. نرى ذلك فى وثائقهم الرسمية، وفى تصريح قادتهم وأصحاب الرأى فيهم..

• تعليم المرأة فرض دينى وواجب عصرى

فبالنسبة لتعليم المرأة، يعتبره الإخوان فرضًا من الفروض الدينية، «لقول النبى ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» [ابن ماجة]، وهو نص يشمل الرجل والمرأة -باتفاق العلماء، ويدخل فى التعليم بالنسبة للفتاة: إعدادها لتبعات الحياة الأساسية بالنسبة لها كربة بيت وأم أولاد، تسوسهم وترعاهم أحسن رعاية، كل هذا قدره الإسلام للبنت، وهو طيب وحسن»(١).

«فالمرأة يريدها الإسلام أن تكون صحيحة الجسم، سليمة الفكر، نبيلة العاطفة، رقيقة الشعور، ليس بينها وبين العلم حجاب»(٢).

والمرأة فى ظل الحكومة الإسلامية لها مثل الذى عليها بالنسبة للرجل، تخرج للعلم وتنافس فيه، وتتخصص فى فروعه، الحياتية والأخروية، لا فرق فى ذلك بينها وبين الرجل، وتاريخ المسلمين يشهد بذلك، فقد «كن -أى النساء- يفتين ويتصدرن مجالس العلم، ويروين الحديث وينشرن الدين فى كل الأوساط والمناسبات»(٣).

وإذا كان قدر الإخوان أنهم جاءوا والمجتمعات تنطق بالتخلف العلمى للمرأة، فهذا ليس ذنب الإسلام، وإنما ذنب المسلمين الذين رضوا بهذا الجهل وعمت آثاره

(١) لواء الإسلام، السنة الثانية والأربعون، غرة جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ.

(٢) الحكومة الدينية، عمر التلمسانى، دار الاعتصام، ١٩٨٥م.

(٣) أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، مرجع سابق.

الرجال والنساء على السواء.. ومن هنا كان للإخوان مبادرات للنهوض بالمرأة على المستوى التعليمي.. تقول السيدة زينب الغزالي: «وفي ليلة من ليالي ذي الحجة كنت على موعد بعد صلاة العشاء مع فضيلة المرحوم الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم، المفتي الأكبر للمملكة العربية السعودية حينذاك، وكنا نبحث معًا مذكرة قدمتها لجلالة الملك (سعود بن عبد العزيز) أشرح له فيها ضرورة تعليم البنات فى المملكة، وأطلب منه الإسراع فى تنفيذ هذا المشروع، مبينة مصلحة المملكة فى ذلك، وحولت المذكرة على فضيلة المفتي الذى طلب مقابلتى، وقضيت ساعتين أبحث المشروع معه»[١].

وقد دعا الإخوان -فى مبادرتهم حول المبادئ العامة للإصلاح فى مصر (٢٠٠٤م). إلى القضاء على الأمية المتفشية بين النساء ولاسيما فى الريف، وأن تتضمن مناهج التعليم ما يتناسب مع طبيعة المرأة ودورها وحاجتها.

والناظر إلى أوضاع المرأة التعليمية فى الجماعة، يجدها قد فاقت الرجل فى أحيان كثيرة، فى التحصيل الثقافى والاحتكاك بمصادر المعرفة، إضافة إلى حظها الأكبر فى الحصول على الشهادة، فهى فى بيت أبيها مقدمة على الولد فى التعليم والدرس.. واليوم نجد آلافًا من بنات ونساء الإخوان ممن نبغن فى علومهن وحُزنّ درجات لم ينلها غيرهن.

لقد اهتمت الجماعة -كما ذكرنا من قبل- بتربية المرأة تربية إسلامية صحيحة، فأنشأت منذ بدايتها مدارس خاصة بها، وحفلت شُعبها بالندوات والمحاضرات التى تناقش قضايا تعليم المرأة وخروجها للعمل.. ولقد أدلت المرأة الإخوانية بدلوها منذ زمن فى هذه القضايا.. والمتابع لصحف الإخوان قديمًا وحديثًا، يجد مشاركة الأخوات بالرأى فى هذه القضايا، بما يدل على ما نالته المرأة الإخوانية من حظ فى التعليم.

(١) أيام من حياتى، مرجع سابق.

وإذا كانت أولى رسائل الإخوان إلى المرأة قد شجعت على تعليمها، لكنها وضعت في المقابل شروطًا لهذا التعليم، مثل منع الاختلاط فيه، وأن يكون مما لا غنى عنه من لوازم مهمتهن كزوجات وأمهات -مع الأخذ في الاعتبار أن هذا كان ثورة بالنسبة للمجتمعات العربية وقتذاك- إلا أن الإخوان الآن لا يرون حرجًا في خروج البنت للتعلم في هذا الجو المختلط، كما لا يرون حرجًا في تعليمها سائر العلوم التي يتعلمها الرجل.. وهذا من التطور في فكر الجماعة حيال المرأة وسنتحدث عنه فيما بعد.. «فالإخوان يربون أولادهم وبناتهم على كيفية التعامل مع الجنس الآخر والاختلاط -في حدود ما تسمح به الشريعة- عملا بقول النبي ﷺ: «**المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»[(١)].

● لا حرج في خروج المرأة للعمل.. لكن بيتها أولى

ويعترف الإخوان بحق المرأة في العمل والاكتساب، فهذا أمر مباح لها ولكل إنسان، لكن هذا المباح -في رأيهم- يجب ألا يزاحم ما هو واجب عليها، بل ولا يزاحم ما هو مندوب لها.. «فإن واجب المرأة، هو القيام بشئون وأعمال البيت، وما تتطلبه الحياة الزوجية والوفاء بحق الزوج عليها، وقيامها بشئون الحمل والولادة والرضاعة وأعباء تربية الأولاد، وهذا كله ثقيل وكثير جدًا، ويحتاج أن تتفرغ المرأة له»[(٢)].

ويرى الإخوان أنه إذا خرجت المرأة للعمل فلابد أن يتم ذلك بموافقة الزوج، وأن تكون قادرة على التوفيق بين عملها وواجبها الأول، وهو تربية أولادها ورعاية زوجها، وأن يكون عملها مشروعًا، فلا يجوز أن تعمل راقصة، كما لا يجوز أن تعمل سكرتيرة خاصة لرجل أجنبي عنها يختلي بها، فهذا كله محرم عليها، كما

(١) جمعة أمين- عضو مكتب الإرشاد، في تحقيق صحفي للزميلة منال عجرمة بجريدة الشرق الأوسط اللندنية، نشر يوم ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٥، ونشره موقع (إخوان أون لاين) يوم ٥/ ١٢/ ٢٠٠٥م.

(٢) سلوكيات وأحكام المرأة في المجتمع المسلم، محمد حسين، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

لابد أن يكون العمل بعيدًا عن الاختلاط غير الشرعى أو الخلوة بالرجال الأجانب، وأن يكون مناسبًا لطبيعتها، كما لا يصح أن تقول إنها حرة تمامًا فى المال الذى اكتسبته من العمل.

فإذا التزمت المرأة بهذه الشروط، فمن حقها الخروج للعمل، بل مزاحمة الرجال فيه، مادام ذلك سيؤدى إلى نتائج أفضل على الأسرة والمجتمع.. «فإذا كانت هى أجدر من الرجال فدع الرجل يحاول أن يقوى نفسه حتى يستطيع أن يزاحم المرأة، إنما إذا كان الرجال كسالى لا يستطيعون أن يزاحموا النساء فى هذا العمل، فلتذهب المرأة للعمل، فى النهاية سيصب ناتج ذلك فى مصلحة الأسرة، لأن الأسرة هى رجل وامرأة فى الأساس، ثم يتفرع منهما ما يتفرع، فكل منهما متاح له أن يعمل، والأولى هو الذى يسبق»(١).

وقد طالبت الجماعة بحماية حقوق المرأة العاملة، وتحسين ظروفها، بما يؤثر بالإيجاب على قدرتها على الاستمرار فى العمل دون وجود مشكلات اجتماعية تؤثر فى بناء الأسر.. وذلك «بتدعيم الأنشطة الخاصة بالمرأة العاملة فى جهود الجمعيات الأهلية الناشطة فى مجال حقوق المرأة ومشكلاتها.. وإلزام القطاع الخاص بتطبيق اللوائح والقوانين التى تنظم عمل المرأة بعيدًا عن التعسف الوظيفى الذى يضر بحقوق العاملات، إلى جانب إلزام السلطات للشركات الخاصة بعدم رفض تعيين النساء المتزوجات؛ خشية الدخول معهن فى منازعات إدارية حول الإجازات وغيرها وتأثير التزاماتهن الاجتماعية على كفاءتهن المهنية»(٢).

والخلاصة: أن الإخوان لا يرون أى حرج فى خروج المرأة للعمل، مادامت ملتزمة بآداب الإسلام وقيمه فى هذا الأمر، وأعتقد أن واقعهم يؤكد ذلك، فكثير من نساء الإخوان يعملن كالرجال خارج البيت فى وظائف مختلفة، لكن الغالبية

---

(١) د. يوسف القرضاوى، جريدة الدستور المصرية، الأحد ٣٠ من أغسطس ٢٠٠٩م.

(٢) القراءة الأولى لبرنامج حزب الإخوان، ٢٠٠٧م.

العظمى من نسائهم لا تعمل.. ولم ألحظ أن هناك إشكالية داخل الجماعة حول هذا الأمر، فلا اللاتى يعملن يشعرن بالتميز على اللاتى لا يعملن، ولا الأخيرات ينظرن إلى اللاتى يعملن كأنهن ارتكبن خطأ فى حق أنفسهن وفى حق المجتمع..

وقد خرجت المرأة الإخوانية للعمل مضطرة فى فترة الخمسينيات والستينيات، وكانت هى فترة الغلبة للرجل فى سوق العمل، خرجت وقتها لغياب العائل، فوجدت نفسها قد وضعت إجباريًا فى هذا الموضع.. تقول (ثناء) ابنة الإمام الشهيد حسن البنا: «سبب خروجى للعمل هو محنة الإخوان فى سنة ١٩٥٤؛ لأن أسر الإخوان أريد لها الضياع والتشتت والدمار بعد أن اعتقل عبد الناصر الإخوان وزج بهم فى السجون وقطعْ رواتبهم عن أسرهم، وكان لا يستطيع أحد أن يمد يد العون لأى أسرة من هذه الأسر المصابة، وإلا اعتُقل وذاق صنوف العذاب، لذا كانت الظروف التى مرت بها أسرنا شديدة الصعوبة، وهو ما دفع بى إلى العمل.. وأرى أن واجب المرأة الأول هو رعاية الزوج والبيت، ولا يكون خروجها على حساب الزوج والأولاد»[١].

وهم يرون أن «للمرأة وظيفة مهمة وسامية، خصها الله تبارك وتعالى بها، هى وظيفة الحمل والأمومة، وهو ما لا سبيل للرجل أن يقوم به، وهى أسمى الوظائف، وبدونها ينقطع النسل وتجف منابع الجنس البشرى.. وأكثر من ذلك فإن الأم هى التى ترضع وليدها مع لبنها حنانًا ورعاية تشيع فى أجزاء نفسه وفى كل جسده، ويبقى تأثره بها حتى يشب ويكبر، كما أن المرأة هى ربة البيت وملكته، ووظيفتها فى رعاية أهل البيت وإعداده للسكن والهدوء والراحة والمودة خطيرة وجليلة، فلا يجوز أن تُهمَل أو يُستخف بها»[٢].

---

(١) مجلة لواء الإسلام، العدد التاسع، السنة الثالثة والأربعون، غرة جمادى الأولى ١٤٠٩هـ، ١١ من ديسمبر ١٩٨٨م.

(٢) وثيقة الإخوان المسلمين حول المرأة.

• المساواة وحق القوامة وحديث ناقصات عقل ودين

• **يؤمن الإخوان المسلمون «بالمساواة الكاملة فى الكرامة الإنسانية بين الرجل والمرأة»**[١].. فالأصل هو المساواة الثابتة بينهما فى كل شىء، إلا استثناءات أوردها الله تعالى، ميز فيها بين الرجل والمرأة.. «وجعل للمرأة خصوصيات تتناسب مع وظيفتها الأساسية فى الحياة وكذا بالنسبة للرجل، وهذا التمايز مقصود به التكامل وهو ضرورى لتحقيق هذا التكامل، ولا ينجذب الرجل للمرأة ولا تنجذب المرأة للرجل ولا تستقيم الحياة الزوجية ولا تقوم الأسرة إلا به»[٢].

وفيما عدا هذه الاستثناءات، يرى الإخوان المسلمون أن المرأة متساوية بالرجل فى المسئوليات الإيمانية والعقائدية وفى الخطاب القرآنى، وفى الحدود والتكاليف، وفى المسئوليات الدعوية، ولا يصح زواجها إلا بموافقتها، ولها ذمتها المالية الكاملة..

• **ويرون أن نقص العقل والدين الذى فى حديث النبى ﷺ**.. «ليس نقصًا فى الإيمان، ولا لأنها مخلوق متدنٍ غير أهل للتزكى وارتقاء الدرجات، ولكن معناه أن الله تبارك وتعالى رفع عنها بعض العبادات فى أوقات محددة. كما فسر نقص الحظ بأنه نقص فى بعض أنصبة الميراث فقط، فلم يتعد رسول الله ﷺ إلى نقص فى حظوظ أخرى أو إلى ما يشير لتدنى درجاتها.. وكذا نقص العقل فهو محدد بالشهادة على أمور معينة أهمها الدَّين أى القرض وعقود البيع والحدود. ويقطع بعدم إطلاق نقص العقل أو أنه يتدنى بالمرأة فيُفقدها المساواة الإنسانية بالرجل، أن من الأمور ما لا يقبل فيه إلا شهادة النساء دون الرجال، وأن نقل المرأة الحديث عن رسول الله ﷺ مقبول بالإجماع»[٣].

• **ويرى الإخوان المسلمون أن القوامة التى وردت فى قول الله عز وجل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾** [النساء: ٣٤]، **ليست مطلقة فى كل الأمور ولعامة الرجال على عامة النساء**.. «فإن ما ورد بذات الآية إيضاحًا لهذا النص بقوله عز وجل:

---

(١) انظر: القراءة الأولى لبرنامج حزب الإخوان.

(٢)، (٣) وثيقة الإخوان المسلمين حول المرأة.

﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، يحدد أن هذه القوامة خاصة بالأسرة فقط، وفيما يتعلق بالأمور المشتركة بين الزوج والزوجة دون ما عداها.. فليس للزوج قوامة على تصرفات زوجته المالية، وكل تصرفاتها فى أموالها الخاصة نافذة وليس لزوجها أن يبطل شيئًا منها»(١).

ويرون أن القوامة التى للرجل على المرأة، هى فى حقيقتها رياسة وتوجيه مقابل التزامات وواجبات يجب أن تؤدى وتُحترم.. «فالرجل هو الذى يؤدى الصداق عند الزواج، وهو الذى يعد المسكن وفرشه وفراشه وكل ما يحتاجه، وهو الذى عليه نفقة الزوجة والأولاد، وليس له أن يجبر زوجته على المشاركة فى شىء من هذا ولو كانت ذات مال، وهو فى الأغلب الأكبر سنًا والأكثر اختلاطًا بالناس وتدخلا فى الأمور العامة، ولابد لكل مجموعة من قائد يقودها فى حدود ما أمر الله تبارك وتعالى؛ إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.. والزوج هو المؤهل لهذه القيادة.

وهذه الرياسة ليست رياسة قهر وتحكم واستبداد ولكنها تراحم وتواد ومعاشرة بالحسنى وإرشاد إلى الطريق السليم بالحكمة والموعظة الحسنة، وهى تقوم أساسًا على التشاور، فالنص الكريم عن المسلمين عام ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، كما ورد النص الخاص الذى يرشد إلى التشاور فى أمور الزوجية ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، بل حتى فى الطلاق ورد ما يفيد ذلك ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فإذا أضفنا إلى ذلك قوله عز وجل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] وغير ذلك مما ورد فى الشرع الحنيف من أن الحياة الزوجية تقوم على السكن والتراحم والمودة، يتبين لنا بصورة قاطعة معنى القوامة وحدودها، وأنها ليست لأن المرأة

(١) المرجع السابق.

جنس أدنى ولا لنقص فى إنسانيتها وحقوقها الأساسية، وإنما هى كما قال الله تبارك وتعالى درجة للرجل فى مقابل واجبات التزم بها لتستقر أمور الأسرة»[١].

• الحجاب والنقاب وزى الأخوات

• **يطالب الإخوان المسلمون، منذ نشأتهم، بصيانة المرأة من الابتذال وصون كرامتها، بالحجاب الشرعى، وبتقييد الاختلاط، ومنع الخلوة المحرمة، بما يحفظ عفتها وحياءها**. . وعند أى حديث للجماعة حول الإصلاح الاجتماعى تكون كرامة المرأة فى مقدمة هذا الحديث. . فقد أصدروا فى وقت مبكر وثيقة نشرتها الجماعة عام ١٩٣٧، عُرفت باسم (المطالب الخمسون)[٢]، طالبت فيها بالقضاء على البغاء، ومقاومة التبرج والخلاعة، ووجوب التفريق بين الطلبة والطالبات، وإغلاق الصالات والمراقص الخليعة، وتحريم الرقص والمخاصرة، وما إلى ذلك. .

فالإسلام -كما يفهمه الإخوان المسلمون- يوجب تهذيب خلق المرأة، وتربيتها على الفضائل والكمالات النفسانية منذ النشأة، ويحث الآباء وأولياء أمور الفتيات على هذا، ويعدهم عليه الثواب الجزيل من الله، ويتوعدهم بالعقوبة إن قصروا، وفى الآية الكريمة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم: ٦]»[٣].

• **ومن هنا يرى الإخوان المسلمون، «أن يكون حجاب المرأة بعيداً عن كل مظاهر الزينة**، من ستر الجسم، ومن إحاطة الثياب به، فلا تصف ولا تشف، ومن عدم الخلوة بأجنبى مهما تكن الظروف. «إن من أكبر الكبائر فى الإسلام أن يخلو الرجل بامرأة ليست بذات محرم له. ولقد أخذ الإسلام السبيل على الجنسين فى هذا

---

(١) المرجع السابق.

(٢) ضمن ملاحق الكتاب.

(٣) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا (رسالة المرأة المسلمة).

الاختلاط أخذًا قويًا محكمًا، فالستر فى ملابسه أدب من آدابه، وتحريم الخلوة بالأجنبى حكم من أحكامه، وغض الطرف واجب من واجباته، والعكوف فى المنازل للمرأة حتى فى الصلاة شعيرة من شعائره، والبعد عن الإغراء بالقول والإشارة وكل مظاهر الزينة وبخاصة عند الخروج حد من حدوده.. كل ذلك إنما يُراد به أن يسلم الرجل من فتنة المرأة وهى أحب الفتن إلى نفسه، وأن تسلم المرأة من فتنة الرجل وهو أقرب الفتن إلى قلبها، والآيات الكريمة والأحاديث المطهرة تنطق بذلك»(١).

ولهذا فإنه ومنذ إنشاء قسم الأخوات بالجماعة، والعاملات به حريصات على توفير الحجاب (الشرعى)، فى المعارض التى يقيمها القسم، وكان أول هذه المعارض الذى أقيم عام ١٩٤٨.. وهو تقليد يجرى اليوم وبشكل دورى على مستوى الشُعَبِ والمناطق.

ولا ينكر أحد فضل الأخوات بالجماعة فى نشر الحجاب بين المسلمات عمومًا، ضمن الأنشطة الاجتماعية ذات الأولوية بالقسم، وخصوصًا بعد خروج الإخوان من السجون فى بداية سبعينيات القرن الماضى.

يتميز زى الأخت الإخوانية باتساع الرداء، وبالحجاب الفضفاض الذى لا يغطى الوجه.. حيث تبدو الأخت وقورة محتشمة، رغم عصرية هذا الزى الذى تتعدد أشكاله وألوانه و(موديلاته)، التى تظهر فى نطاق ضيق ثم سرعان ما تنتشر فى المناطق والأحياء وبين طالبات الجامعة، ويمكن التعرف بسهولة على بنات الجماعة من خلال الزى العصرى المحتشم الذى يرتدينه.

والحجاب عند الإخوان ليس هو قطعة القماش التى تغطى شعر المرأة كما يفهم البعض، لكنه بالنسبة لهم هو رمز الإنسانية، والتميز، والطهارة، «فالمرأة أو الفتاة المحجبة تعبر بحجابها عن سمو ذاتى عن الحيوانية المتعرية، ومن ناحية ثانية تعبر

---

(١) المرجع السابق.

عن تقدير للذات، فذاتها مصونة غير مبتذلة، ومن ناحية ثالثة توفر للرجال مناخًا صحيًا للعمل، حيث تخرج إلى الشوارع والأسواق والدواوين والمصانع»[١].

ويرى الإخوان عدم فرضية النقاب، وهو مذهب غالبية علماء الإسلام.. «ويعتبرونه طرازًا من طرز اللباس، فرضته بعض البيئات على نسائها، لكنه ليس أصلا فى الإسلام؛ ولو كان لبسه أداة أصيلة فى التصون والتعفف، ووسيلة ضرورية لحفظ حياء المرأة، لكان الأولى بكرائم الصحابيات أن يلبسنه، إذ هن أهل للصون والعفاف والحياء»[٢].

ورغم هذا الخيار الفقهى الذى تلتزم به نساء الإخوان فى زيهن، فإن نسبة لا تقل عن ١٠٪ من مجموع نساء الجماعة يرتدين النقاب.. ولم نر أو نسمع أن معركة قامت بين من يرتدين النقاب ومن لا يرتدينه، كما لا نشعر بأى تميز لأحد الفريقين على الآخر، كلٌ يعمل للدعوة، ويخدم فى بيته غير ملتفت إلى ما تتزيى به الأخريات -وإن كان يُنظر إلى المنتقبة على أنها وراء تعطيل بعض الأعمال الدعوية؛ للحاجز الذى صنعه الإعلام وأجهزة السلطة بين المنتقبة وسائر أفراد المجتمع؛ ولما أُخذ عن النقاب من أنه وسيلة يستغلها البعض فى ارتكاب الجرائم والجنايات.

التعدد.. ضرورة لها مبرراتها وضماناتها

التعدد فى نظر الإخوان، أمر أجازه الإسلام ولا خلاف عليه بين المسلمين.. بدليل قوله تعالى: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا**﴾ [النساء: ٣]، وبدليل عمل الصحابة رضوان الله عليهم فى عهد رسول الله ﷺ وبعده، وبدليل إجماع الأمة الإسلامية على ذلك، فلا نعلم من أئمتها مخالفًا فيه»[٣].

---

١) الأخت وفاء مشهور، كريمة المرشد الخامس مصطفى مشهور فى حوار لموقع (إخوان أون لاين).

٢) تحرير المرأة فى عصر الرسالة، مرجع سابق.

٣) أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، مرجع سابق.

والتعدد -فى نظرهم- مـن أعظم المحاسن الاجتماعـية فى دين الإسلام؛ لأنه لابد للمـجتمع من أن يكون فـيه رجـال يتعلق الواحـد منهم بأكثـر من امرأة لأسباب عديدة»(١).

- **ويمكن إجمال رأى الإخوان فى هذا الأمر** -وهو رأى غالبية علماء المسلمين، بأن التعدد يعد إعجازًا تشريعيًا فى إطار وسطية الإسلام، كحالة استثنائية أو ضرورة لها مبرراتها وضماناتها. . وبالتـالى لا حجة لمن يختزلون الحكم الشرعى للتعدد فى الوجوب، حيث لا يوجد نص يوجب الفعل أو الترك، وإنما أباحته الشريعة مراعية فطرة البشر، ومراعية بعض الأحوال الاجتماعية. . لكنها لم تفرضه ولم تجعله أصلا»(٢).

ومن هنا، فإنه -أى التعدد- «ليس مجالا للتفاخر فى المجالس، وليس من كمال الرجل كما يزعم البـعض، بل هو حاجة من الحوائج وليس مظهرًا اجتـماعيًا أو ترفًا يتلبس به المجتمع، وقد كان جمـاعة من الأئمة العظماء لم يتزوجوا أصلا، وبعضـهم اكتـفى بواحدة -وهم كـثر- وبعـضهم عـدّد، وهذه صورة المجـتمع الصحيحة التى ينبغى أن يكون عليها أفراده»(٣).

أما واقع الإخوان فيؤكد أنهم مـقلّون فى هذا الأمر، مقارنة بمن حولهم، وحتى وقت قريب كان من النادر وجود أخ من الإخوان مـتزوج بأكثر من واحدة(٤). . وهذا -فى اعتقادى- بسبب تميز العلاقة بين أزواج وزوجات الجماعة، الناتج عن التربية التى تربوها داخل الحركة وتحث على العـمل بأخلاقيات الإسلام فى إطار

---

(١)، (٢) انظر: زوجة واحدة تكفى. . فكونى لزوجك مثنى وثلاث ورباع، عامر شماخ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.

(٣) د. محمد موسى الشريف، موقع (المستشار) الإلكترونى.

(٤) تغير الأمـر -بالطبع- فى السنوات الأخيرة، حيث لـوحظ تزايد نسبة المعددين من الجـماعة، وهذا -فى نظرى- ناتج عن التـحولات الاجـتمـاعـيـة التى يشهـدها المجتـمع وأثرت بشكل كبـير فى نظـام الأسر عمـومًا. . والإخوان فى النهـاية جزء من هذا المجتـمع، يتأثر به ويؤثر فيـه، وإن كانت نسـبة الإخوان المعددين أقل بكثير إذا قورنت بباقى فئات المجتمع (المؤلف).

العلاقة الزوجية، من حسن المعاشرة، ومعرفة كل واحد منهما بحقوق الآخر والواجبات التى عليه، وما ينتج عن ذلك من قيم الحب والوفاء.

هذا بالإضافة إلى آليات الجماعة -وهى عديدة- فى ضبط واستقرار بيوت أعضائها، ومتابعة أحوالها بشكل دورى، والتدخل الفورى لحل المشكلات الزوجية حال وقوعها.

وهناك سبب آخر مهم لعزوف الإخوان عن أمر التعدد، هو انشغالهم بالدعوة، فأحدهم لا يجد الوقت ولا الجهد اللذين يتطلبهما أمر التعدد، خصوصًا أن لدى الإخوان إحساسًا يفوق غيرهم بالمسئولية تجاه البيت والأولاد، وهم فى الوقت ذاته يرون التعدد صارفًا لهم عن المشاركة فى عبء الدعوة، وهو إحساس قاس على الإخوان الذين يسعدهم الانشغال بأمور دعوتهم.. فالتعدد بالنسبة لهم مشغلة تصرفهم عن بذل الأوقات لأجل الله وفى سبيله تعالى.. كما أن تغير نمط الحياة وتفاقم مشكلاتها وتزايد مشاغلها، زادت أمر التعدد صعوبة وتعقيدًا.

• الإخوان والحقوق السياسية للمرأة

• **يرى الإخوان أن المرأة مكلفة كالرجل تمامًا بالمشاركة فى اختيار أولى الحل والعقد،** مستدلين بقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٤]، بل يعتبرون هذه المشاركة واجبة وضرورية الآن أكثر مما مضى، «لأن إحجام المرأة المسلمة عن المشاركة فى الانتخابات يضعف من فرصة فوز المرشحين الإسلاميين»[١].

• **ولا يرون ما يمنع من توليها مهام عضوية المجالس النيابية وما يماثلها،** إذ ليس فى نصوص الشريعة -حسب قولهم- ما يمنع ذلك.. وقد ردوا فى الوثيقة التى أصدروها حول حقوق المرأة المسلمة عام ١٩٩٤ على الآراء التى تعارض ترشيح

(١) وثيقة الإخوان المسلمين حول المرأة.

المرأة للمجالس النيابية والوظائف العامة -وأكدوا فيها تولى المرأة جميع الوظائف العامة بما فيها القضاء، باستثناء الإمامة الكبرى، وهى من الولاية العامة المتفق على عدم جواز أن تليها المرأة، والتى يقاس عليها رئاسة الدولة.

ويستند خيار الإخوان المسلمين الرافض لتولى المرأة رئاسة الدولة، إلى الواقع الاجتماعى الذى يمنع أن تكون المرأة رئيسة دولة. . «لكن أمامها الوزارات والمؤسسات، فهناك واقع اجتماعى موجود فى مصر يرفض ذلك، ونحن نتحدث عن مصر، ولا نتحدث عن بريطانيا أو الولايات المتحدة، بل إن ما يحدث فى الإسكندرية قد يكون غير مقبول فى الصعيد»[١].

إضافة إلى أن «طاقة المرأة -غالبًا- لا تحتمل الصراع الذى تقتضيه تلك المسئولية الجسيمة، وإنما قلنا «غالبًا» لأنه قد يوجد من النساء من يكن أقدر من بعض الرجال، مثل ملكة سبأ التى قص الله علينا قصتها فى القرآن، ولكن الأحكام لا تُبنى على النادر بل على الأعم الأغلب، ولهذا قال علماؤنا: النادر لا حكم له»[٢].

• الإخوان وكوتة المرأة

لم يعارض الإخوان (كوتة المرأة) التى صدر بحقها قانون فى يونيو ٢٠٠٩م، بعد زيارة أوباما لمصر وبتوصية منه -تحصل المرأة المصرية بمقتضاه على ٦٤ مقعدًا داخل البرلمان. . لكنهم رأوا وضع ضمانات للعمل بهذا القانون لفترة يتم الاتفاق عليها، بعدها تكون المرأة قد تمكنت ووفقت أوضاعها السياسية؛ وذلك خوفًا من احتكار الحزب الحاكم لها، وعدم سماحه للغير بالفوز. . ومما جاء فى بيانهم بخصوص هذا الأمر: «. . وبينما يقف كثيرون حائرين إزاء قضية المشاركة السياسية للمرأة، فإن الإخوان المسلمين قد حسموا موقفهم من هذه القضية، وفق

(١) تصريح من د. محمد حبيب نائب المرشد العام للإخوان المسلمين لـ(موقع المسلم الإلكترونى).
(٢) د. يوسف القرضاوى (موقع القرضاوى الإلكترونى).

رؤية الإسلام للتعامل مع المرأة، وهى رؤية متكاملة تحفظ حقوقها وتعلى من شأن واجباتها. . ومن الضرورى أيضًا ألا يخل هذا التوجه نحو تمكين المرأة -باعتباره تمييزًا إيجابيًا- بمبادئ المساواة وتكافؤ الفرص بين المواطنين، كما يجب توضيح ضرورة وضع ضمانات للعمل بهذا القانون لفترة يتم الاتفاق عليها. .»(١).

• أخوات على أعتاب البرلمان

رشح الإخوان أول سيدة منهم للانتخابات التشريعية عام ٢٠٠٠م (الأخت جيهان الحلفاوى)، وقد شهدت دائرتها بالإسكندرية استعدادات أمنية غير عادية، وتم قبيل إجراء الانتخابات القبض على زوجها (د. إبراهيم الزعفرانى)، وعلى العشرات من إخوان الدائرة، وتم اعتقال مندوبيها فى اللجان، ثم تم تزوير الانتخابات بشكل فج، ورغم ذلك ترجح فوزها، فأسرعوا بوقف الانتخابات، التى أجريت بعد عامين (٢٠٠٢م)، بعد تحويل الدائرة إلى ثكنة عسكرية، مُنع فيها الناخبون من الوصول إلى صناديق الاقتراع، بل مُنع التجول فى هذا اليوم داخل أحياء الدائرة، وتم تزوير الانتخابات وإعلان فوز مرشح الحزب الحاكم.

وفى عام ٢٠٠٥م، رشح الإخوان سيدة أخرى (الأخت الدكتورة مكارم الديرى)، وقد وقع فى دائرتها (مدينة نصر) ما وقع فى دائرة الأخت جيهان، من تزوير فاضح وبلطجة وإرهاب، حتى أعلن الحزب الحاكم فوز نائبه بالدائرة على غير الواقع والحقيقة.

وقد كان للأخوات دور مهم فى إيصال ٨٨ من مرشحى الجماعة إلى قبة البرلمان فى هذا العام (٢٠٠٥)، حيث اعتمد الإخوان فى تلك الانتخابات على أصوات النساء التى تمثل حوالى ٤٠٪ من إجمالى القيمة التصويتية للناخبين، وقد حشد الإخوان فى هذه الانتخابات أخوات على درجة كبيرة من التدريب والمهارة، جعلتهن يسحبن البساط من تحت أرجل الحزب الوطنى الذى اعتمدت نساؤه على البلطجة والرشوة، قبل وأثناء العملية الانتخابية.

(١) بيان صادر عن الإخوان فى ٢٠٠٩/٦/١٠م.

وفى نية الجماعـة دائمًا ترشيح أعداد كبيرة من النساء فى الانتـخابات العامة، إلا أن القبضة الأمنية تحول دون ذلك، ففى انتخابات (٢٠٠٥) كان من المفترض ترشيح ٢٥ أختًا[١]، إلا أن الخوف من الإرهاب الحكومى ضد الأخوات والتزوير الفج الذى عُرف به هذا النظام، منع الإخوان من ذلك، واكتفوا بترشيح أخت واحدة.

وفى اعـتقادى فـإن زهد الإخوان فى ترشـيح المرأة للانتـخابات العـامة -إضافـة إلى التضييقات الأمنية- يرجع إلى سببين:

- **الأول:** عمـرهم المحدود فى الساحـة السياسـية، فقـد خرجوا من السـجون فى سبعينيات القرن الماضى وأول مشاركـة سياسية لهم كانت عام ١٩٨٤، وقد تمت مع حزب الوفد، ولم يكن شكل التـحالف وقتها يسمح بالحـديث عن مشاركة المرأة ضمن عدد محدود جدًا من نوابهم الرجـال المرشحين على قائمة الوفد.. أما فى عـام ١٩٨٧ فقد سـمحوا بتـرشيح إحدى السـيدات من غيـر الأخوات (عزيزة سند) على قوائم التحالف الإسلامى التى فازوا فيها بسبعة وثلاثين نائبًا.
- **الثانى:** البيئة الاجـتماعية، التى لا تحبذ ترشح المرأة للعمل العـام، والأرقام خير دليل على ذلك:

- فعـدد عضوات البـرلمان المصرى منذ مشـاركتهن عـام ١٩٥٧ حتى الآن، بلغ (١٤٤) امرأة، منهن عضوتان سوريتان خـلال فترة الوحدة بين مصر وسوريا، فازت منهن (١٢٥) بالانتخاب، وتم تعيين (١٩).
- لم تتقدم امـرأة واحدة باستجـواب، منذ مشاركتهـن عام ١٩٥٧، حتى برلمان ١٩٩٥، ولم تتعد نسبة المرأة المصرية فى البرلمان عمومًا عن ٢٪.
- أول منصب وزارى تتولاه مـصرية كان عام ١٩٦٣، ومنذ ذلك التـاريخ حتى عـام ٢٠٠٤ لم تتـول منصب الـوزارة سـوى تسع سـيدات، ولم يزد عـدد السيدات فى أى وزارة على واحدة أو اثنتين.

(١) تصريح للمرشد العام محمد مهدى عاكف لموقع (إخوان أون لاين) فى ٢٠/ ١٠/ ٢٠٠٥م.

- الحزب الحاكم نفسه، الذى يحتكر معظم مقاعد المجالس، لم يرشح عام ٢٠٠٠ سوى (١١) سيدة، وفى عام ٢٠٠٥ (٧) سيدات، وفى العام نفسه رشحت الأحزاب البالغ عددها وقتها ١٤ حزبًا (٧) سيدات فقط.

- حتى عندما تترشح أعداد كبيرة منهن، فلا تتعدى نسبة النجاح ٥٪، ففى عام ٢٠٠٠ خاضت المعركة (١٢٠) سيدة، لم تنجح منهن سوى ٧ سيدات، والأمر نفسه حدث فى انتخابات ١٩٨٧ (نجحت ١٤ سيدة)، وفى انتخابات ١٩٩٠ (١٠ سيدات)، وفى انتخابات ١٩٩٥ (٥ سيدات).

رموز نسائية أفرزتها الحركة

مع مطلع القرن العشرين ظهرت بوادر الحركة النسائية المصرية، التى وُلدت متأثرة بالتيارات الغربية، وتدعو إلى انفتاح المرأة على المجتمع، ومساواتها بالرجل فى كل شيء، وقد بلغت تلك الحركة أوج شهرتها فى عشرينيات القرن حيث صارت ذات صوت مسموع على المستوى المحلى وفى المحافل العالمية.

وقد أفرزت تلك الحركة عدداً من الرموز النسائية، على رأسهن هدى شعراوى ونبوية موسى وسيزا نبراوى وغيرهن، اللاتى استطعن التفاعل مع أفكار الغرب وقيمه، وكن داعيات مجيدات لها، ساعدهن فى ذلك توافق ما يدعين إليه مع أفكار وتوجهات الحكومات التى يوجهها المستعمر.. فاستطعن بذلك إحداث تأثير اجتماعى كبير خصوصاً فى أوساط النخبة والمثقفين.

إلا أن عدداً من رموز تلك الحركة، من بينهن زينب الغزالى ولبيبة أحمد، رفضن توجهات تلك الحركة التى تعلقت بأهداب أوروبا وصاغت أفكارها وسلوكها حسب أهواء الغرب ورغباته، فأعلن انفصالهن عن الحركة الأم، وبدأن العمل حسب توجهاتهن النابعة من توجهات المجتمع الذى يستمد قيمه وسلوكه من أخلاقيات الإسلام.

ومع بروز جماعة الإخوان المسلمين فى الساحة، ظهر صوت المرأة المسلمة لأول مرة، كناشطة اجتماعية، وداعية فاهمة، قادرة على التفاعل مع الأحداث ومواجهة التحديات.. وقد تعددت أدوار الأخوات الاجتماعية والدعوية فى هذا الوقت بصورة أغرت العديد من نساء حركة الاتحاد النسائى بالانضمام إلى فرق الأخوات المسلمات التى صارت قسماً عام ١٩٤٤م.

ولقد أفرزت الجماعة منذ نشأة تلك الفرق حتى محنة الإخوان الكبرى فى عام ١٩٥٤، عشرات الرموز النسائية التى تركت تأثيراً غير محدود، على المستوى الداخلى للحركة، وعلى مستوى المجتمع وما يتصل به من أعمال.. وفيما يلى بعض الأسماء التى لمعت فى تلك الفترة:

• زينب الغزالى

- وُلدت زينب الغزالى الجبيلى[1] يوم الاثنين الثانى من يناير عام ١٩١٧م، فى قرية (ميت يعيش) بمحافظة الدقهلية، لأب عالم أزهرى، يعمل بتجارة القطن، كان له الدور الأكبر فى صناعة تلك الداعية ذات الشخصية الفريدة.
- انضمت إلى الاتحاد النسائى المصرى بعد إلحاح من زعيمته هدى شعراوى التى أُعجبت بشخصية زينب الجريئة التى لم تكن قد أكملت بعدُ عامها الثامن عشر، وقد احتضنتها هدى شعراوى لتصبح عضو مجلس إدارة الاتحاد (عام ١٩٣٥) بعد انضمامها له بستة أشهر.. وفى أثناء ذلك تعرضت لحادثة، خرجت منها وقد قررت الاستقالة من الاتحاد النسائى، رغم المحاولات العديدة من جانب هدى شعراوى -التى كانت تحبها كثيراً- لإثنائها عن ذلك.
- فى عام ١٩٣٧، أعلنت تأسيس (جمعية السيدات المسلمات)، التى كان لها الأثر الكبير فى العمل الدعوى والاجتماعى والسياسى، ففى الجلسة الأولى وبعد تكوين مجلس الإدارة، تم عقد أول اجتماع رسمى تم فيه الاحتجاج الصارخ على تقسيم فلسطين، وقد أرسلت الجمعية هذا الاحتجاج الذى نشرته الصحف يوم ١٣ من يوليو ١٩٣٧ إلى الجهات المختصة، معتبرين هذه القضية -على حد قولهن- تتعلق بمصير أمة.
- وقد استثمرت (زينب) علاقاتها الطيبة بعدد من العلماء، فى قيام الجمعية بنشر الثقافة الإسلامية، عن طريق المحاضرات ودروس العلم والتوسع فى تحفيظ

---

(١) انظر: سطور من حياة الداعية المجاهدة زينب الغزالى، بدر محمد بدر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٦م.

القرآن الكريم. . ثم أسست بعد ذلك معـهد الواعظات لتخريج أخوات مؤهلات لإلقاء الدروس فى المساجـد، حيث حصلت على موافقـة وزارة الأوقاف بإنشاء خمسة عشر مـسجدًا، وكانت تشرف بنفسها على المعهد والمتـخرجات فيه، فوق ما كانت تلقيه من محاضرات فى العديد من المساجد الكبيرة بالقاهرة.

- فى عام ١٩٣٧ أيضًا أرسل حسن البنا، الشيخ عـبد اللطيف الشعشاعى، إلى زينب الغـزالى، يطلب منهـا دمج عمل الجـمـعيـة مع الإخوان، إلا أنهـا لم توافق، لكن ظلت الاتصالات بينها وبين الإخوان قائمـة. .حتى استمعت إلى محـاضرة للبنا، اقـتنعت بعدها بضـرورة توحيـد عمل الأخوات المـسلمات، فبـايعت المرشد نهاية عـام ١٩٤٨، ولم تمض شهـور حتى تم اغتـياله فى ١٢ فبراير عام ١٩٤٩م.

- أصدرت مجلة (السيدات المسلمات) عام ١٩٥١ بشكل شهرى وكانت تحرر جانبًا كبيـرًا من صفحاتهـا وأبوابها، وقد انفتـحت على الواقع السياسى والاجـتماعى بشكل كبيـر، مما اضطرها لإصدارها أسبوعيًـا، ثم تعثرت ماديًا فعـادت لتصدر شهريًا حـتى قام عبد الناصر بإغـلاقها عام ١٩٥٧ بعد أن استـمرت فى الصدور لمدة ست سنوات تركت خلالها تأثيرًا كبيرًا على المستويين الدعوى والسياسى.

- يعد عام ١٩٥٥ فى حياة زينب الغزالى، نقطة تحول تاريخى فى نضالها السياسى وجهادها لخدمة الدعوة الإسلاميـة، إذ وجدت نفسها فى العام ذاته مجندة لإعالة أسر الإخوان التى غاب عوائلهم خلف القضبان، أو قُتلوا جراء التعذيب الرهيب الذى تعـرض له أعضـاء الجمـاعة. . وقـد عـايشت زينب آلام المحنة التى ألمت بالإخوان عام ١٩٥٤ والأعوام التى تلته معايشة حقيقية، وقد ترك ذلك كله أثره عليهـا، فصـارت علاقتـها بالإخـوان أكثر وضـوحًا، حـيث سعت إلى تجـميع صفـوفهم، وانطلقت تؤدى دورها التاريخى داخـل الجماعة مـعتمـدة على همة عالية عُرفت بها، وعزم شديد على التضحية فى سبيل العمل للإسلام.

- فى فجر الجمعة ٢٠/٨/١٩٦٥، تم القبض عليها، وتم ترحيلها إلى السجن الحربى، لتقع عيناها لحظة دخولها على مئات من الإخوان المسلمين، وهم يعذَّبون تعذيبًا وحشيًا فى ساحة السجن.. ولم تكد تمر ساعات حتى وقع عليها ما يقع على الإخوان من فظائع.. لتسجل كل هذا فى كتابها (أيام من حياتى) الذى صدر عام ١٩٧٥، بعد خروجها من السجن بأربع سنوات، وفيه قصة تعذيبها كاملة، وما لاقته من أهوال فى السجن الحربى حتى صدر عليها الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة ليتم الإفراج عنها عام ١٩٧١، بقرار من الرئيس السادات.

- عاشت زينب الغزالى بعد خروجها من السجن، أحداث ووقائع الجماعة يومًا بيوم، ومارست أدوارها الدعوية بشكل متميز، وقد صارت بعد خروجها من السجن رمزًا كبيرًا، ليس على مستوى الإخوان وحدهم أو فى مصر وحدها، بل على مستوى جميع الحركات الإسلامية، وفى مصر وخارج مصر، فشاركت فى المحاضرات والندوات واللقاءات، وسافرت إلى جميع قارات العالم، وشاركت بالكتابة فى العديد من المجلات، وأدلت بمئات الأحاديث الصحفية والإذاعية والتليفزيونية، وأصدرت عددًا آخر من الكتب[(١)]، أهمها (نظرات فى كتاب الله)، الذى صدر فى جزءين ، وهو العنوان نفسه الذى كان يكتب به الإمام الشهيد حسن البنا خواطره حول القرآن الكريم.. وهو تفسير للقرآن الكريم، وتأملات حول آياته ومعانيه.. وهى بهذا تكون أول امرأة تفسر كتاب الله تعالى.

- عُرفت زينب الغزالى بجرأتها، وشجاعتها فى الحق، وافتخارها بالإسلام، ولها العديد من المواقف التى تصطدم فيها بالباطل، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، دون وجل أو تردد.. ولم تكن فى نصحها -يرحمها الله- تنظر لكبير أو صغير، أو خفير ووزير، بل الكل عندها سواء فى النصح.. زارت -باعتبارها رئيسة جمعية السيدات المسلمات- وزير الشئون الاجتماعية فى وزارة حزب الوفد

---

(١) إلى ابنتى (جزءان)، مشكلات الشباب والفتيات فى مرحلة المراهقة (جزءان)، تأملات فى الدين والحياة، الأربعين النووية.

(عبد اللطيف محمود باشا) فى مكتبه بالوزارة للحصول على إعانات للجمعية بمناسبة شهر رمضان، وفى أثناء الحديث دخل الساعى بالماء والقهوة على عادة الوزير كل يوم، ووضع (الصينية) على المكتب أمام الوزير. . فما كان منها إلا أن هبت واقفة، وقلبت فنجان القهوة، وقالت للوزير بأعلى صوتها: انتهت المقابلة، وخرجت مسرعة متوجهة إلى مقر الجمعية. . وسرعان ما اتصل الوزير بالنحاس باشا رئيس الوزراء، وقص عليه ما حدث طالبًا معاقبتها، إلا أن النحاس عاتبه -رغم علمه بمرضه الذى يمنعه من الصوم- منكرًا ما وقع منه، وقال له: كان عليك أن تنتظر حتى تفرغ من المقابلة، وطلب منه أن يذهب إليها ويعتذر لها. . وبالفعل ذهب الوزير إلى دار الجمعية واعتذر لها، وأخبرها بمرضه الذى يمنعه الصوم. . ثم اتصل بها النحاس باشا معتذرًا عما حدث من الوزير.

- «كانت -رحمها الله- تحب المرأة، أمًا وأختًا وزوجة وبنتًا. . كانت ترفق بها وتصبر على توجيهها وترد على أسئلتها. وتؤكد أن الصحوة الإسلامية لها جناحان: المرأة والرجل. . وكانت ترى أن وظيفة المرأة الأساسية فى الأمومة ورعاية شئون البيت والزوج والأولاد، وترفض أن تكون المرأة ترسًا فى آلة العمل باسم المساواة بينها وبين أخيها الرجل»[(١)].

- أدت زينب الغزالى فريضة الحج ٣٩ مرة، واعتمرت ١٠٠ مرة -رحمها الله.

• لبيبة أحمد

- وُلدت لبيبة أحمد عام ١٨٧٥ بالقاهرة. لعبت دورًا فى ثورة ١٩١٩، حيث شاركت فى مظاهرة النساء التى ضمت ٣٠٠ سيدة، فى ١٦ من مارس ١٩١٩م. تركت الاتحاد النسائى اعتراضًا على الأفكار الأوروبية التى تتبناها عضواته لتؤسس جمعية (نهضة السيدات) التى كان لها نشاط محمود، وأصدرت مجلة (النهضة النسائية) عام ١٩٢١م، التى استمرت فى الصدور لمدة ستة عشر عامًا.

---

(١) المرجع السابق.

- تولت رئاسة فرق الأخوات بالجماعة منذ عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٣٧، سافرت بعدها لأداء فريضة الحج للمرة السادسة عشرة حيث بقيت هناك.

- توفيت عام ١٩٥٥ عن ثمانين عامًا.

- عُرفت لبيبة أحمد بإخلاصها الشديد وغيرتها على الإسلام، ووقف حياتها للدفاع عنه، كما عُرفت بالوعى وفهمها الشامل للدين، وعوامل القوة والصلاح فيه.. كانت -رحمها الله- دائمة التأكيد على صلاح النفس، والدعوة لتبنى الإسلام منهاجًا لصلاح الدنيا والآخرة.

• نعيمة خطاب

- هى زوجة الإمام حسن الهضيبى، المرشد الثانى للجماعة، الذى عُرف بالصمود، وقد تولى قيادة الجماعة فى أحرج أيامها..

- تميزت برجاحة العقل، ورباطة الجأش، والاعتزاز بالإسلام.

- وقفت فى محن الإخوان كأحسن ما يقف الرجال، فكانت وقودًا لهم على الثبات والاستعلاء على المستبدين.. بعد القبض على أبنائها الذكور عام ١٩٥٤ جاءوا للقبض عليها وعلى بناتها، فأغلقت فى وجوههم الباب وكالت لهم الاتهامات، إلا أنهم هددوها بكسر الباب.. وبعد إلحاح من ابنها المأمون الذى لم يكن قد قُبض عليه فتحت لهم ليقتادوها إلى السجن الحربى لتبقى فيه ستة أشهر كاملة.

- كانت تجتمع بنساء الإخوان، وتطلب من كل واحدة أن تتقن عملا منزليًا تتكسب منه لها ولأولادها كالخياطة والتطريز والمخبوزات والطهى وغيرها، ومن لا تستطيع إجادة شىء من ذلك فلتعدّ (قدرة من الفول) لتبيعها للجيران فى أطباق شهية.. وكانت تجعل من منزلها معرضًا لبعض منتجات نساء الإخوان؛ يأتى الجيران والأقارب لشراء احتياجاتهم منه.. وكانت تطلب من نساء الإخوان إجادة الصناعة

بأعلى درجة من الجـودة، وتقول: «لا يجب أن يشتـرى الناس منا إنتاجنا تعـاطفًا معنا، بل يجب أن يشتروه لجودته ورخص ثمنه عما يماثله من منتجات».

- وكانت تكرر كلمـاتها لنسـاء الإخوان اللاتى سُجن أزواجـهن: «مفيش حـاجة اسمها فقير يا أخواتى، ولكن فيه قلة حيلة وسوء تصرف».

- وكانت تقول: «يجب أن يطمئن أزواجنا إلى أننا نعيش بغير معاناة مالية حتى لا يمثل ذلك ضغطًا عليهم فى سجونهم، نريد أن نسـاعدهم على الثبات والقوة فى وجه الظلمة والمستبدين»(١).

• آمال العشماوى

- كريمة المرحوم محمد العشـماوى باشا وزير المعارف الأسبق. وُلدت فى المنيا فى بيـئة موسـرة ذات صلاح وتقـوى دفعـتهـا لحفظ كـتاب الله. درست فى كلـية الحقوق، وتفرغت لخدمة بيتها وزوجها ودعوتها.

- تزوجت من المرحوم منير دلة، وكان من أسرة موسرة مثلها.

- اشتركت فى نشاط قسم الأخوات فى الدعوة ورعاية الأسر، وقد انتُخبت رئيسة اللجنة التنفيـذية التى تشرف على القسم عام ١٩٤٤. وافـتتحت مدرسـة لتعليم الفقيرات واليتيمات.

- فتحت خـزينة زوجها للإنفاق علـى أسر الإخوان المسجونين فى المحـن المختلفة التى تعرضت لها الجماعة.

- كان الإمام البنا يعـتبرها مثال الأخت المثـقفة، الفاهمة التى تحمل أعـباء الدعوة بصورة كبيرة، فقد كان كل وقتها وعواطفها ومالها للدعوة.

- شهد بيتـها لقاءات تاريخية عُقدت أوائل عام ١٩٥٠ لاخـتيار من يخلف الإمام البنا فى قيادة الجماعة، كما عُقد فى بيتها أخطر الاجتماعات بين الإخوان ورجال

(١) موقع (إخوان أون لاين).

الجيش للإعداد لحركة يوليو ١٩٥٢ . . وكان لها دور كبير فى تهيئة البيت لهذه الاجتماعات، وقد شاركت فى تهريب الأخ (نجيب جويفل) الذى حاول إبراهيم عبد الهادى إعدامه.

- أودعها عبد الناصر فى سجن القلعة عام ١٩٦٤، وكان قد أودع أباها سجن مصر عام ١٩٥٤، وقد مكثت فى السجن ثمانية أشهر، فى الوقت الذى كان زوجها معتقلا فى السجن الحربى بعد الحكم عليه بالأشغال المؤبدة بعد حادث المنشية، فكانت مثالا للصبر والثبات على المحن، وكانت عامل تخفيف للمعاناة على الأخوات.

- بعد خروجها من السجن ظلت تعمل للدعوة بالنشاط نفسه و" ة التى كانت عليها من قبل. . حتى توفاها الله عام ١٩٩٥[(١)].

• فاطمة عبيد

- تعرفت فاطمة عبيد (أم أحمد) على دعوة الإخوان عام ١٩٤٣، ضمن أخوات شبرا اللاتى خصهن الإمام البنا بلقاء أسبوعى طوال عام ١٩٤٥، وكن حوالى ٥٠ أختًا.

- كان لها دور كبير فى رعاية زوجات وأبناء وأمهات الإخوان الذين ابتلعتهم سجون عبد الناصر. . وكانت تقوم بدور الإخصائية الاجتماعية، إذ كانت تبحث حالة أسر المسجونين، وتقرر لها الإعانة الكافية، ثم تتولى توصيل ما تحتاجه تلك الأسر من أموال ومساعدات، وكانت تتولى تجهيز بنات الإخوان وتزويجهن.

- كانت تمثل حلقة الوصل بين الإخوان ومرشدهم حسن الهضيبى، وذلك فى أوقات الشدة، وبين الإخوان فى السجون وأسرهم بالخارج، فكانت تجوب سجون مصر كلها. . ويذكر بعض الإخوان أنها زارتهم فى سجن الواحات،

---

(١) انظر: موقع (إخوان أون لاين)، مجلة لواء الإسلام، العدد الثانى، السنة الثالثة والأربعون، غرة شوال ١٤٠٨هـ، ١٧ من مايو ١٩٨٧م.

وكانت تحمل أطعمة وأشربة وملابس وأدوية لما يقرب من عشرين أخًا، وقد تجشمت مشقة السفر وحدها.

- اعتُقلت فى ١٩ من أغسطس ١٩٦٥، وكانت قد بلغت الخامسة والثمانين من عمرها.. ورغم ذلك تعرضت للتعذيب النفسى من زبانية عبد الناصر بصورة مزعجة .. تصف اعتقالها فتقول: «جاء أحد الضباط ومعه أربعة من المخبرين وأخذونى إلى وزارة الداخلية وأحضروا ابنى الذى أمضى فى السجن ما يقرب من عشر سنوات وأخذوا يعذبونه أمامى، حتى إن «أحمد راسخ» أحد رجال المباحث العامة كان يقول لى: نحن نعذبك بتعذيب ابنك أمامك. وبقيت فى وزارة الداخلية يومًا وليلة ثم أفرجوا عنى، لكن بعد أسبوع عادوا ليأخذونى فقلت: إن ابنى مات وجاءوا يسلمونى الجثة، غير أنهم ذهبوا بى إلى السجن الحربى، وأدخلونى فى زنزانة ثم أخرجونى لأخرى وكانت غرفة الإعدام، فشعرت أنهم سيقومون بإعدامى وكان الجو قارسًا.. وبعدها أخذوا فى التحقيق معى وسألونى عن زينب الغزالى وعلاقتى بها، فقلت: إننى أقابلها فى المسجد، وكان يحقق معى «شمس بدران» و«جلال الديب»، وأرادا أن يجبرانى على الاعتراف بأن لى صلة بالمرشد العام لكنى لم أذكر شيئًا فقالوا: سنقتلك أنت وابنك «أمين»، لكنهما أرسلانى للزنزانة وبقيت فيها فترة من الزمن ثم أفرجا عنى».

- ظلت فاطمة عبيد التى عُرفت باسم (أم الإخوان) تعمل للدعوة وفى وسط الأخوات -رغم تقدمها فى السن- حتى لقيت ربها عام ١٩٨٣، بعد أن تخطت المائة عام بثلاث سنوات.

• أمينة على

- زوجة الأخ محمود الجوهرى، مسئول قسم الأخوات بالجماعة منذ إنشائه عام ١٩٤٤.. انضمت إلى الإخوان عام ١٩٤٠، وقامت برعاية أسر سجناء الإخوان حتى تم القبض عليها واعتقالها عام ١٩٦٥، رغم إصاباتها بالسكر والذبحة

الصدرية، حيث كانت تأتيها إغماءة بين الحين والآخر.. مما اضطر زوجها أن يكتب اعترافًا بأنه المسئول عما نُسب إليها من اتهامات.

- وقد أخرجوها من المعتقل خوفًا من موتها داخله، بعد أن قضت ثلاثة أشهر بين جدران السجن الحربى، بين التعذيب والتحقيق ومنع الأدوية عنها.

- كانت صاحبة أدوار قيادية فى قسم الأخوات الذى رأسه زوجها حتى عُرفت باسمه فكان يُطلق عليها (أمينة الجوهرى).. وقد سخرت جهدها وبيتها للدعوة حتى وهى فى أشد حالات مرضها، فكانت تقود أخواتها من سرير مرضها- يرحمها الله.

• رموز الصحوة وما بعدها

وبخروج الإخوان من السجون وعودتهم إلى الساحة السياسية والاجتماعية، بدأت لجان وأقسام الجماعة فى الانتظام والنشاط مرة أخرى، وقد صادف ذلك إطلاق يد الإخوان فى العمل الدعوى العام، فاستحوذوا على قيادة الصحوة الإسلامية ووجهوا مسارها، وكانت المدارس والجامعات هى الساحة الرئيسية لهذه الصحوة، فنشطت لذلك بعض أقسام الجماعة أكثر من غيرها، وتحديدًا قسما الطلبة والأخوات، والقسمان رافدان رئيسيان -كما هو معلوم- للأخوات عضوات الجماعة فيما بعد.

ومع منتصف ثمانينيات القرن الماضى، كانت قد ظهرت مئات من الرموز النسائية المحلية داخل الحركة، ساعد فى ذلك الانتشار العريض للجماعة فى الريف والحضر، وفى الأوساط الطلابية والمهنية، وبين الفلاحين والعمال، وساعد فى ذلك أيضًا التطورات الاجتماعية الكبيرة التى حدثت خلال الثلاثين عامًا التى أعقبت انقلاب الجيش، حيث خرجت المرأة بكثافة للتعلم والعمل، وحدثت تطورات كبيرة كذلك فى بنية المجتمع الاقتصادية، بعد تحوله من مجتمع اشتراكى مغلق إلى سوق رأسمالية شاركت فيها المرأة بنصيب لا بأس به.. وعلى المستوى السياسى ظهرت الأحزاب وما استتبعها من انفتاح إعلامى

أقحمت فيه المرأة، وتم تنشيط العمل العام، المتمثل بالأساس فى النقابات المهنية ومنظمات المجتمع المدنى.

ورغم وجود مئات من الرموز النسائية الإخوانية كما ذكرت، إلا أن التعتيم الإعلامى منع بروز أى منهن إلا قليلا، وهذا مقصود فى ذاته، فى ظل وجود حركة نسائية حكومية تتبنى الأجندة الغربية الداعمة لحقوق (المرأة الجديدة)، وتعادى حركة الأخوات المسلمات، وتسعى بالتالى إلى تشويه أنشطة هؤلاء الداعيات، والسعى بشكل حثيث لإبعادهن عن الانتظام فى أعمال المجتمع المدنى أو الظهور فى وسائل الإعلام المختلفة.

ومع هذا وجدنا أمثلة رائعة تجسد دور الأخت الواعية ذات المرجعية الإسلامية، التى تدرك حجم التحديات والعقبات التى تعترض طريق دعوتها، فحققت -رغم ذلك- الإنجازات، وشاركت فى الأحداث السياسية، ودافعت عن حقوق المرأة المسلمة فى المحافل الدولية.. فسمعنا عن كاميليا حلمى(١)، هدى عبد المنعم، د. منال أبو الحسن، د. هبة رءوف، جيهان الحلفاوى، د.مكارم الديرى، سمية ووفاء مشهور، سمية رمضان، د. أمانى أبو الفضل.. وغيرهن كثيرات ممن قمن ومازلن بمهام جليلة، ولو أتيحت لهن الفرصة للظهور كما يُسمح لغيرهن لصرن نارًا على العلم.

(١) رئيسة اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل التى تأسست عام ١٩٩٤، وهذه اللجنة لها أهدافها ونشاطاتها فى إبراز المكانة السامية للمرأة المسلمة فى الشريعة الإسلامية، والارتقاء بها على جميع المستويات، والدفاع عن قضاياها، ورصد وتحليل مخططات إفساد الأسرة المسلمة.. ولعل أهم ما قامت به اللجنة، هو وضع (ميثاق الأسرة فى الإسلام).

مفكران إخوانيان كبيران يناصران المرأة

يعد الشيخ محمد الغزالى والدكتور يوسف القرضاوى، من كبار علماء ومفكرى الأمة.. والذى لاشك فيه أنهما يحظيان بثقة الجميع؛ لما لهما من تاريخ علمى ودعوى ناصعين، مما يجعلهما -بدون مبالغة- فى صفوف الأئمة الذين جددوا فى أمر الدين، واستنهضوا همم الأمة، وأزالوا عنها غبار التخلف والجهل.

والشيخان علمان بارزان فى الإخوان المسلمين، عاصرا مؤسس الجماعة، وعملا معه، وكان لهما شأنهما الدعوى داخل الحركة قبل المحن التى تعرض لها الإخوان والتى نالا حظهما منها.. وقد اكتسبا لذلك خبرات اجتماعية وعلمية ودعوية لم تتح لغيرهما.

والغزالى والقرضاوى يناصران المرأة ويدافعان عن حقوقها، وينافحان لتحريرها، ليس عن عصبية أو افتئات على حق الرجل، وإنما تطبيقًا لما جاء به الوحى وما أخبرت به السنة المطهرة.

• الغزالى: التقاليد البيئية هى التى انتقصت المرأة

• **يرى الشيخ محمد الغزالى أن المرأة تقف على قدم المساواة مع الرجل،** وهذا -برأيه- موقف الدين الذى يتفق مع الفطرة السليمة، وإذا كان ثمة تفريق بين النوعين فى بلاد المسلمين، فلأن المرأة عندنا لم تعامَل بتعاليم الإسلام.

«فالإسلام لا يقيم -فى سباق الفضائل- وزنًا لصفات الذكورة والأنوثة، فالكل سواء فى العقائد والعبادات والأخلاق، والكل سواء فى مجال العلم والعمل والجد والاجتهاد. لا خشونة الرجل تهب له فضلا من تقوى، ولا نعومة المرأة تنقصها حظًا من إحسان، وفى القرآن الكريم: ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ**

اللَّه وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤]»[1].

ويقول- رحمه الله- فى موضع آخر:

«إننى أعترف بأن المرأة لم تعامَل بتعاليم الإسلام خلال قرون مضت. لقد فُرضت عليها الأمية وحُظرت عليها المساجد، وأُقصيت إقصاءً حاسمًا عن ميادين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقُطعت صلاتها بشئون الإسلام الحضارية والسياسية والعسكرية، بل مسها الضيم فى شئونها الخاصة، وأمست لا تحسن إلا الخدمة البيتية والغرائز البدنية»[2].

ويقول: «إن أى مطالع للقرآن الكريم والسنن الصحاح، يرى المرأة جزءًا حيًا من مجتمع حى، فهى تتعلم وتتعبد، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتجاهد -إذا شاءت- فى البر والبحر، وتؤخذ منها البيعة على معاقد الإيمان والأخلاق، وتعارض الحكم أو تؤيد.. إلخ..

ودخل التحريف على تعاليمنا وتقاليدنا، فإذا المرأة كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأتى بخير!!.. قال لى صديق إنه عندما أمر الملك فيصل بتعليم البنات، تحولت أسر عن البلد الذى أنشئت فيه أول مدرسة، وكرهت أن ترى هذه البدعة المنكرة»[3].

- **ويرى أن التقاليد البيئية هى التى انتقصت المرأة، وأبقتها فى ظلمات الجهل**، كما أدى الخلط بين تلك التقاليد وتعاليم الإسلام إلى ظلم المرأة وإذلالها.. «إن هناك تقاليد وضعها الناس، ولم يضعها رب الناس، دحرجت الوضع الثقافى والاجتماعى للمرأة، واستبقت فى معاملتها ظلمات الجاهلية الأولى، وأبت

---

(١) قضايا المرأة.. بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالى، دار الشروق، ١٩٩١م.
(٢) الحق المر (جـ ٢)، محمد الغزالى، دار الشروق، ١٩٨٩م.
(٣) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، محمد الغزالى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.

إعمال التعاليم الإسلامية الجـديدة، فكانت النتائج أن هبط مستوى التربية، ومال ميزان الأمة كلها، مع التجهيل المتعمد للمرأة والانتقاص الشديد لحقوقها»(١).

«المرأة عندنا ليس لها دور ثقافى ولا سيـاسى، لا دخل لها فى برامج التربية ولا نظم المجتمع، لا مكان لها فى صحون المساجد ولا ميادين الجهاد.. ذكر اسمها عيب، ورؤية وجهـها حرام، وصوتها عـورة، وظيفتها الأولى والأخـيرة إعداد الطعام والفراش..

المرأة اليهودية تشـارك مدنيًا وعسكريًا فى قـيام إسرائيل، وها هى ذى توشك أن تكون ملكة فى البيت الأبيض، تضع الـلمسات الأخيرة فى الإجـهاز علينا، ولا يزال نفر من أدعياء التدين يجـادلون فى حق المرأة أن تذهب إلى المسجد وتحضر الجماعات»(٢).

• **ويرفض الغزالى حبس المرأة بين جدران بيتها الأربعة فلا ترى رجلا ولا يراها رجل،** ويرى أن هذه شـائعة مكذوبة فى مـجال العلم الشـرعى.. يقول -رحـمه الله- «الفتوى الشـائعة بين بعض المسلمين والمتناقلة بين خصـوم الإسلام: أن الإسلام يقيم أسـوارًا عاليـة بين الجنسين حتى لا يرى أحدهمـا الآخر، فـالرؤية المجردة محرمة!.. وقد رجعت إلى القرآن الكريم والسنن المتواترة والصحيحة، فوجدت أن هذه الشائعـة مكذوبة، وأن الرؤية العادية لا شىء فـيهـا، وإنما المرفوض هو الرؤية الوضيعة والجريئة التى تبحث عن الإثم، ومن ثم أمر الدين بغض البصر، أمر بذلك الرجال والنسـاء على السواء، فإذا وقع البصـر على شىء يثير، وجب على المسلم ألا يعـاود النظر، وأن يحصن ضـميـره من الريبة وشتـى الوساس، فالمسجد والشارع وأرجاء المجتمع يوجد فيها الجنسان تحكمهما هذه الآداب: عدم التبرج والإثارة، غض البصر والتزام العفة، انشغال كل مسلم ومسلمة بالأغراض المشروعة التى خرج من أجلها.. وقد تواتر ذلك فى حياة السلف الأول، فرُئيت

---

(١)، (٢) قضايا المرأة.. بين التقاليد الراكدة والوافدة، مرجع سابق.

المرأة فى المسجد، بل تُبعث مع الجيوش المقاتلة، يحيط بها سياج من آداب الإسلام المقررة»(١).

• **ويسعى إلى إيجاد التوازن بين عمل المرأة داخل بيتها وخارجه..** فكتب يقول:

«أكره البيوت الخالية من رباتها! إن ربة البيت روح ينفث الهناءة والمودة فى جنباته ويعين على تكوين إنسان سوى طيب.. وكل ما يشغل المرأة عن هذه الوظيفة يحتاج إلى دراسة ومراجعة.

وإلى جانب هذه الحقيقة فإنى أكره وأد البنت طفلة، ووأدها وهى ناضجة المواهب مرجوة الخير لأمتها! فكيف نوفق بين الأمرين؟

لنتفق أولا على أن احتقار الأنوثة جريمة، وكذلك دفعها إلى الطرق لإجابة الحيوان الرابض فى دماء بعض الناس.

يمكن أن تعمل داخل البيت وخارجه، بيد أن الضمانات مطلوبة لحفظ مستقبل الأسرة. ومطلوب أيضًا توفير قدر من التقى والعفاف تؤدى فيه المرأة ما قد تكلّف به من عمل.

إذا كان هناك مائة ألف طبيب، أو مائة ألف مدرس، فلا بأس أن يكون نصف هذا العدد من النساء، والمهم فى المجتمع المسلم قيام الآداب التى أوصت بها الشريعة، وصانت بها حدود الله، فلا تبرج ولا خلاعة، ولا مكان لاختلاط ماجن هابط، ولا مكان لخلوة بأجنبى.. ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

على أن الأساس الذى ينبغى أن نرتبط به أو نظل قريبين منه هو البيت، إننى أشعر بقلق من ترك الأولاد للخدم، أو حتى لدور الحضانة.

(١) الشيخ الغزالى كما عرفته، د. يوسف القرضاوى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

إذًا أنفاس الأم عميقة الآثار فى إنضاج الفضائل وحماية النشء.

ويجب أن نبحث عن ألف وسيلة لتقريب المرأة من وظيفتها الأولى، وهذا ميسور لو فهمنا الدين على وجهه الصحيح، وتركنا الانحراف والغلو.

أعرف أمهات فاضلات مديرات لمدارس ناجحة، وأعرف طبيبات ماهرات شرّفن أسرهن ووظائفهن، وكان التدين الصحيح من وراء هذا كله..»(١).

ويقول فى موضع آخر:

«صحّ فى السنة: أن المرأة راعية فى بيتها وهى مسئولة عن رعيتها! ولا ريب أن شئون الأولاد خصوصًا الرضع، وإعداد البيت لاستقبال الرجل العائد من عمله، كل ذلك يحول دون انتظام المرأة فى الجماعات الخمس.

ولذلك نرى أن حضور الجماعات مطلوب منها بعد أن تفرغ من وظائف بيتها، فإذا قامت بما عليها فلا يجوز لرجلها أن يمنعها من الذهاب إلى المسجد، وقد جاء فى الحديث: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»(٢).

- **وينكر الغزالى على من يهضمون حقوق المرأة باسم الدين، قولهم إن صوتها عورة،** معتبرًا ذلك جهلا وتشويهًا لصورة هذا الدين وكذبًا عليه.. يقول رحمه الله: «كان شاب قريبًا منى يكاد يتميز من الغيظ، ونحن نسمع إلى بحث تلقيه إحدى السيدات قلت له: ما بك؟ هل فى الكلام خطأ؟ فرد على عجل: أتقر هذا؟ أليس صوت المرأة عورة؟ فأجبت فى برود: هذا كذب لا أصل له فى دين الله. اسمع حكم الإسلام من كتاب الله، يقول لأمهات المؤمنين إذا حدثن أحدًا: ﴿.. **فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾ [الأحزاب: ٣٢]. فهل يصمتن فلا ينبتن ببنت شفة لأن الصوت عورة؟ كلا.. ﴿**وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾ أى ليكن الكلام طبيعيًا ليست به نغمة مريبة ولا لحن مثير!.

(١)،(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالى، دار الشروق.

وعندما جاءت المؤمنات من مكة بعد عهد الحديبية عُقد لهن امتحان شفوى لتعرف أحوالهن، هل هن فارات بدينهن حقًا أم لهن مآرب أخرى؟، فإذا تبين من النقاش إيمانهن قُبلن فى المجتمع الإسلامى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠] ولم يدر بخلد أحد أن صوت المرأة عورة.

وعندما جاءت المجادلة تشرح لرسول الله ﷺ قضيتها، وتراجعه فى الحكم لم يقل لها اسكتى إن صوتك عورة..

وعندما جاءت بنت شعيب -التى صارت زوجة لموسى فيما بعد- تقول له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]، لم يقل لها موسى: كيف تتحدثين معى هكذا وصوت المرأة عورة؟..

إن صوت المرأة ليس عورة، العورة فى هذا التفكير الذى لا سند له، والذى يصرخ به شباب جهول، باسم الإسلام المظلوم»[(١)].

• القرضاوى: المرأة قد تكون أكثر سدادًا من الرجل

تعد فتاوى الدكتور يوسف القرضاوى -أمد الله فى عمره- هى الأحدث والأجرأ، فى مجال المرأة وغيرها من المجالات؛ لاطلاعه على المجريات، وسعة علمه، وخبرته الطويلة بالحياة. وقد قدمنا فيما مضى من صفحات، فتاواه فى العديد من قضايا المرأة، وأنه يعتبر المرأة مثل الرجل، بل يعتبر رأيها -أحيانًا- أكثر سدادًا من الرجل.. «ولعل قصة أم سلمة حين استشارها النبى ﷺ فأشارت عليه بالرأى السديد فى قصة الحديبية خير دليل، فليس كل امرأة قليلة العقل، أو العاطفة تغلب عليها، ونحن نقول إن المرأة بحكم تكوينها؛ الجانب العاطفى والوجدانى أغلب عليها لغلبة الحنان والشفقة من أجل إعدادها للأمومة، ولكن هذا لا يعنى أنها فقدت العقل والتمييز والإدراك»[(٢)].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) فتاوى معاصرة، مرجع سابق.

وقد أفتى الدكتور القرضاوى بعدة فتاوى مهمة، أنصفت المرأة وكانت القول الفصل لالتباسات كثيرة:

- **فهو لا يمانع أن تعمل المرأة بالقضاء**، بيد أنه يرى التدرج فى توليها هذه الوظيفة حتى تتكون لديها الخبرة الكافية للعمل فى كل مستوياتها.. يقول:

« وأنا آخذ برأى الطبرى وابن حزم فى هذا الأمر، وإن كنت أرى التدرج، يعنى أول ما تعمل المرأة قاضية ليس من الضرورى أن تعمل فى الجنايات، ممكن أن تعمل فى الأحوال الشخصية وشئون الأسرة، وكما هو المعتاد تعمل فى محكمة ابتدائية، ثم أعلى منها، ثم أعلى منها، وقد تكون محكمة فردية، أو محكمة مشاركة فيها كعضو من الأعضاء»[١].

- **ويرى أنه ليس هناك ما يمنع من ترشيح المرأة لتولى منصب رئيس الجمهورية**.. فهو يرى أن حديث النبى ﷺ: «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**» -الذى يستند إليه المانعون لهذا الأمر- هو حادثة عين، ولذا وجب أن يخصص؛ لأن القرآن ذكر لنا امرأة حكمت الرجال حكمًا عادلا عاقلا، وانتهت بهم إلى خيرى الدنيا والآخرة، وهى ملكة سبأ (بلقيس) فحينما جاء الخطاب من سليمان: ﴿**أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾ [النمل: ٣١]، قالت: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ**﴾ [النمل: ٣٢]، امرأة شورية تستشير فى كل شىء، قالوا لها: ﴿**نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾ [النمل: ٣٣]، فوكلوا لها الأمر، ونظرت فى الأمر بغاية الحكمة وحسن التدبير.. وانتهت إلى أنها لا تدخل المعركة، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين..

فهذا يدل على أنه ليس كل امرأة غير صالحة للحكم، ولكن هناك إجماعًا للفقهاء على أن المرأة لا تصلح للخلافة العامة أو الإمامة العظمى التى هى خلافة المسلمين جميعًا»[٢].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) حوار مع فضيلة الشيخ عرضته على حلقات قناة (أنا) الفضائية، ونشرتها جريدة الدستور فى أعداد رمضان ١٤٣٠هـ.

• وإذا كانت شهـادة المرأة فى الإسلام تعادل نصف شهادة الرجل، مما يعتـبره دعاة (تحرير المرأة) انتـقاصًـا لها، فيـرد القرضاوى على ذلك ردًا يـحررهم من ذلك الوهم، **ويجيز الأخذ بشهادتها -فى بعض الأحيان- مثلها مثل الرجل** . . يقول:

«إن القرآن حينمـا جعل شهادة امرأتين فـى أمور المعاملات المالية، تقـوم مقام شهادة رجل واحد، لم يقصد الانتقـاص من قدر المرأة أو التقليل من أهليتها، وإنما أراد الاستيثاق بحقوق الناس، وهذا جاء فى آية معروفة فى القرآن اسمها آية المداينة، وهى أطول آية فـى القرآن الكريم، ونزلـت هذه الآية الطويلة فى شأن واحد هو توثيق الدَّيْن، حتى لا يتناكر الناس الحقوق وتضيع الديون على أهلها ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ**. . . الآية؛ لأن المرأة لا تملك أمر نفسها، قد تكون عندها ولادة، وقد يكون عندها حـمل متعب، وقد يكون عندها الدورة وتأتيـها بآلام، وقد يكون زوجها رجلا مـتعنتًا يمنعها من حضور أداء الشهـادة، ومعنى ذلك ضياع حقوق الناس، ولكى نستـوثق حقوق الناس، قال تعالى استـشهدوا بالرجال، فـالرجل أجـدر على هذا الأمـر من المرأة، فـإن لم يـكونوا رجلين، فـرجل وامرأتان ممن ترضـون من الشهـداء. . كما أن النسـاء عادة لا يتذكـرن الأمور المتعلقـة بالمال والمعاملات، وحتى لا تضـيع هذه الأشياء، فبـدّل امرأة واحدة بامرأتين. . ﴿**أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ**﴾، وهذا كله لتستـقر حقوق الناس ولا تضيع»(١).

ويقـول فى موضع آخـر: «ومن الفـقهـاء من يرى الأخـذ بشـهادة النســاء فى الجنايات، فى المجتمعات التى لا يكون فيها الرجال عادة، مثل حمامات النساء، والأعراس، وغير ذلك مما اعتاد الناس أن يجعلوا فـيه للنساء أماكن خاصة، فإذا اعتدت إحداهن على أخرى بقتل أو جرح أو كسـر، وشهد عليها شهود منهن،

---

(١) جريدة الدستور المصرية، الأحد ٣٠ من أغسطس ٢٠٠٩م.

فهل تهدر شهـادتان لمجرد أنهما أنثيان؟ أو تطلب شهادة الرجـال فى مجتمع لا يحضرون فـيه عادة؟ . . الصحـيح أن تعتبر شـهادتين مادامتا عـادلتين ضابطتين واعيتين»[(١)]

- **بل لقد أباح الشيخ، تمثيل المرأة، وجعل لذلك شروطًا، هى:**

- أن يكون اشتراكها ضروريًا.
- أن تظهر بلباس الإسلام ولا تضع المساحيق.
- أن يراعى المخرج والمصور عدم إبراز مفاتنها والتركيز عليها فى التصوير.
- أن تتفـوه بالكلام الحسن وتبـعد عن الفـاحش البذىء، وتبتـعد عن مـشاهد الانحراف والمجون، ولا تتعرض لها بإسهاب أو تفصيل.

وقد برر ذلك قائلاً- عندمـا دُعى لافتتاح قناة (اقرأ) الفـضائية-: «إذا أردنا أن نستـمر فى الإعـلام فعلينا أن نأخـذ بأيسر الآراء، يعنى إذا كـان فى القضـية رأيان، رأى يبيح ورأى يحرم، فلنأخذ برأى مَنْ يبيح؛ لأننا لو أخذنا برأى من يحرم فلن يكون هناك إعلام من الأساس»[(٢)].

---

(١)، (٢) القرضاوى فقيهًا، عصام تليمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٠م.

موسوعة (تحرير المرأة فى عصر الرسالة) ..وثيقة إسلامية للنهوض بالمرأة

يعد كتاب (تحرير المرأة فى عصر الرسالة) موسوعة علمية متكاملة عن المرأة فى الإسلام؛ حيث استقى صاحبه مادته من التطبيقات العلمية والممارسات الواعية للمرأة فى عصر الرسالة، فهو مرجع أمين يمثل الوسطية الإسلامية التى لا غلو فيها ولا تفريط، وهذا كله موثق بأصح النصوص وأوثق المصادر: القرآن الكريم، صحيح البخارى، وصحيح مسلم.

أما صاحبه فهو الأستاذ عبد الحليم محمد أبو شقة.. «نشأ فى حركة الإخوان المسلمين منذ شبابه المبكر، واقترب من مؤسسها ومرشدها الأول، الإمام الشهيد حسن البنا، واندمج فى نظامها الخاص، الذى كان يضم صفوة الشباب فى تلك الأيام، ودخل السجن متهمًا فى إحدى قضايا الإخوان، وقد استفاد من هذا الاتصال وأفاد، وكان للدعوة تأثيرها البالغ على تفكيره وميوله وسلوكه»(١).

يضم الكتاب ستة أجزاء هى: معالم شخصية المرأة المسلمة، مشاركة المرأة المسلمة فى الحياة الاجتماعية، حوارات مع المعارضين لمشاركة المرأة فى الحياة الاجتماعية، لباس المرأة وزينتها، مكانة المرأة المسلمة فى الأسرة، الثقافة الجنسية للزوجين.

أنفق الكاتب عشرين عامًا من عمره كى ترى هذه الموسوعة النور، بين البحث والكتابة والمراجعة والتمحيص؛ لإدراكه أهمية الكتابة للمرأة وحساسية هذا الموضوع الآن، فكان ملتزمًا فى كتابته بالدقة والأناة، فى ظل وجود آراء صادمة فى هذا الموضوع.. يقول رحمه الله: «وكان يزداد اهتمامى بالموضوع كلما قرأت

(١) من تقديم الدكتور يوسف القرضاوى للموسوعة نفسها.

كتابًا أو مقالا أو سمعت حديثًا عن المرأة فى الإسلام، فكثيرًا ما تصدمنى آراء علماء أفاضل قدامى ومعاصرين لا تتوافق مع ما ورد فى كتب السنة من نصوص صحيحة صريحة. أما المنهج الذى سار عليه الكتاب فهو[١]:

- استقصاء النصوص من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن الأحاديث الصحيحة.

- اجتهد المؤلف فى التأمل والنظر فى دلالات النصوص بوعى وفهم كبيرين، فى استنتاجاته واستخلاص القاعدة الشرعية.

- اعتمد الكاتب بصورة أساسية على استقراء النصوص التطبيقية لقوة دلالتها على موضوع البحث واستنباط الأحكام والآداب منها.

والكتاب يعود بالمسلمين إلى سنة نبيهم ﷺ دون تزيد ولا انتقاص، ويضم أهم ما يتعلق بالمرأة المسلمة فى حياتها العامة والخاصة، فى ضوء نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة وفهم السلف الصالح لهما، بعيدًا عن الجاهليتين اللتين تتعرض لهما المرأة المسلمة الآن وهما: «جاهلية القرن الرابع عشر الهجرى، أى جاهلية الغلو والتشدد والتقليد الأعمى لما وُجد عليه الآباء، وجاهلية القرن العشرين الميلادى، أى جاهلية العرى والإباحية والتقليد الأعمى للغرب، وكلتا الجاهليتين خروج وافتئات على شرع الله»[٢].

فالإسلام حرر المرأة وأكرمها وجعلها متميزة، ذات شخصية مستقلة، فهى تشارك فى الحياة العامة وتلتقى الرجال، وتطالب بحقوقها.. وهذا هو هدف الكتاب كما قال صاحبه: «الإسهام فى تحرير المرأة المعاصرة، محتذين خطى التحرير الأول، ومقتدين بهدى النبى ﷺ»[٣]؛ لأن المرأة هى أم المسلم وأخته ثم هى زوجته وابنته، فإذا جمعت المرأة بين جناحيها كل هؤلاء فمن يكون أعز منها؟!

(١) أوراق مؤتمر (تحرير المرأة فى الإسلام)، المنعقد فى القاهرة فى فبراير ٢٠٠٣م، تحت رعاية شيخ الأزهر، دار القلم، ٢٠٠٤م.

(٢)، (٣) من مقدمة صاحب الموسوعة الأستاذ عبد الحليم أبو شقة.

أما النتائج التى كشفت عنها الدراسة فهى:

أولاً: فى مجال معالم شخصية المرأة:

- كانت المرأة المسلمة فى العهد النبوى واعية لشخصيتها التى قرر الإسلام الحنيف معالمها، ثم إنها مارست الحياة فى مختلف مجالات الحياة انطلاقًا من هذا الوعى.

- يلخص معالم شخصية المرأة، القول الجامع لرسول الله ﷺ وهو يقرر أصل المساواة بين الرجل والمرأة مع قدر من الاختصاص فى بعض المجالات: «**إنما النساء شقائق الرجال**».

- حديث: «**ناقصات عقل ودين**» حديث صحيح أساء كثيرٌ من الناس فهمه وتطبيقه، فطمسوا معالم شخصية المرأة التى رسمها الله جل وعلا فى كتابه وبينها الرسول ﷺ فى سنته.

ثانيًا: فى مجال اللباس والزينة:

- كان كشف الوجه هو السائد فى العهد النبوى وهو الأصل. أما النقاب -الذى يبرز العينين ومحجريهما- فكان مجرد عادة من عادات التجمل عند بعض النساء قبل الإسلام وبعده.

- قدر من التزين المعتدل فى الوجه والكفين واللباس مشروع، فى حدود ما يتعارف عليه نساء المؤمنين.

- لم يُفرض طراز محدد بشأن اللباس ولكن فُرض ستر البدن، ولا جناح فى تعدد الطرز حسب الظروف المناخية والاجتماعية.

ثالثًا: فى مجال المشاركة فى الحياة الاجتماعية:

- ثبت أن القرار فى البيت والحجاب كانا من خصوصيات نساء النبى ﷺ، كما ثبت أن كرائم الصحابيات لم يقتدين بأمهات المؤمنين فى ذلك - شاركت

المرأة فى الحياة الاجتماعية، واطرد لقاؤها الرجال حتى شمل جميع المجالات العامة والخاصة؛ وذلك استجابة لحاجات الحياة الجادة النشطة وتيسيراً على المؤمنين والمؤمنات.

- لم يقيد هذه المشاركة غير مجموعة من الآداب الرفيعة التى تصون ولا تعطل.
- شاركت المرأة فى النشاط الاجتماعى والسياسى والعمل المهنى حسب ظروف الحياة وحاجاتها فى عصر الرسالة. ففى مجال النشاط الاجتماعى شاركت المرأة المسلمة فى عدة ميادين منها ميدان التثقيف والتعليم، وميدان البر والخدمات الاجتماعية، وميدان الترويح الطاهر. وفى مجال النشاط السياسى حملت المرأة المسلمة عقيدة تخالف عقيدة المجتمع والسلطة الحاكمة، وواجهت الاضطهاد والتعذيب، ثم هاجرت فى سبيل عقيدتها، كما تميزت بالاهتمام والوعى بالأمور العامة، وقدمت المشورة فى بعض قضايا السياسة وشاركت فى المعارضة السياسية فى بعض الأحيان. وفى مجال العمل المهنى عملت المرأة فى الرعى والزراعة والصناعات اليدوية والإدارة والعلاج والتمريض وأعمال النظافة والخدمة المنزلية. وساعدها هذا العمل على تحقيق أمرين: أولهما: توفير الحياة الكريمة لها ولأسرتها عند فقد العائل أو عجزه أو فقره. وثانيهما: توفير مزيد من الفضل والمكانة الرفيعة لها إذ تصدقت من كسبها وبذلت فى سبيل الله.

وإذا كانت قد جدّت فى عصرنا أوضاع اجتماعية تفرض مزيداً من المشاركة فى النشاط الاجتماعى والسياسى والمهنى، فإن القواعد والمعالم التى رسمتها الشريعة هى التى تحكم تلك الأوضاع، وما إليها أبد الدهر.

- كان من ثمرات هذه المشاركة فى الحياة الاجتماعية، نمو وعى المرأة وبلوغها درجة عالية من النضج، وتحقيقها الكثير من أعمال الخير.

رابعًا: فى مجال الأسرة:

- تأكيد حق اختيار المرأة لزوجها وتأكيد حقها أيضًا فى فراقه إذا كرهته دون مضارة منه، على أن ترد إليه ما أخذته وذلك بإقرار من الزوج، أو من القاضى بعد تحقق وقوع الكراهية.
- توزيع المسئوليات بين الزوجين كأن يصاحبه تعاون بينهما يؤدى إلى كمال أداء تلك المسئوليات.
- حقوق الزوجين متماثلة: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] والدرجة هى القوامة، أو هى فضل تنازل الرجل عن بعض ما يجب له. ومن هذه الحقوق حق الحب، فاللطف ثم الرحمة، وحق التجمل والاستمتاع الجنسى، وحق المشاركة فى مشاغل وهموم الطرف الآخر.
- وضعت الشريعة للطلاق وتعدد الزوجات شروطًا وآدابًا، ولا يستقيم حال الأسرة المسلمة مع الإخلال بهذه الشروط والآداب، ولذلك لا حرج علينا فى العصر الحديث من تقرير النظم التى تكفل ضمان تحقيق هذه الشروط والآداب.
- دور المرأة فى الأسرة هو المهمة الأساسية الأولى، وهذا لا ينفى أن لها مهام أخرى فى المجتمع، وإن نمو الوعى الاجتماعى والتعاون الوثيق بين الزوجين عاملان ضروريان للتنسيق بين المهمة الأولى للمرأة وبين غيرها من المهام التى قد تفرضها مصلحة المجتمع المسلم ليمضى فى طريق النهوض والتقدم.

خامسًا: فى مجال الجنس:

- الجنس من متع الحياة فى الدنيا والآخرة، وهو حلال طيب ويثاب المرء على مباشرته ما دام فى حدود ما رسمته الشريعة، وينبغى تصحيح تصورنا الذى شوهته الصوفية المنحرفة ومن ورائها الرهبانية النصرانية وبعض نحل الشرق القديمة.

- سار الرسول ﷺ وصحبه على منهج يحقق التربية الجنسية السليمة، والثقافة الجنسية الرصينة، وقد ترتب على ذلك صحة نفسية ينعم بها الجميع رجالا ونساء، وينبغى إزالة الهالة الضخمة من الإخفاء والتعتيم التى تحيط بكل ما يتصل بالجنس من قريب أو بعيد.

- كان الرسول ﷺ مثال الإنسان الكامل، سواء فى حال الزوجة الواحدة أو فى حال تعدد الزوجات، سواء فى زهده وتقشفه، أو فى كمال مباشرته لأزواجه واستمتاعه، وينبغى تصحيح فهمنا لموقف الرسول ﷺ من الجنس بعد تصحيح تصورنا العام له.

- تيسير الزواج منذ الشباب المبكر هو سمت المجتمع المسلم، وما أكثر سبل التيسير التى رسمتها السنة، وينبغى تيسير السبل فى عصرنا بكل العزم والتصميم لتحقيق ما رسمه الخالق سبحانه وهو أعلم بما خلق، فكل تعسير يتبعه شرود عن طاعة الله، وقرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، بل الوقوع فيها والعياذ بالله..

هل حدث تطور فى فكر وواقع الإخوان تجاه المرأة؟

التطور فى الفكر الإسلامى يعنى الجمع بين الأصالة والمعاصرة، والأصالة هنا هى المحافظة على سمت المرأة باستنادها إلى الأصول والأدلة الشرعية، والتمسك بآدابها الأساسية. . أما المعاصرة فتعنى تكافؤ المرأة المسلمة مع العصر الذى تعيش فيه بحيث تتفاعل مع واقعه ومتطلباته. .

فهل حدث تطور بهذا المعنى فى فكر وواقع جماعة الإخوان المسلمين تجاه المرأة؟

بالتأكيد حدث تطور فى فكر وسلوك الجماعة، لا يستطيع أحد أن ينكره، لكنه ليس على المستوى المأمول بالنسبة للمرأة المسلمة التى أقر الشرع جميع حقوقها منذ ما يزيد على ١٤٠٠ سنة، ورأينا كيف مارست تلك الحقوق على عهد النبى ﷺ وصحابته الكرام دون أدنى انتقاص لها. . وبما أننا فى القرن الحادى والعشرين، وبما أن جماعة الإخوان المسلمين هى الجماعة الأم بين الحركات الإسلامية، ويتميز أعضاؤها بالفهم الصحيح والشامل للإسلام، فمن الواجب أن يكونوا قاطرة التطوير، وأن يستلهموا كل جديد، وألا يدعوا للغرب ووكلائه من العلمانيين العرب الفرصة لاتهام الإسلام بتسفيه المرأة والحجر عليها.

نؤكد مرة أخرى أنه حدثت تطورات كبيرة، غير أن المأمول من الجماعة أكبر؛ حيث تتجه إليها أعين الجميع. . وكما نجح فكر الجماعة الراقى المعتدل على مدار ثمانين عامًا مضت فى التصدى لمن أرادوها إباحية خالصة، وفى كبح جماح المتشددين الداعين لحبس المرأة وتغييب عقلها، فالجميع يأملون فى استكمال الإخوان للشوط، بالفصل -دون مواءمات- فى القضايا الالتباسية التى تخص المرأة، ويستغلها المتربصون بهم فى تشويه الإسلام، وتستغلها بعض الجماعات لتبدو كأنها تمثل الورع

وحراسة الدين، فى حين أن هذا التشدد يُنتج الغلو والتطرف وإلباس الدين ما ليس فيه، تمامًا كما تنتج أفكار الغرب الفوضى الجنسية والانفلات الأخلاقى.

- **مقارنة بين القديم والحديث:**

وإذا قارنا بين الجماعة الآن وقديمًا.. فسوف نلاحظ ما يلى:

- **على المستوى النظرى:** من يقارن بين وثائق الجماعة قديمًا، ووثائقها الحديثة، يلحظ فروقًا جوهرية بين الفترتين -مع بقاء الثوابت بالطبع كما هى- فالرسالتان الرئيسيتان اللتان صدرتا عن الجماعة قبل الثورة وهما رسالة المرأة المسلمة، ورسالة البيت والمجتمع، لم تتضمنا الحديث عن القضايا المطروحة الآن ولا غيرها من القضايا، باستثناء قضيتى العمل والتعليم، وما يستتبعهما من اختلاط، وكان يبدو فيهما التحفظ فيما يختص بحقوق المرأة، وتلك كانت سمة المجتمع كله وقتذاك.

وبخلاف هاتين الرسالتين لم يصدر عن الإخوان وثائق أخرى حول المرأة، رغم انطلاق قسم الأخوات المسلمات -كما تحدثنا من قبل- فى أعماله الميدانية يضم بين صفوفه آلاف الأخوات ممن تركن تأثيرًا كبيرًا داخل المجتمع..

ورغم مشاركة الإخوان فى العمل السياسى العام منذ بداية ثمانينيات القرن الماضى، إلا أنهم لم يصدروا وثيقة عن المرأة إلا فى عام ١٩٩٤م، عندما أصدروا وثيقتهم المهمة فى العام ذاته حول المرأة والشورى، والتى تعد نقلة نوعية فى فكر الجماعة، حيث طرحت العديد من القضايا والإشكاليات، وأجابت عن العديد من التساؤلات بشكل واضح ومفصل.

أما قبل ذلك فلم نعثر على وثيقة حول حقوق المرأة، حتى فى الأحداث السياسية التى شاركت فيها الجماعة وكانت تقتضى طرح تصوراتها حول المرأة، ففى انتخابات ١٩٨٧ لم يعلن الإخوان عن برنامج لهم، وفى انتخابات الشورى فى ١٩٨٩، أعلنوا عن برنامجهم تحت اسم (البرنامج الانتخابى للتحالف الإسلامى لعضوية مجلس الشورى)، لكنه جاء خاليًا من أى إشارة عن المرأة، وفى عام ١٩٩٠ قاطع الإخوان الانتخابات.

ومن بعد تلك الوثيقة الشهيرة -وثيقة ١٩٩٤- توالت مبادرات وأحاديث الإخوان حول المرأة وحقوقها، فكتب أعضاء الجماعة وقادتها عشرات الرسائل والمقالات التى تدفع عن الإسلام تهمة تحقير المرأة، وعن الإخوان تهمة إعادتها إلى صفوفهم الخلفية.. وفى عام ٢٠٠٤م أصدر المرشد السابع محمد مهدى عاكف مبادرته للإصلاح، وكان من بين بنودها حديث عن المرأة وحقوقها، وفى برنامج ٢٠٠٥ الانتخابى وضعوا -لأول مرة- فقرة عن حق المرأة فى الترشح والانتخاب، وكانوا قد رشحوا أختًا فى تلك الانتخابات وأختًا أخرى فى الدورة التى سبقتها عام ٢٠٠٠م، وعندما شرعوا فى الحديث عن حزب سياسى لهم، كتبوا مسودة لبرنامج ذلك الحزب، وزعوها -آنذاك- على الشخصيات العامة وبعض المثقفين، وبها حديث لا بأس به عن مشكلات المرأة المصرية وكيفية حلولها.

- **أما على مستوى الواقع والسلوك**، فهناك تطورات واضحة بدون شك، فكثير مما كان محظورًا قديمًا لم يعد محظورًا الآن، وهناك عديد من الظواهر تؤكد حدوث تغيير كبير على مستوى الجماعة من ناحية وعلى مستوى عضواتها من ناحية أخرى.. فالمرأة الإخوانية المعاصرة تختلف عن أختها فى الفترات السابقة، فلديها القدرة الآن على اقتحام المجتمع والتعامل معه، وتستطيع أن تتفاعل مع الأحداث، وأن تشارك فى الواقع السياسى وتؤدى دورها فيه بشكل مقبول. .ومع كل حدث أو قضية من قضايا العالم الإسلامى، يحتشد عشرات الآلاف من نساء الإخوان، فى سائر المحافظات، لنصرة تلك القضايا، ويشارك فيها فى الوقت ذاته المئات من أشبال وزهرات الجماعة..

- **شهادة الدكتور سعد الدين إبراهيم:**

ونتقل هنا شهادة الدكتور سعد الدين إبراهيم، وهو يصف الأخوات المسلمات فى قرى ومدن محافظة الدقهلية وقد تسلقن الأسوار للإدلاء بأصواتهن، يقول:

«.. بعدها بأيام قليلة (أى بعد انتخابات ٢٠٠٥) جاءتنى مراسلة (CNN) تسألنى عما سيحدث للمرأة المصرية بعد هذا الصعود السياسى غير المتوقع للإخوان

المسلمين؛ هل سيفقدن حقوقهن السياسية والمهنية ويفرض عليهن البقاء فى المنزل؟ . . فجأة تذكرت ما كنت قد شاهدته فى المنصورة قبل أسبوع ومنظر الأخوات المسلمات المتسلقات لأسوار المدارس المقتحمات للجان الانتخابية، فقلت لمراسلة (CNN): «لا تقلقى على مستقبل أو حقوق النساء المصريات، فهن أخوات مسلمات قادرات على حماية هذه الحقوق، وعلى منازلة أقوى هؤلاء الإخوان الرجال شكيمة وبأسًا، حتى لو كان مرشدهم الرياضى السابق مهدى عاكف أو نائبه المتشدد محمد حبيب»[١].

• ظواهر جديدة:

ولقد رصدنا عدة ظواهر، من داخل الجماعة، تؤكد أن هناك تطوراً كبيراً فى واقع المرأة الإخوانية، نتج عن توجهات الجماعة من ناحية، والتطورات المحلية والعالمية التى فرضت نفسها على الحركة وحركت الراكد من ناحية أخرى. . ومن تلك الظواهر:

- ترشيح الجماعة أخوات لعضوية مجلس الشعب. . وقد كان فى نية الجماعة -حسب تصريحات قادتها- ترشيح عدد أكبر، لولا خوف الأزواج على زوجاتهم من التجاوزات الأمنية، إضافة إلى ما تتعرض له النساء المرشحات عمومًا من مضايقات، باعتبار ذلك مما يخالف عادات وتقاليد المجتمع الذى لم يعترف بعدُ بالدور السياسى للمرأة.
- ظهور عدد من النقابيات[٢]، اللاتى ينتمين إلى الجماعة، وقد أثبتن كفاءة فى هذا العمل التطوعى العام، بما يعطى الفرصة للحركة فى الدفع بأعداد أخرى للعمل فى هذا القطاع المهم بعد تحريره من سيطرة الحكومة التى فرضت الحراسة على بعض النقابات وجمدت البعض الآخر.

---

(1) eicds. org/ arabic publications AR .

(٢) رشحت الجماعة على قائمتها د. وفاء رمضان التى صارت عضواً بمجلس إدارة النقابة العامة للأطباء، كذلك تم ترشيح د. نفوسة عبد الباسط (صيادلة الإسكندرية)، د. سميحة غريب (نقابة العلميين).

- وجود مئات الرموز من أخوات المناطق والشُعَب، اللاتى صرن أعلامًا فى أحيائهن، فمنهن الرمز الشرعى وهى الحافظة لكتاب الله العالمة بأحكامه أو بأحكام السنة والسيرة، ومنهن الرمز الاجتماعى ممن تجيد أعمال البر والتطوع والمصالحة وغيرها، ومنهن الرمز السياسى وهى التى ترمز للحركة فى حيها وتعبر عن توجهاتها، وهى غالبًا زوجة أحد المسئولين فى الجماعة.

- وهناك عدد من المدافعات عن حقوق المرأة المسلمة، الراغبات فى إبعادها عن مصادر الإباحية والجهل.. وهؤلاء -عادة- هن المشتبكات مع أنصار (تحرير المرأة) والنهضويات، حيث يُجدن إجراء المداخلات، ويحضرن فعاليات تلك الحركات التغريبية ويقمن خلالها بالرد على أفكارهن (المتحررة) وتصحيحها.

- وهناك سياسيات متفاعلات مع الأحداث، مشاركات فى منظمات المجتمع المدنى وهيئات الإصلاح المختلفة، يكتبن ويتحدثن، ويشاركن فى الفعاليات.. ومن بينهن مناضلات، يدافعن عن معتقلى الجماعة وأفرادها المسجونين، ولهن اتصالات بمنظمات وهيئات حقوق الإنسان، وقد نجحن كثيراً فى إيصال صوت الجماعة إلى الداخل والخارج، بفضل مهارتهن فى عرض قضايا الإخوان والتجاوزات التى تقع عليهم من جانب الأنظمة والحكومات.

- وهناك صحفيات ومدونات وكاتبات، ينتشرن فى مواقع كثيرة، ولهن بصماتهن التى تدل على فكرهن.. وهن ينافحن كذلك من أجل الإصلاح وفقًا لمبادئهن وأفكارهن الإسلامية.

- وهناك -لأول مرة- اختلاط فى بعض مؤسسات الإخوان، بضوابطه الإسلامية، لم يكن موجودًا من قبل، فصارت الأخت فى بعض هذه المؤسسات تحترف حرفة أخيها، بل تنافسه فيها، وتشير عليه، وتفتح له مجالات عمل جديدة، وصارت لها شخصيتها وتميزها فى مواقع العمل.

- وهناك فرق غناء وإنشاد من الأخوات، بضوابطها أيضًا، صارت بديلا لمهازل كانت تقع فى الأحفال والأعراس على أيدى غير المتدينات.

- ولأول مرة ترسل المرأة الإخوانية برسالة مفتوحة إلى إخوانها المسئولين، تعترض فيها على بعض الأمور، وتطالب بحقها فى أمور أخرى.

• تطور بطىء.. لماذا؟!

هذه الظواهر وغيرها تؤكد أن هناك -بالفعل- تطورات مهمة فى فكر وواقع جماعة الإخوان المسلمين بخصوص المرأة، غير أن هذا التطور -كما قلت- يعد بطيئًا مقارنة بحجم التطورات الحاصلة الآن على الساحة العالمية ومقارنة بحجم جماعة الإخوان المسلمين ذات التاريخ الدعوى والسياسى. وفى اعتقادى أن هذا التطور البطىء لأسباب ثلاثة:

- أنه التطور نفسه الذى تتحرك به المجتمعات العربية والإسلامية ومن بينها المجتمع المصرى، فما زالت تلك المجتمعات غير مستعدة لإعطاء المرأة حقوقها كاملة كما شرع الله ورسوله؛ للعادات والتقاليد التى تحكم تلك المجتمعات والإسلام برىء منها، والإخوان جزء من هذه المجتمعات بالطبع.

- أن هناك -بالفعل- تقصيرًا من قبل الجماعة الأم فى المبادرة بوضع النقاط فوق الحروف فى هذه القضية، بدليل أن بعض فروعها كفلسطين على سبيل المثال -وهو ما سنتناوله فى الصفحات المقبلة- قد خطت خطوات جريئة فى هذا المجال بما يحرج الجماعة الأم فى مصر، بلد المنشأ.

- إضافة إلى ما تقوم به الحكومات المتعاقبة، التى تعارض أى قول أو عمل يدل على (الإسلام السياسى) -كما يصفون تيار الإخوان، فهم بالمرصاد لكل تطور، فما بالك إذا كان هذا التطور فى مجال المرأة التى لا صوت لها داخل أحزاب أو جماعات تلك الأنظمة؟!

• تجارب ناضجة من خارج مصر:

وإذا كانت الحركة الأم بمصر -للأسباب الثلاثة التى ذكرناها آنفًا- قد تطور فكرها وواقعها ببطء إزاء تعاملها مع حقوق المرأة، فإن واقعها فى بعض الأقطار الأخرى متقدم بكثير عن الواقع المصرى، وخصوصًا فى كل من: فلسطين، الأردن، الجزائر، ماليزيا.. وسنعرض فيما يلى -بإيجاز- لواقع الأخوات المسلمات فى الحركة الإسلامية بفلسطين.

• نساء حماس:

أدركت حركة حماس، وهى أحد فروع الإخوان المسلمين، منذ بداية تأسيسها أهمية دور المرأة فى الحركة، فعنيت بها وأولتها اهتمامًا كبيرًا حصدت ثماره فيما بعد، وكان لمؤسسها الشهيد أحمد ياسين الفضل فى الاعتناء بقسم الأخوات منذ وقت مبكر، إذ قام -رحمه الله- فى أواخر سبعينيات القرن الماضى بإيجاد تنظيم خاص بالنساء؛ لعلمه بأهمية دور المرأة فى إصلاح المجتمع، وقد كان اهتمامه بنساء الحركة نابعًا من رؤية استراتيجية وليس اهتمامًا طارئًا أو خطة تكتيكية، حيث قام بتخصيص أماكن للنساء فى جميع مساجد القطاع، رغم ما لاقاه من معارضة بسبب الأعراف القبلية السائدة فى غزة، وقامت الحركة بتخصيص قسم للأخوات فى جميع الجمعيات التى يشرفون عليها، وكذلك فعلوا مع الطالبات، إذ أنشأوا قسمًا لهن فى الجامعة الإسلامية، وأنشأوا عددًا كبيرًا جدًا من رياض الأطفال تحت إشراف نساء الحركة بالكامل وهو ما أفرز جيلا من الأخوات المنتميات للحركة كن الأساس فى عمل الكتلة الإسلامية الطلابية، وفى عمل الأخوات داخل النقابات، وكن القادرات على حمل أعباء الدعوة وشتى أعمال المقاومة والأعمال المساندة لها..

لقد خرجت تلك الفتاة التى تربت على مناهج الحركة -التى هى وسائل التربية عند الإخوان المسلمين- فى المظاهرات، وشاركت فى أعمال الفكر والأدب، وفى

الأعمال الخيرية، وأعمال البر والإمداد، وشاركت فى الإغاثة والتطبيب، وعقدت الفعاليات والمهرجانات الغنائية المساندة للمقاومة، وأحيت أعراس الشهداء، وهرّبت الأموال والسلاح داخل فلسطين، وربت أولادها فى غياب زوجها الأسير أو الشهيد، وتعرضت للاعتقال والسجن والتعذيب والاغتيال، وقاومت الحصار، وصبرت على التنقل والمطاردة مع زوجها من سكن لآخر خوفًا من الملاحقة، وقد ولدت على الحواجز وأجهضتها غارات العدو، وتعرض بيتها للتدمير فلم تخرج منه تثبيطًا لهمم العدو وتحريضًا لنساء شعبها على الجهاد والرباط..

وقد حافظت رغم كل هذه التضحيات على معدل الإنجاب، وعلى رعاية أبنائها أفضل رعاية، وربتهم على العمل النضالى ومقاومة المحتل.

• أكثر انفتاحًا من غيرهن:

وعكس ما يعتقد خصوم حماس، فإن نساء الحركة أكثر انفتاحًا على المجتمع من باقى النساء، فإنهن يشكلن حضورًا كبيرًا أثناء المعارك الانتخابية، وفى الجامعات والمدارس، والمدن والقرى والشوارع، وكثيرات منهن ترأس وتدير جمعيات ومدارس ومؤسسات خيرية إسلامية، وقد خاضت المرأة الحمساوية الانتخابات النقابية والبلدية وانتخابات الكتلة (الطلبة).. وقد نجحت فيها جميعًا، وتميزت عن غيرها فى العمل العام.

لقد أصبح للحركة ست نائبات فى المجلس التشريعى منذ عام ٢٠٠٦، هن: جميلة الشنطى، مريم فرحات[1]، سميرة الحلايقة، منى منصور، هدى نعيم، مريم صالح.. حيث شغلت الأخيرة منصب وزيرة شئون المرأة فى الحكومة العاشرة.

وقبيل انتخابات المجلس التشريعى (عام ٢٠٠٦) أصدرت حماس بيانًا -على اقتضابه إلا أنه يظهر العلاقة السوية بين الرجل والمرأة فى الحركة، وأنها أخته التى

(١) مريم فرحات: (أم نضال) خنساء فلسطين، أم لعشرة أبناء، كلهم أعضاء فى كتائب القسام، استشهد ثلاثة منهم، ودّعت بنفسها الأخير منهم قبل قيامه بالعملية.

هى على قدم المساواة معه، يقول البيان. . «آن الأوان للمرأة الفلسطينية أن تأخذ دورها الحقيقى، وآن للمجتمع أن يقدر حجم تضحياتها وجهادها، فهى الأم والأخت والزوجة والابنة، التى تخرج المبدعين والأبطال والشهداء وأجيال المستقبل، وستسعى حماس إلى أن يكون للمرأة دورها فى المجلس التشريعى وأن تكون إلى جانب الرجل فى إدارة الصراع مع العدو، وأن تسن التشريعات التى تحمى المرأة وحقوقها، وستقاوم حماس محاولات تهميش دور المرأة وتسطيحه».

مما سبق يتضح أن المرأة فى حماس مارست كل الأدوار التى يمارسها الرجل، فلم يتبق لها إلا أن تكون استشهادية. . وقد كان، ففى يوم (٢٧/ ٢/ ٢٠٠٢م) رشحت دارين أبو عيشة نفسها للشهادة كأول استشهادية من حماس بعدما فجرت نفسها فى حاجز عسكرى صهيونى شمال الضفة الغربية فأصابت ثلاثة جنود، وقد تلتها أخريات من الحركة، أشهرهن أم الاستشهاديات فاطمة النجار (٥٧ عامًا) التى فجرت نفسها فى دورية صهيونية فى ٢٣/٨/٢٠٠٦ فأصابت وقتلت أفرادها.

• مريم صالح.. نموذجًا:

مريم صالح هى وزيرة شئون المرأة فى حكومة إسماعيل هنية، وهى نموذج لامرأة من حماس، تؤمن بأفكارها، وتدافع عنها. . وهى فى الوقت ذاته نالت حقوقًا لم تنلها الكثيرات.

تبلغ مريم من العمر ٥٢ عامًا، حاصلة على الدكتوراه فى الشريعة الإسلامية، تعمل أستاذة بكلية الدعوة وأصول الدين، أحيت مشروع (مصاطب الأقصى)، بإلقاء الدروس والمحاضرات تحت قبه الصخرة المشرفة، خاضت انتخابات (٢٥ يناير ٢٠٠٦). وهى أم لسبعة أبناء. .

تقول مريم(١): «أنا مؤمنة بأن المرأة رسالتها الأولى هى البيت ورعاية الأولاد وتربيتهم التربية الصالحة، لكن أحيانًا قد تُضطر المرأة للخروج إلى العمل بسبب

(١) موقع (إسلام أون لاين) الإلكترونى.

المورد الاقتصادى أو فقدان الزوج. وإذا نظمت المرأة وقتها تستطيع أن توفق بين بيتها وعملها، وتعطى أسرتها الوقت الكافى، ولا أفضل أن تعطى المرأة العمل كل جهدها ووقتها على حساب أسرتها؛ لأن الأسرة والأولاد هم الرسالة الأساسية والحقيقية للأم، وأؤكد أن المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها ورسالتها وتربية أولادها، فهناك الكثير من النساء اللاتى عملن فى مجالات متعددة وربين أولادًا وجيلا صالحًا. وهناك بعض النساء يجلسن فى البيوت، ومع هذا فقد انحرف أبناؤهن».

وتقول: «أنا أقدر الرجل، فهو أبى الحنون، وزوجى الوفى، وابنى البار، وأنا أعتقد أنه إذا امتلكت المرأة الإرادة والعزيمة والشجاعة، فستجد الرجل بجانبها، سواء زوجها أو أبوها أو أخوها، كما سيدعمها كل الرجال المخلصين فى المجتمع». أ. هـ.

تحديات تواجه المرأة الإخوانية

تواجه المرأة داخل جماعة الإخوان المسلمين، عددًا من الهموم والإشكاليات، تمثل تحديات فى سبيل حصولها على حقوقها كاملة، وتميزها، بما يجعلها أداة إصلاح ومدافعة شرعية عن حقوق النساء، التى هضمتها إما أعراف جاهلية وإما تدين شكلى منقوص.

وتلك التحديات، إما داخلية سببتها الحركة فهى مآخذ على الجماعة وإشكاليات يثيرها خصوم الإخوان، وإما خارجية فرضها الواقع السياسى، أو الظروف الاجتماعية والاقتصادية، أو الأفكار الأخرى المتشددة.

• تحديات من داخل الجماعة:

وتتمثل أهم هذه الإشكاليات فيما يلى:

١- **سيطرة الرجال على قياد عمل الأخوات داخل الجماعة** . . «فهم الذين يقودونه، ويوجهونه، ويحرصون على أن يظل زمامه بأيديهم، فلا يدعون فرصة للزهرات أن تتفتح، ولا للقيادات أن تبرز»[(١)]، وبالتالى فليس مسموحًا للأخوات بالاقتراب من بعض اللجان، ولا تتم الاستفادة منهن، وخصوصًا ذوات المواهب والحاصلات على الدرجات العلمية.

ويبلغ هذا التمييز ذروته فى المناهج التربوية، فمناهج الرجال غير مناهج النساء، وما تدرسه الأخت لا يلبى الحاجة ولا يشبع الفكر، حتى تحولت الجلسات التربوية للنساء إلى حلقات للدردشة والكلام عن الأطفال والخضار وخلافه!![(٢)].

---

(١) أولويات الحركة الإسلامية فى المرحلة القادمة، د. يوسف القرضاوى، مكتبة وهبة، ١٩٩١م.

(٢) انظر: رسالة د. رشا أحمد، المنشورة على موقع «إسلام أون لاين».

- **ويرد الإخوان على هذا الاتهام بقولهم:** إن مناهج الإخوان تراعى إعداد الأخت لدورين مهمين، دورها كداعية وكزوجة وأم، ولذا فإن الجماعة لا تكلفها كثيراً بالأعمال الإدارية، قدر اهتمامها بالأمور التربوية، كما أن نفسية المرأة لا تحتمل الضوابط الإدارية من تعزيرات، وسمع وطاعة وخلافه.. فضلا عن أن الحياة الزوجية تشغلها عن دورها الدعوى، وهو ما يكون معوقًا لسير العمل.. وخبرات الجماعة تؤكد أن هناك إشكالية فيما يختص بالتعاون بين النساء وتفشى ظاهرة الخلافات بينهن. وإذا كانت ثمة شكوى من اختلاف المناهج فلأن ما هو مطلوب من المرأة غير ما يُطلب من الرجل، ولا جناح على الأخت إن أرادت المزيد من الثقافة والعلم، أن تستكمل ذلك بذاتها.

٢- **المرأة الإخوانية بعيدة عن مراكز اتخاذ القرار بالجماعة،** محرومة من حقها فى الانتخاب والترشح لتولى بعض مراكز القيادة وعضوية مجالس الشورى، رغم علم الجميع أن عدد الأخوات بالجماعة يزيد على عدد الإخوان، وقد كان لهن دور رئيسى فى إيصال مرشحى الحركة إلى مجلس الشعب عام ٢٠٠٥.. وهذا يهدر حقًا مهمًا من حقوقها.

- **ويرد الإخوان على هذا الاتهام بقولهم:** إن الأوضاع غير المستقرة للجماعة، وتتابع اعتقال أفرادها، ترغم المرأة الإخوانية على الاستقرار فى البيت لمراعاة الأبناء فى حالة غياب الزوج أو انشغاله بالدعوة، والإخوان حريصون على ألا يضيعوا جهود الأخوات «فى الالتفات إلى المناصب الإدارية والإعداد لها والتطلع إليها.. وربما كان هذا الأسلوب من أهم الأسباب فى نجاح التنظيمات النسائية فى الإخوان المسلمين بينما فشلت مثيلاتها فى جهات أخرى»[١].

(١) الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، مرجع سابق.

● **والأخوات أنفسهن يرددن بقولهن:** «لقد تربينا داخل الجماعة على أن عملنا دعوى ورسالى، يهدف إلى إصلاح المجتمع على مرجعية ومنهجية إسلامية، وبالتالى لا نلتفت إلى من هو القائد فينا ومن المقود، فضلا عن أن الأعباء التنظيمية ليست بالأمر الهين كما يتخيل البعض، فهى تحتاج إلى الوقت والمجهود الوفيرين، والنساء عليهن أعباء أسرية لها الأولوية، ومن ثم فلم تفكر أى سيدة من الإخوان فى اعتلاء منصب قيادى؛ لأنه لا يمثل هدفًا تسعى لأجله»[١].

٣- **الأزواج يبعدون زوجاتهم عن العمل المجتمعى العام،** وعن دورهن الإصلاحى المماثل لدور الرجل، ويجعلون اهتماماتهن فى نطاق الجماعة.. حتى ينتهى بهن الأمر إلى حياة الخمول والكسل والبعد عن ميدان الحركة والعمل.

● **ويعترف الإخوان بوجود هذه المشكلة..** لكنهم لا يجدون إزاءها حلا فوريًا، فهناك أعضاء داخل الجماعة يرون أن العمل العام له محاذيره الشرعية وخطورته على دور المرأة كزوجة وأم، والإخوان -كما يقولون- لا يملكون تغيير هذه الأفكار المستوحاة من البيئة الاجتماعية والسياسية بين يوم وليلة، كما لا تستطيع الجماعة فرض رأيها على الإخوان قسرًا وخصوصًا فى نطاق العلاقة الزوجية التى لا تستقيم بالإكراه؛ حيث إن إصدار قوانين لتسيير تلك العلاقة يضر بها أكثر مما يفيدها.

٤- **ضعف المشاركة السياسية العامة للمرأة الإخوانية،** وعدم وجود تشجيع كافٍ لها لخوض هذا الحقل، وغياب تصورات الجماعة حوله، وخلو خططها وبرامجها من الاهتمام بتدريب نساء الجماعة وتثقيفهن ثقافة دينية وحياتية تعينهن على أداء دورهن فى المجتمع كما ينبغى.

(١) د. مكارم الديرى، فى حوار لموقع «إسلام أون لاين» الإلكترونى.

- **ويرد الإخوان على هذه الإشكالية بقولهم:** الجماعة وضعت تصوراتها حول المرأة عمومًا منذ عام ١٩٩٤، في وثيقة المرأة والشورى، وما تلاها من مبادرات وبرامج انتخابية.. والجماعة لديها مناهج لصنع كوادر نسائية ولكنها تواجه بعقبتين: الأولى، التدخلات الأمنية التي تمنع نساءها من خوض الانتخابات ومن جميع أعمال العمل العام الطوعي، أما العقبة الأخرى: فهي فكر المجتمع وعاداته التي تنكر على المرأة القيام بهذا الدور، وهناك أمر آخر هو أن الأخوات أنفسهن يبتعدن عن العمل العام؛ لاعتقادهن أنه يعرضهن لمحاذير شرعية.

- **تحديات من خارج الجماعة:**

- **تعد المضايقات الأمنية أخطر ما يواجه المرأة الإخوانية،** في الحصول على حقوقها العامة والسياسية، فهي ممنوعة من هذه الحقوق بأمر الأمن الذي ينفذ سياسات الأنظمة العلمانية التي تعادي الفكرة الإسلامية، وتقف بالمرصاد أمام نشر مبادئها وتوجهاتها.

وللإخوان تجارب مريرة في هذا الأمر، حتى خشوا على نسائهم من تنكيل السلطة بهن.. وفي المرات المعدودة التي شاركت فيها المرأة الإخوانية في الانتخابات، ناخبة أو مرشحة، نالها الأذى والإحباط في الوقت ذاته.. ففي انتخابات عام ٢٠٠٠ تم احتجاز عدد لا بأس به من الأخوات، من بينهن طالبات، وبلغ الأمر ذروته في دائرة الدقي التي كان مرشح الإخوان فيها هو المستشار مأمون الهضيبي، حيث أراد الأمن أن ينكل بهن لولا تدخل السفارة الأمريكية في اللحظة الأخيرة حيث كانت إحدى الأخوات تحمل الجنسية الأمريكية، فأنقذت أخواتها من تجاوزات ربما كانت خطيرة. وفي انتخابات عام ٢٠٠٢ تم القبض على (١٠) أخوات، تم وضعهن في أحد معسكرات الأمن المركزي، ثم تم الإفراج عنهن فيما بعد. وفي انتخابات ٢٠٠٥ تم القبض على ثلاث أخوات، تم تهديدهن بالاعتقال والسجن بعد تعرضهن لفترة طويلة من التعذيب النفسي. ثم تم الإفراج عنهن.

وقد ذكرنا قبل ذلك، ما وقع فى دائرة الرمل عام ٢٠٠٠م، وما وقع فى دائرة مدينة نصر عام ٢٠٠٥، حيث تعرضت مرشحة الدائرة الأخيرة (د. مكارم الديرى) لمضايقات لا يقدر عليها أقوى الرجال، وفى النهاية تم تزوير الانتخابات لصالح مرشح الحزب الحاكم، أما الأخت جيهان الحلفاوى مرشحة دائرة الرمل عام ٢٠٠٠، فقد تعرضت حياتها وحياة زوجها وأبنائها للخطر، ناهيك عما وقع على إخوان الدائرة، بل وعموم مواطنيها.. لقد وقف ابنها -فى إحدى جولاتها الانتخابية- يعلق ملصق دعاية، فإذا بمجموعة من أفراد الشرطة يقبضون عليه، فيسرع والده ليخلصه من أيديهم، فتركوا الولد وأخذوا الوالد، فذهبت إليهم الزوجة (المرشحة) فضربها أحدهم بكعب المسدس من الخلف، وجذب آخر الكاميرا من يد ابنتها حتى كاد يقطعها.

- **وهناك المعوقات الثقافية والاجتماعية** التى أبرزت ضعف الثقة بجدارة المرأة بالمشاركة فى العمل العام، وهذه أعراف تدعمها وسائل الإعلام وسلوك المنظمات العامة والأحزاب، التى تهمش دور المرأة، أو تسمح لها بالمشاركة الضعيفة للغاية.

خاتمة

مما لا شك فيه أن الإسلام قد ميز المرأة وأعطاها حقوقًا، لم تنلها يومًا في حضارة من الحضارات أو ديانة من الديانات.. ورغم هذا لم يسلم هذا الدين من التشويه، والاتهام بأنه انتقص المرأة واغتصب حقوقها!!

وإذا كانت دعوة الإخوان المسلمين، تنادى بالفهم العام الشامل للإسلام، فإنها لم تسلم هى الأخرى من تلك الأباطيل، فهى -فى نظر الخصوم- تقف أمام حرية المرأة ومنحها حقوقها- على غير الواقع الذى رصدناه وخرجنا منه بعدد من النتائج، أهمها:

- اهتمت الجماعة منذ قيامها بالإسماعيلية عام ١٩٢٨ بشئون المرأة، فأنشأوا فرقة الأخوات المسلمات، وأسسوا مدارس للبنات، ودورًا للتائبات.
- حاربوا البغاء، ودافعوا عن حقوق المرأة، بالكتابة فى صحفهم ومجلاتهم، وفى محاضراتهم وندواتهم، وتصدوا لدعاة (تحرير المرأة) ممن انفتحوا على الغرب وأرادوا الخروج بالمرأة المسلمة من وقارها وعفتها إلى حيث العربدة والمجون.
- أنشأوا عام ١٩٤٤ قسمًا للأخوات داخل الحركة، كان له الدور الأكبر فى النهوض بنساء الجماعة على المستويين الدعوى والاجتماعى، وقد تحددت من خلال هذا القسم أدوار الأخت المسلمة، وبدأت الجماعة تضع الرسائل واللوائح التى ساعدت فى انطلاق العمل النسائى حتى صار أحد جناحى الدعوة.
- حظيت المرأة الإخوانية بمكانة كبيرة داخل جماعتها، من حيث صونها، وجبر خاطرها، وحفظ كرامتها، واهتمام الجماعة بها كبنت وأخت وزوجة وأم.

- يعترف الإخوان المسلمون بجميع حقوق المرأة التى أقرتها الشريعة الإسلامية، وهم سباقون فى إبداء وجهة نظرهم فى قضايا المرأة التى تستجد على الساحة، كما لم يمانعوا -مؤخرًا- فى حصول المرأة على (كوتة) البرلمان.

- للأخت -داخل الحركة- وسائل تربوية ومناهج ثقافية، ولها أدوار، وعليها واجبات، تحددها لوائح وخطط الحركة.

- قامت الأخوات بدور بطولى أثناء المحن التى تعرضت لها الجماعة، حتى قيل: إن الأخوات هن اللاتى ثبتن الجماعة، ومنعن خصومها من استئصالها.

- أفرزت الحركة رموزًا نسائية عديدة، استطعن تحقيق إنجازات كبيرة فى المجالات السياسية والاجتماعية والدعوية.

- ناصر عدد من مفكرى الأمة وعلمائها ممن خرجوا من رحم الجماعة، المرأة، ودعوا إلى النهوض بها، وحاربوا العادات والتقاليد التى تمنع حقوقها وتقيد حريتها.. وقد أحدثوا تغييرًا كبيرًا فى المجتمعات المسلمة فى هذا الأمر.

- تمثل الأنظمة العلمانية، أكبر عائق أمام النهوض بالمرأة المسلمة؛ إذ تعطل أجهزتها الأمنية أى إنجاز لها، وتقتل كل مبادرة إصلاحية تقوم بها، ويتردد الإخوان فى الدفع بنسائهم إلى ساحة العمل العام خوفًا من إرهاب وبلطجة تلك الأجهزة.

- حدث تطور كبير فى فكر وواقع جماعة الإخوان المسلمين تجاه قضايا المرأة.. لكن ليس هو التطور المأمول من تلك الجماعة العريقة، حيث مازالت المرأة الإخوانية تواجه عددًا من التحديات من داخل جماعتها.

ملاحق الكتاب

١- أول لائحة لفرقة الأخوات المسلمات
٢- المطالب الخمسون (وثيقة فى الإصلاح)
٣- نشــــرة إدارية لنواب المناطق
٤- لائحة قسم الأخـوات المعـدلة
٥- رســـــالـة (المرأة المسلمـة)
٦- وثيقة الإخوان حول المرأة (عام ١٩٩٤)
٧- مبـادرة الإصـلاح (عـام ٢٠٠٤م)
٨- المرأة فى أوراق حـــزب الإخــوان

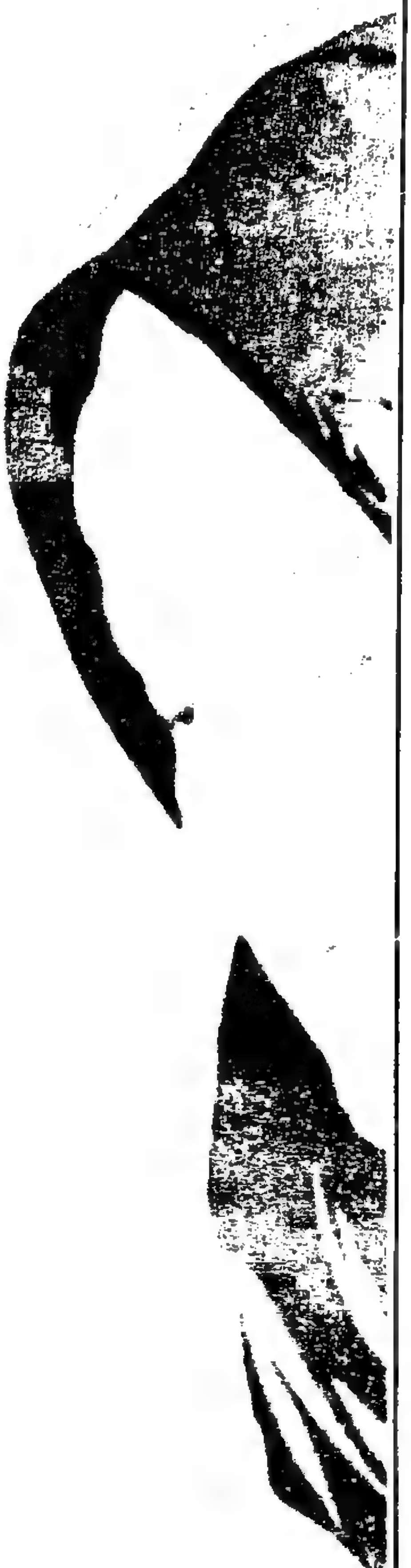

[١]

أول لائحة لفرقة الأخوات المسلمات

[صدرت فى ٢٦ من أبريل ١٩٣٢]

١- يقوم مجلس الشورى المركزى فى كل دائرة من دوائر الإخوان بتكوين فرقة للأخوات المسلمات.

٢- الغرض من تكوين فرق الأخوات تنظيم الدعوة بين السيدات المسلمات، وإرشادهن إلى التمسك بآداب الإسلام بالدروس والمحاضرات فى مجتمعات خاصة بهن، وإرشادهن إلى الكتب والمجلات النافعة فى هذا السبيل.

٣- تعتبر عضواً فى الفرقة كل مسلمة تود العمل على مبادئها وتقسم قسمها وهو: «علىّ عهد الله وميثاقه أن أتمسك بآداب الإسلام وأدعو إلى الفضيلة ما استطعت».

٤- يشرف مجلس الشورى المركزى على الفرقة ويتصل بها كتابة بوكيلة عنه تكون صلة بينها وبينه، وتتكون الهيئة التنفيذية للفرقة منهن بمعرفتهن.

٥- تجتمع هذه الهيئة اجتماعًا خاصًا بينها فى ميعاد دورى وفى غيره إذا وُجد ما يدعو لذلك بدعوة من رئيسة الفرقة.

٦- تقدر اشتراكات مالية اختيارية تُحفظ فى عهدة إحدى أعضاء الفرقة إذا وجد ما يدعو إلى ذلك.

٧- يعمل مجلس الشورى على تعيين واعظات من الموثوق بدينهن وكفاءتهن، وفى حالة وجودهن يكن صلة بينه وبين الفرقة.

٨- يعين مكتب الإرشاد العام رئيسة عامة لهذه الفرقة تشرف عليها وتتصل بها وتمدها بالإرشادات اللازمة.

[٢]

المطالب الخمسون

[وثيقة الإصلاح التى نشرتها الجماعة عام ١٩٣٧م]

. . . .

. . . .

ثانيًا: فى الناحية الاجتماعية والعملية:

١٢- علاج قضية المرأة، علاجًا يجمع بين الرقى بها والمحافظة عليها، وفق تعاليم الإسلام، حتى لا تُترك هذه القضية التى هى أهم قضايا الاجتماع تحت رحمة الأقلام المغرضة، والآراء الشاذة من المغرضين والمغرضات.

١٣- القضاء على البغاء بنوعيه، السرى والعلنى، واعتبار الزنى مهما كانت ظروفه جريمة منكرة يحد فاعلها.

. . . .

. . . .

١٦- مقاومة التبرج والخلاعة، وإرشاد السيدات إلى ما يجب أن يكون، والتشديد فى ذلك، وبخاصة على المدرسات والتلميذات والطبيبات والطالبات، ومن فى حكمهن.

١٧- إعادة النظر فى مناهج تعليم البنات، ووجوب التفريق بينها وبين مناهج الصبيان فى كثير من مراحل التعليم.

١٨- منع الاختلاط بين الطلبة والطالبات، واعتبار خلوة أى رجل بامرأة جريمة يؤاخذان عليها.

١٩- تشجيع الزواج والنسل بكل الوسائل المؤدية إلى ذلك، ووضع تشريع يحمى الأسرة، ويحض عليها، ويحل مشكلة الزواج.

٢٠- إغلاق الصالات والمراقص الخليعة، وتحريم الرقص والمخاصرة، وما إلى ذلك.

[٣]

النشرة الإدارية العامة رقم [٢] عن قسم المراقبة العامة

[أرسلها المركز العام للإخوان المسلمين إلى نواب المناطق عام ١٩٤٦م]

«رأى المركز تنظيمًا لهذا القسم، أن يؤلف لجنة من حضرات الإخوان الأساتذة: صالح عشماوى أفندى، وحلمى نور الدين أفندى، ومحمد الحلوجى أفندى، للنظر فى القواعد التى يسير عليها، وقد استقر رأيها بهذا الخصوص على الأوضاع الآتية، وقد اعتمدها المكتب العام:

١- تسند رياسة هذا القسم الفعلية إلى الأستاذ حلمى نور الدين ووكالته إلى الأستاذ صالح عشماوى.

٢- يمنع من الآن تأليف هيئات لها إدارات مستقلة باسم الأخوات المسلمات، وعلى الهيئات التى تألفت على هذا الوضع بهذا الاسم، أن تتشكل بالوضع الجديد، أو تتفضل باختيار اسم آخر، وحسبها أن تكون هيئات خيرية عامة.

٣- تهتم كل شعبة تمكنها ظروفها بتعليم السيدات أحكام دينهن، والعمل على تثقيفهن ثقافة إسلامية صالحة ونشر دعوة الإخوان المسلمين فى محيطهن، سواء كن من سيدات الإخوان أم من غيرهن، وذلك بتنظيم دروس دورية ومحاضرات عامة لهن فى دور الإخوان أوقات خلوها، أو فى المساجد من غير أوقات الصلاة الجامعة، أو فى المنازل الفسيحة المعدة لذلك، وعلى إدارة الشعبة أن تسند الإشراف على هذه الناحية لأخ صالح لها مأمون عليها، وأن تتخير الوعاظ أو الواعظات إن وجدن من الصالحات كذلك لهذه المهمة المأمونات عليها، ولا بأس بأن تنتدب الشعبة إحدى السيدات المواظبات على الحضور لتكون منظمة للاجتماع، وتكون هذه السيدة الصلة بين الشعبة وهؤلاء السيدات، ولهذه السيدة

أن تستعين ببعضهن فى مهمتها التنظيمية، ولا بأس بتعدد هذه الدروس فى الشعبة الواحدة إذا كثر الإقبال ووُجد الوعاظ والأماكن، وتسمى السيدة المسئولة منظمة لهذه الفرقة لا رئيسة لها.

٤- إذا أرادت إحدى السيدات أن تسهم فى هذا الخير بالاشتراك أو التبرع، فعليها أن تدفع اشتراكها الدورى أو تبرعها إلى صندوق الشعبة، كما أن صندوق الشعبة هو الذى يقوم بكل النفقات اللازمة لهذه الاجتماعات.

٥- يعمل المركز العام من الآن على تخريج طبقة من فتيات الإخوان وسيداتهم المثقفات ليكن واعظات ومعلمات يقمن بهذا العبء، ويحملنه عن كاهل الوعاظ بالتدريج، وإلى أن يتم هذا العمل يختار المركز العام بعض أعضائه من العلماء للإشراف على سير هذه الدروس وتوجيه القائمين بها إلى أفضل المناهج، ومن حضراتهم ومن رئيس القسم ووكيله تتألف هيئة المسئولية بالمركز العام، ولهذه الهيئة أن تستعين بمن ترى الاستعانة بهم من الإخوان المتطوعين أو الموظفين والله المستعان.

٦- ليس لهذه الفكرة من دافع عند المركز العام للإخوان المسلمين، إلا الحرص على إيصال هداية الإسلام ودعوة الإخوان إلى النصف الثانى من الأمة، فى وقت اشتدت فيه التيارات التى تجذب السيدات إلى الأفكار الضارة والأوساط الفاسدة، وقد نص على ذلك قانونهم الأساسى من أول يوم منذ أربع عشرة سنة، وتألفت لذلك فرقة الأخوات بالإسماعيلية ووضعت لائحتها السابقة، وغير معقول أن يقصد من وراء ذلك مناوأة جهة من الجهات أو هيئة من الهيئات.

٧- كما أن المركز العام لم يقصد بحظر التكوين الإدارى، إلا صرف الجهود إلى الناحية المنتجة وتخليص هذه الحركة النافعة من أوضار الشكليات الجوفاء والتنافس الفارغ على المراكز والألقاب، والاكتفاء بإدارة الشعبة لتشرف على

الدعوة وفى الناحيتين جميعًا وطبيعة العمل واعدة، فمن كانت مخلصة تبتغى وجه الله بحضورها وعملها رأت فى ذلك راحة من العناء وانصرافًا إلى الفائدة، فسُرّت به وفرحت به، ومن كانت تبتغى لقبًا زائفًا أو مظهرًا كاذبًا فليست من هذه الدعوة فى شىء، وأمامها ميادين الظهور كثيرة، فلتقصد أى ميدان شاءت، والله هو الغنى الحميد»[1].

(١) من وثائق الإخوان المسلمين المجهولة (الجزء الأول)، جمال البنا، دار الفكر الإسلامى، ٢٠٠٩م.

[٤]

لائحة قسم الأخوات المعدلة

[عام ١٩٥١م]

• غرض القسم:

١- بعث الروح الدينية، وبث التعاليم الإسلامية الكفيلة بتكوين شخصيات من النساء مهذبة، تستطيع الاضطلاع بما يناط بها من أعمال وواجبات.

٢- التعريف بالفضائل والآداب، المزكية للنفس والموجهة للخير والكمال، وتعريفها بما لها من حقوق وما عليها من واجبات.

• وسائل القسم:

٣- إرشادهن إلى طرق التربية الإسلامية الصحيحة النافعة التى تضمن لأبنائهن النمو الجسمى والعقلى، وتجنبهم الإسراف الصحى، والنقص العقلى.

٤- العمل على صبغ البيت بالصبغة الإسلامية، ببث تعاليم القرآن الكريم، والسنة المطهرة وسيرة أمهات المؤمنين وفضليات النساء ممن حفل بهن التاريخ الإسلامى المجيد.

٥- محاربة البدع والخرافات والأباطيل والترهات والأفكار الخاطئة والعادات السيئة التى تنتشر وتروج بينهن.

٦- نشر الثقافة والمعارف التى تنير عقولهن وتوسع مداركهن.

٧- الاهتمام بالشئون المنزلية لتجعل من البيت مكانًا سعيدًا يضم أسرة هانئة على أساس فاضل سليم.

٨- المساهمة فى المشروعات الإنتاجية النافعة بالقدر الذى يتناسب مع ظروفهن وجهودهن فى محيطهن. ومن هذه المشروعات: المستوصفات، ودور الطفولة، وأندية الصبيان، والمدارس، وتنظيم مساعدة الأسر الفقيرة.

وتوضع لكل مشروع لائحة خاصة، وتؤلف له هيئة إدارية تنهض به، وتشرف عليه طبقًا لأحكام القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥م وتسجل بوزارة الشئون الاجتماعية.

٩- المعاونة فى حدود ظروف الأخوات، وجهودهن فى تحقيق البرنامج الإصلاحى الأساسى لهيئة الإخوان المسلمين العامة.

[٥]

رسالة المرأة المسلمة - للإمام حسن البنا

كتب إلىّ كاتب فاضل يطلب أن أكتب عن المرأة وموقفها من الرجل وموقف الرجل منها، ورأى الإسلام فى ذلك، وحث الناس على التمسك به والنزول على حكمه.

ولست أجهل أهمية الكتابة فى موضوع كهذا، ولا أعلم شأن المرأة فى الأمة، فالمرأة نصف الشعب، بل هى النصف الذى يؤثر فى حياته أبلغ التأثير؛ لأنها المدرسة الأولى التى تُكوّن الأجيال وتصوغ الناشئة، وعلى الصورة التى يتلقاها الطفل من أمه يتوقف مصير الشعب واتجاه الأمة - وهى بعد ذلك المؤثر الأول فى حياة الشباب والرجال على السواء.

لست أجهل كل هذا، ولم يهمله الإسلام الحنيف وهو الذى جاء نورًا وهدى للناس ينظم شئون الحياة على أدق النظم وأفضل القواعد والنواميس.. أجل لم يهمل الإسلام كل هذا، ولم يدع الناس يهيمون فيه فى كل وادٍ، بل بين لهم الأمر بيانًا لا يدع زيادة لمستزيد.

وليس المهم فى الحقيقة أن نعرف رأى الإسلام فى المرأة والرجل، وعلاقتهما وواجب كل منهما نحو الآخر - فذاك أمر يكاد يكون معروفًا لكل الناس. ولكن المهم أن نسأل أنفسنا: هل نحن مستعدون للنزول على حكم الإسلام؟

الواقع أن هذه البلاد وغيرها من البلاد الإسلامية تتغشاها موجة ثائرة قاسية من حب التقليد الأوروبى والانغماس فيه إلى الأذقان.

ولا يكفى بعض الناس أن ينغمسوا هذا الانغماس فى التقليد، بل هم يحاولون أن يخدعوا أنفسهم بأن يديروا أحكام الإسلام وفق هذه الأهواء الغربية والنظم

الأوروبية ويستغلوا سماحة هذا الدين ومرونة أحكامه استغلالا سيئًا يُخرجها عن صورتها الإسلامية إخراجًا كاملا. ويجعلها نظمًا أخرى لا تتصل به بحال من الأحوال ويهملون كل الإهمال روح التشريع الإسلامى، وكثيرًا من النصوص التى لا تتفق مع أهوائهم.

هذا خطر مضاعف فى الحقيقة، فهم لم يكفهم أن يخالفوا، حتى جاءوا يتلمسون المخارج القانونية لهذه المخالفة، ويصبغونها بصبغة الحل والجواز حتى لا يتوبوا منها ولا يقلعوا عنها يومًا من الأيام.

فالمهم الآن أن ننظر إلى الأحكام الإسلامية نظرًا خاليًا من الهوى، وأن نعد أنفسنا ونهيئها لقبول أوامر الله تعالى ونواهيه، وبخاصة فى هذا الأمر الذى يعتبر أساسيًا وحيويًا فى نهضتنا الحاضرة.

وعلى هذا الأساس لا بأس بأن نذكر الناس بما عرفوا، وبما يجب أن يعرفوا من أحكام الإسلام فى هذه الناحية.

أولا: الإسلام يرفع قيمة المرأة ويجعلها شريكة الرجل فى الحقوق والواجبات:

وهذه قضية مفروغ منها تقريبًا، فالإسلام قد أعلى منزلة المرأة ورفع قيمتها واعتبرها أختًا للرجل وشريكة له فى حياته، هى منه وهو منها **﴿بعضكم من بعض﴾**، وقد اعترف الإسلام للمرأة بحقوقها الشخصية كاملة وبحقوقها المدنية كاملة كذلك وبحقوقها السياسية كاملة أيضًا، وعاملها على أنها إنسان كامل الإنسانية له حق وعليه واجب يُشكر إذا أدى واجباته ويجب أن تصل إليه حقوقه. والقرآن والأحاديث فياضة بالنصوص التى تؤكد هذا المعنى وتوضحه.

ثانيا: التفريق بين الرجل والمرأة فى الحقوق إنما جاء تبعًا للفوارق الطبيعية التى لا مناص منها بين الرجل والمرأة، وتبعًا لاختلاف المهمة التى يقوم بها كل منهما، وصيانة للحقوق الممنوحة لكليهما:

وقد يقــال إن الإسلام فرق بين الرجل والمـرأة فى كثيـر من الظروف والأحوال ولم يسو بينهما تسوية كاملة، ولكنه من جانب آخر يجب أن يلاحظ أنه إن انتقص من حق المرأة شيئًا من ناحية فإنه قد عـوضها خيرًا منه فى ناحية أخرى، أو يكون هذا الانتقاص لفائدتها وخيـرها قبل أن يكون لشىء آخر. وهل يستطيع أحد كائنًا من كـان أن يدعى أن تكوين المرأة الجسـمـانى والروحى كـتكوين الرجل سـواء بسواء..؟ وهل يستطيع أحد كائنًا من كان أن يدعى أن الدور الذى يجب أن تقوم به المرأة فى الحيـاة هو الدور الذى يجب أن يقوم به الرجل مـادمنا نؤمن بأن هناك أمومة وأبوة..؟.

أعـتقـد أن التكوينين مخـتلفـان، وأن المهمـتين مـختلفـتان كـذلك، وأن هذا الاختلاف لابد أن يستتبع اختلافـًا فى نظم الحياة المتصلة بكل منهما، وهذا هو سر ماجاء فى الإسلام من فوارق بين المرأة والرجل فى الحقوق والوجبات.

ثالثًـا: بين المرأة والرجل تجاذب فطرى قـوى هو الأساس الأول للعـلاقة بينهـما، وأن الغاية منه قبل أن تكون المتـعة وما إليها، هى التعاون على حـفظ النوع واحتمال متاعب الحياة:

وقد أشار الإسـلام إلى هذا الميل النفسانى وزكّاه وصرفـه عن المعنى الحيوانى أجمل الصرف إلى معنى روحى يعظم غايتـه ويوضح المقصود منه ويسمو به عن صورة الاسـتـمـتـاع البـحـت إلى صورة التـعاون التـام، ولنسمع قـول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ [الروم: ٢١].

هذه هى الأصـول التى راعـاها الإسـلام وقـررها فى نظـرته إلى المرأة، وعلى أساسهـا جاء تشريعه الحكيم كـافلا للتعاون التـام بين الجنسين بحيث يستـفيد كل منهما من الآخر ويعينه على شئون الحياة.

والكلام عن المرأة فى المجتمع فى نظر الإسلام يتلخص فى هذه النقاط:

أولا: وجوب تهذيب المرأة:

يرى الإسلام وجوب تهذيب خلق المرأة وتربيتها على الفضائل والكمالات النفسانية منذ النشأة، ويحث الآباء وأولياء أمور الفتيات على هذا، ويعدهم عليه الثواب الجزيل من الله ويتوعدهم بالعقوبة إن قصروا. وفى الآية الكريمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦].

وفى الحديث الصحيح: «**كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته: الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ فى مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته**» أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمر. وعن ابن عباس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبنا أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة**» رواه ابن ماجة بإسناد صحيح وابن حبان فى صحيحه.

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة**» **رواه الترمذى واللفظ له وأبو داود إلا أنه قال: «فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة»**.

ومن حسن التأديب أن يعلمهن ما لا غنى لهن عنه من لوازم مهمتهن كالقراءة والكتابة والحساب والدين والتاريخ -تاريخ السلف الصالح رجالا ونساءً- وتدبير المنزل والشئون الصحية ومبادئ التربية وسياسة الأطفال وكل ما تحتاج إليه الأم فى تنظيم بيتها ورعاية أطفالها، وفى حديث البخارى رضى الله عنه: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين» وكان كثير من نساء السلف على جانب عظيم من العلم والفضل والفقه فى دين الله تبارك وتعالى.

أما المقالات فى غير ذلك من العلوم التى لا حاجة للمرأة بها فعبث لا طائل تحته، فليست المرأة فى حاجة إليه وخير لها أن تصرف وقتها فى النافع المفيد.

ليست المرأة فى حاجة إلى التبحر فى اللغات المختلفة.

وليست فى حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة، فستعلم عن قريب أن المرأة للمنزل أولا وأخيراً.

وليست المرأة فى حاجة إلى التبحر فى دراسة الحقوق والقوانين، وحسبها أن تعلم من ذلك ما يحتاج إليه عامة الناس.

كان أبو العلاء المعرى يوصى النساء فيقول:

علموهن الغزل والنسج والردن[1] وخلوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد والإخلاص[2] تجزئ عن يونس وبراءة

ونحن لا نريد أن نقف عند هذا الحد، ولا نريد ما يريد أولئك المغالون المفرطون فى تحميل المرأة ما لا حاجة لها به من أنواع الدراسات، ولكنا نقول: علموا المرأة ما هى فى حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التى خلقها الله لها: تدبير المنزل ورعاية الطفل.

ثانياً: التفريق بين المرأة وبين الرجل:

يرى الإسلام فى الاختلاط بين المرأة والرجل خطراً محققًا، فهو يباعد بينهما إلا بالزواج، ولهذا فإن المجتمع الإسلامى مجتمع انفرادى لا مجتمع مشترك.

يقول دعاة الاختلاط إن فى ذلك حرماناً للجنسين من لذة الاجتماع وحلاوة الأُنس التى يجدها كل منهما فى سكونه للآخر، والتى توجد شعوراً يستتبع كثيراً من الآداب الاجتماعية من الرقة وحسن المعاشرة ولطف الحديث ودماثة الطبع..

(١) حياكة الملابس

(٢) الفاتحة وقل هو الله أحد.

إلخ وسيقولون إن هذه المباعدة بين الجنسين ستجعل كلا منهما مشوقًا أبدًا إلى الآخر، ولكن الاتصال بينهما يقلل من التفكير فى هذا الشأن ويجعله أمرًا عاديًا فى النفوس (وأحب شىء إلى الإنسان ما منعا) وما ملكته اليد زهدته النفس.

كذا يقولون ويفتتن بقولهم كثير من الشبان، ولا سيما وهى فكرة توافق أهواء النفوس، وتساير شهواتها، ونحن نقول لهؤلاء: مع أننا لا نسلم بما ذكرتم فى الأمر الأول، نقول لكم إن ما يعقب لذة الاجتماع وحلاوة الأُنس من ضياع الأعراض وخبث الطوايا وفساد النفوس، وتهدم البيوت، وشقاء الأسر، وبلاء الجريمة، وما يستلزم هذا الاختلاط من طراوة فى الأخلاق ولين فى الرجولة لا يقف عند حد الرقة، بل هو يتجاوز ذلك إلى حد الخنوثة والرخاوة، وكل ذلك ملموس لا يمارى فيه إلا مكابر.

كل هذه الآثار السيئة التى تترتب على الاختلاط تربو ألف مرة على ما يُنتظر منه من فوائد، وإذا تعارضت المصلحة والمفسدة فدرء المفسدة أولى، ولا سيما إذا كانت المصلحة لا تعد شيئًا بجانب هذا الفساد.

أما الأمر الثانى فغير صحيح، وإنما يزيد الاختلاط قوة الميل، وقديمًا قيل: إن الطعام يقوى شهوة النهم، والرجل يعيش مع امرأته دهرًا، ويجد الميل إليها يتجدد فى نفسه، فما باله لا تكون صلته بها مذهبة لميله إليها؟ والمرأة التى تخالط الرجال تتفنن فى إبداء ضروب زينتها، ولا يرضيها إلا أن تثير فى نفوسهم الإعجاب بها، وهذا أيضاً أثر اقتصادى من أسوأ الآثار التى يعقبها الاختلاط، وهو الإسراف فى الزينة والتبرج المؤدى إلى الإفلاس والخراب والفقر.

لهذا نحن نصرح بأن المجتمع الإسلامى مجتمع فردى لا زوجى، وأن للرجال مجتمعاتهم وللنساء مجتمعاتهن، ولقد أباح الإسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج فى القتال عند الضرورة الماسة، ولكنه وقف عند هذا الحد، واشترط له شروطًا شديدة: من البعد عن كل مظاهر الزينة، ومن ستر الجسم،

ومن إحاطة الثياب به، فلا تصف ولا تشف، ومن عدم الخلوة بأجنبى مهما تكن الظروف وهكذا.

إن من أكبر الكبائر فى الإسلام أن يخلو الرجل بامرأة ليست بذات محرم له. ولقد أخذ الإسلام السبيل على الجنسين فى هذا الاختلاط أخذًا قويًا محكمًا.

فالستر فى الملابس أدب من آدابه.

وتحريم الخلوة بالأجنبى حكم من أحكامه.

وغض الطرف واجب من واجباته.

والعكوف فى المنازل للمرأة حتى فى الصلاة شعيرة من شعائره.

والبعد عن الإغراء بالقول والإشارة وكل مظاهر الزينة وبخاصة عند الخروج حد من حدوده.

كل ذلك إنما يراد به أن يسلم الرجل من فتنة المرأة وهى أحب الفتن إلى نفسه، وأن تسلم المرأة من فتنة الرجل وهو أقرب الفتن إلى قلبها، والآيات الكريمة والأحاديث المطهرة تنطق بذلك.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

إلى آيات أخرى كثيرة.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يعنى عن ربه عز وجل: **«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتى أبدلته إيمانًا يجد حلاوته فى قلبه»** رواه الطبرانى والحاكم من حديث حذيفة.

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم، أو ليكفن الله وجوهكم»** رواه الطبرانى.

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من صباح إلا وملكان يناديان: ويل للرجال من النساء، ويل للنساء من الرجال»** رواه ابن ماجة والحاكم.

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إياكم والدخول على النساء،** فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: **الحمو[1] الموت»** رواه البخارى ومسلم والترمذى. والمراد بدخول الأحماء على المرأة الخلوة بها، كما قال رسول الله ﷺ: **«لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»**.

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم»** رواه البخارى ومسلم.

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن يُطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»** رواه الطبرانى والبيهقى. ورجال الطبرانى ثقات من رجال الصحيح، كذا قال الحافظ المنذرى.

ورُوى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إياك والخلوة بالنساء، والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم رجل خنزيرًا متلطخًا بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له»** رواه الطبرانى.

---

(١) كل مَنْ كانَ من قِبلِ الزوج كالأخ والأب. ولفظ الحديث للبخارى.

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا**» وكذا يعنى: زانية. رواه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح، ورواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما، ولفظهم: قال النبى ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية وكل عين زانية**» أى: كل عين نظرت إليها نظرة إعجاب واستحسان.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبِّهات من النساء بالرجال**». رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والطبرانى. وعنه: أن امرأة مرت على رسول الله ﷺ متقلدة قوسًا، فقال: «**لعن الله المتشبِّهات من النساء بالرجال، والمُتَشَبِّهين من الرجال بالنساء**».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «**لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل**» رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: «**لعن الله الواشمات والمتوشمات**(١) **والمتنمصات**(٢) **والمتفلجات**(٣) **للحسن المُغيِّرَات خلق الله**» فقالت له امرأة فى ذلك، قال: وما لى لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ، وهو فى كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧] رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة والنسائى.

وعن عائشة رضى الله عنها أن جارية من الأنصار تزوجت، وأنها مرضت فتمعط(٤) شعرها، فأرادوا أن يصلوها(٥)، فسألوا النبى ﷺ فقال: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**» وفى رواية: «**أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها، فجاءت إلى النبى ﷺ، فذكرت ذلك له وقالت: إن زوجها أمرنى أن أصل شعرها، فقال: «**لا، إنه قد لعن الموصلات**» رواه البخارى ومسلم.

---

(١) الوشم: هو الغرز بالإبرة ثم الذر عليها بالنؤور. انظر مختار الصحاح.

(٢) المتنمصات: الناتفات شعورهن للزينة.

(٣) المتفلجات: هن الباردات أسنانهن للتجميل.

(٤) تمعط شعرها: سقط

(٥) أى يصلوا شعرها.

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو محرم منها**» رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة. وفى رواية للبخارى ومسلم: «**لا تسافر المرأة يومين من الدهر، إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها**».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا**» رواه مسلم وغيره.

وعن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: «**يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصح أن يُرى منها إلا هذا، وأشار إلى وجهه وكفيه**» رواه أبو داود وقال: هذا مرسل، وخالد بن دريك لم يدرك عائشة.

وعن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدى رضى الله عنه «أنها جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنى أحب الصلاة معك. قال: **قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك، وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك، وصلاتك فى دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدى**» فأمرت فبُنى لها مسجد فى أقصى شيء من بيتها وأظلمه، وكانت تصلى فيه حتى لقيت ربها عز وجل. رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما.

وليس بعد هذا البيان بيان، ومنه يُعلم أن ما نحن عليه ليس من الإسلام فى شيء، فهذا الاختلاط بيننا فى المدارس والمعاهد والمجامع والمحافل العامة، وهذا الخروج إلى الملاهى والمطاعم والحدائق، وهذا التبذل والتبرج الذى وصل إلى حد التهتك والخلاعة، كل هذه بضاعة أجنبية لا تمت إلى الإسلام بأدنى صلة، ولقد كان لها فى حياتنا الاجتماعية أسوأ الآثار.

يقول كثير من الناس إن الإسلام لم يحرم على المرأة مزاولة الأعمال العامة وليس هناك من النصوص ما يفيد هذا، فأتونى بنص يحرم ذلك، ومثل هؤلاء من يقول: إن ضرب الوالدين جائز، لأن النهى عنه فى الآية أن يقال لهما (أُفٍّ) ولا نص على الضرب.

إن الإسلام يحرم على المرأة أن تكشف عن بدنها وأن تخلو بغيرها وأن تخالط سواها، ويحبب إليها الصلاة فى بيتها، ويعتبر النظرة سهمًا من سهام إبليس، وينكر عليها أن تحمل قوسًا متشبهة فى ذلك بالرجل، أفيقال بعد هذا إن الإسلام لا ينص على حرمة مزاولة المرأة للأعمال العامة؟ .

إن الإسلام يرى للمرأة مهمة طبيعية أساسية هى المنزل والطفل، فهى كفتاة يجب أن تُهيأ لمستقبلها الأسرى، وهى كزوجة يجب أن تخلص لبيتها وزوجها، وهى كأم يجب أن تكون لهذا الزوج ولهؤلاء الأبناء، وأن تتفرغ لهذا البيت، فهى ربته ومدبرته وملكته. ومتى فرغت المرأة من شئون بيتها لتقوم على سواه..؟

وإذا كان من الضرورات الاجتماعية ما يلجئ المرأة إلى مزاولة عمل آخر غير هذه المهمة الطبيعية لها، فإن من واجبها حينئذ هذه الشرائط التى وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل وفتنة الرجل عن المرأة، ومن واجبها أن يكون عملها هذا بقدر ضرورتها، لا أن يكون هذا نظامًا عامًا، من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه.

والكلام فى هذه الناحية أكثر من أن يحاط به، ولا سيما فى هذا العصر (الميكانيكى) الذى أصبحت فيه مشكلة البطالة وتعطل الرجال من أعقد مشكلات المجتمعات البشرية فى كل شعب وفى كل دولة.

وللإسلام بعد ذلك آداب كريمة فى حق الزوج على زوجه، والزوجة على زوجها، والوالدين على أبنائهما، والأبناء على والديهم، وما يجب أن يسود الأسرة من حب وتعاضد على الخير، وما يجب أن تقدمه للأمة من خدمات جليلة مما لو أخذ الناس بها لسعدوا فى الحياتين ولفازوا بالدارين.

[٦]

وثيقة الإخوان المسلمين حول المرأة

[الصادرة عام ١٩٩٤م]

• مكانة المرأة بصفة عامة حسبما تفصح عنه أحكام ديننا الحنيف

المرأة هى الأم التى ورد فى شأنها الأثر الكريم أن الجنة تحت أقدامها [الطبرانى]، والتى قدّمها الله تعالى على كل من عداها فى حق صحبة الأبناء لها، ففى الصحيح سأل سائل رسول الله ﷺ: من أحق الناس بحسن صحبتى؟ قال ﷺ: «**أمك**» قال السائل: ثم من؟ قال ﷺ: «**ثم أمك**» قال السائل: ثم من؟ قال ﷺ: «**ثم أمك**» قال الرجل: ثم من؟ قال ﷺ فى الرابعة: «**ثم أبوك**».

ويقول تبارك وتعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا**﴾ [الإسراء: ٢٣].

والمرأة هى الابنة والأخت التى تولد كما يولد أخوها الذكر من الصلب ذاته ومن الرحم نفسها ﴿**يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا**﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

ويقول المصطفى ﷺ: «**النساء شقائق الرجال**».

والمرأة هى الزوجة التى هى سكن للرجل والرجل سكن لها: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم: ٢١]، ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾ [البقرة: ١٨٧].

والمرأة هى نصف المجتمع ونصف الأمة، والقائمة على تنشئة كل الجيل اللاحق من الرجال والنساء وتوجيهه وإصلاحه وغرس المبادئ والعقائد فى النفوس وهى بعدُ على الفطرة، والتعليم فى الصغر كالنقش على الحجر.

وخلق الله تبارك وتعالى آدم من تراب، ثم خلق منه حواء، ثم توالى النسل من ذات النفس الواحدة ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**﴾ [النساء: ١]، ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وليس فى شريعة الإسلام نصٌ أو أثر يشير أى إشارة إلى ما تتضمنه بعض المذاهب والأديان الفاسدة التى افترت على الله الكذب وادعت أن المرأة مخلوق شيطانى أو نجس، بل وكما قلنا فإن رسول الله ﷺ يقول: «**النساء شقائق الرجال**» كما يقول ﷺ فى الحديث الصحيح «**المؤمن لا ينجس**».

والحقيقة التى تنطق بها النصوص أن العبرة بالإيمان وتقوى الله وحسن الخلق، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ**﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧].

وليس فى نصوص القرآن والسنة المطهرة ما يفيد المزاعم التى ترددها الأديان والمذاهب الفاسدة التى افترت على الله الكذب وادعت أن حواء عليها السلام هى التى أغوت آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة التى حرمها الله عليهما من الجنة، ولكن نصوص القرآن الكريم قاطعة بأن الأمر الإلهى توجّه إلى آدم وحواء معًا ﴿**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا**

وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ١٩-٢٢] ثم كانت التوبة منهما معًا ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وفى سورة البقرة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦].

وهكذا سدّت نصوص القرآن الكريم والثابت الصحيح من السنة المطهرة كل منابع الادعاء الزائف، والخرافات التى يثيرها البعض حول المرأة وطهارتها.

ومسئولية المرأة الإيمانية كالرجل سواءً بسواء، فهى مسئولة عن تصديقها وإيمانها بالله والرسول، وإن خالفها أقرب الناس من أب أو أخ أو زوج فى ذلك، ولحكمة شاءها الحكيم الخبير ضرب الله المثل للذين كفروا بامرأتين كما ضرب المثل للذين آمنوا بامرأتين أخريين ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٠-١٢]

فالمرأة كالرجل مأمورة بالإيمان بالله واليوم الآخر والكتاب والملائكة والنبيين .. إلى آخره، كما أنها مأمورة أن تقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج بيت الله إن استطاعت إلى ذلك سبيلا، وعليها واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، كما أن عليها واجب الولاية لجماعة المسلمين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وعلى المرأة ما على الرجل من واجب التفقه فى أحكام الدين، لما تحتاج إليه فى شئون حياتها وللنذارة والتبليغ عن الرسول ﷺ ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] والطائفة هى الجماعة من الناس.

والحدود المنصوص عليها فى الشريعة الغراء واحدة بالنسبة للرجل والمرأة فالسارق كالسارقة، والزانى كالزانية، والقاذف كالقاذفة، وشارب الخمر كشاربته، والمحارب لله ورسوله كالمحاربة.

ونفس المرأة فى القصاص كنفس الرجل، والمرأة القاتلة كالرجل القاتل، والمرأة القتيل كالرجل القتيل، ويُقتص من الرجل إذا قتل امرأة كما لو كان قتل رجلا، وأحكام الديات واحدة لا تفرق بين رجل وامرأة، ولقد شاركت النساء فى بيعة العقبة الأولى وفى بيعة العقبة الثانية.

ولحكمة شاءها العليم الخبير كان أول من آمن وساند وأيد وأدخل السكينة على رسولنا المصطفى وخاتم المرسلين امرأة هى «خديجة» عليها السلام، كما كانت سُمية رضى الله عنها من السابقات إلى الشهادة فى سبيل الله، وروى البخارى وأحمد عن الربيع بنت معوذ قالت: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة».

كما أخرج مسلم وأحمد وابن ماجة عن أم عطية الأنصارية قالت: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى».

وأخرج مسلم فى صحيحه عن أم سليم زوج أبى طلحة أنها اتخذت خنجرًا يوم حنين فلما سألها رسول الله ﷺ قالت: «اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه»، ولم ينكر عليها الرسول ﷺ.

وخرجت نسيبة بنت كعب فى حروب الردة فى عهد أبى بكر رضى الله عنه فباشرت القتال بنفسها وعادت وبها عشرات الجراحات بين طعنة وضربة.

ولا يصح زواج فى شريعة الله إلا بموافقة المرأة ورضاها وإجازتها، ولا يجوز شرعًا إجبارها على الزواج ممن لا ترضاه.

وللمرأة ذمة مالية كاملة لا تنقص شيئًا عن ذمة الرجل المالية، فلها حق تملك جميع أنواع الأموال من عقارات ومنقولات وأموال سائلة [نقود] كالرجل سواءً بسواء، ولها حق التصرف بمختلف أنواع التصرفات المقررة شرعًا فيما تملكه، فلها أن تبيع وتشترى وتقايض وتهب وتوصى وتقرض وتقترض.. إلى آخره. وتصرفاتها نافذة بإرادتها الذاتية ولا يتوقف شيء من ذلك على رضا أب أو زوج أو أخ. أورد البخارى رحمه الله فى صحيحه بابًا بعنوان: [هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوج فهو جائز ما لم تكن سفيهة] وذكر فيه أن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث أعتقت وليدة كانت لها دون أن تستأذن النبى ﷺ ثم ذكرت له ﷺ ذلك فقال: «**إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك**».

وقد فسر الرسول ﷺ الحديث الثابت عنه، والمتضمن أن النساء ناقصات عقل وناقصات دين وناقصات حظ بما يتسق مع ما أوردته النصوص من حقوق للمرأة ومن كيان إنسانى متكامل، على النحو الذى سبق أن أوضحناه. فنقص الدين ليس نقصًا فى الإيمان ولا لأنها مخلوق متدنٍ غير أهل للتزكى وارتقاء أعلى الدرجات، ولكن معناه أن الله تبارك وتعالى رفع عنها بعض العبادات فى أوقات محددة، فرفع عنها الصلاة والصيام أثناء الحيض والنفاس، كما فسر نقص الحظ بأنه نقص فى بعض أنصبة الميراث فقط، فلم يتعدَ رسول الله ﷺ إلى نقص فى حظوظ أخرى أو إلى ما يشير لتدنى درجاتها.

وكذا نقص العقل فهو محدد بالشهادة على أمور معينة أهمها الدَّيْن أى القرض وعقود البيع والحدود، ويقطع بعدم إطلاق نقص العقل أو أنه يتدنى بالمرأة فيفقدها المساواة الإنسانية بالرجل أن من الأمور ما لا يُقبل فيه إلا شهادة النساء دون الرجال وأن نقل المرأة الحديث عن رسول الله ﷺ مقبول بالإجماع، كذا ما سبق مما أسلفنا من واجبات المرأة الإيمانية والعقائدية وحقها فى التملك والتصرف واتخاذ العقود مستقلة بذلك استقلالا كاملا، ولو لم يكن الأمر كذلك لتوقفت تصرفاتها والعقود التى تبرمها على ما يكمل نقص عقلها.

وقد تواتر فى النصوص القرآنية الخطاب الموجه للناس جميعًا -المرأة والرجل على سواء- والمؤمنين والمؤمنات على سواء قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. كما يقول عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

أما القوامة التى للرجال على النساء، التى وردت فى قوله عز وجل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤] فلا يجوز أن تُفهم على أنها مطلقة فى كل الأمور ولعامة الرجال على عامة النساء، وإن ما ورد بذات الآية إيضاحًا لهذا النص بقوله عز وجل: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] يحدد أن هذه القوامة خاصة بالأسرة فقط، وفيما يتعلق بالأمور المشتركة بين الزوج والزوجة دون ما عداها وكما أسلفنا فليس للزوج قوامة على تصرفات زوجته المالية، وكل تصرفاتها فى أموالها الخاصة نافذة وليس لزوجها أن يبطل شيئًا منها، كما لا يتوقف أى من هذه التصرفات على إذن الزوج، كما أن

هذه القوامة هى رياسة وتوجيه مقابل التزامات وواجبات يجب أن تؤدَّى وتُحترم - فالرجل هو الذى يؤدى الصداق عند الزواج وهو الذى يعد المسكن وفرشه وفراشه وكل ما يحتاجه وهو الذى عليه نفقة الزوجة والأولاد وليس له أن يجبر زوجته على المشاركة فى شىء من هذا ولو كانت ذات مال، وهو فى الأغلب الأكبر سنًا والأكثر اختلاطًا بالناس وتدخلا فى الأمور العامة ولابد لكل مجموعة من قائد يقودها فى حدود ما أمر الله تبارك وتعالى؛ إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، والزوج هو المؤهل لهذه القيادة.

وهذه الرياسة ليست قهرًا وتحكمًا واستبدادًا ولكنها تراحم وتواد ومعاشرة بالحسنى وإرشاد إلى الطريق السليم بالحكمة والموعظة الحسنة، وهى تقوم أساسًا على التشاور فالنص الكريم عن المسلمين ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] عام، كما ورد النص الخاص الذى يرشد إلى التشاور فى أمور الزوجية ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، بل حتى فى الطلاق ورد ما يفيد ذلك ﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلا أَن يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فإذا أضفنا إلى ذلك قوله عز وجل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] وغير ذلك مما ورد فى الشرع الحنيف من أن الحياة الزوجية تقوم على السكنى والتراحم والمودة، يتبين لنا بصورة قاطعة معنى القوامة وحدودها وأنها ليست لأن المرأة جنس أدنى ولا لنقص فى إنسانيتها وحقوقها الأساسية وإنما هى كما قال الله تبارك وتعالى درجة للرجل فى مقابل واجبات التزم بها لتستقر أمور الأسرة.

فالأصل إذن هو المساواة بين الرجل والمرأة، ولكن الاستثناءات ترد من لدن العليم الخبير، الذى هو الخالق والأعلم بمن خلق وذلك فى الأمور التى ميز تعالى فيها بين المرأة والرجل، وجعل للمرأة خصوصيات تتناسب مع وظيفتها الأساسية فى الحياة وكذا بالنسبة للرجل، وهذا التمايز مقصود به التكامل وهو ضرورى

لتحقيق هذا التكامل ولا ينجذب الرجل للمرأة ولا تنجذب المرأة للرجل ولا تستقيم الحياة الزوجية ولا تقوم الأسرة إلا به، ولهذا التمايز ولطبيعة المرأة وأنها الوعاء الذى تستقر فيه الأنساب خص الله تبارك وتعالى المرأة بحرمات يجب المحافظة عليها حتى يحافظ على الأعراض وتصح الأنساب.

وقد وردت النصوص بأن جسد المرأة كله عورة ولا يجوز أن يظهر منه لغير محارمها سوى الوجه والكفين وأن خلو المرأة بالرجل غير المحرم لها غير جائز، فإذا أضفنا إلى ذلك أن حياء المرأة أسمى بكثير من حياء الرجل وما يخدش حياءها أقل وأدق مما يخدش حياء الرجل كان من اللازم أن يراعَى فيما أسلفنا من حريات وحقوق للمرأة أن تباشَر هذه الحريات وتلكم الحقوق فى ملابسات تحفظ عليها عرضها وكرامتها وحياءها وحرمتها.

كما أن مما لا شك فيه أن للمرأة وظيفة مهمة وسامية خصها الله تبارك وتعالى بها هى وظيفة الحمل والأمومة وهو ما لا سبيل للرجل أن يقوم به وهى أسمى الوظائف [رغم ما يحاول البعض من تهوينها والحط من شأنها]، وبدونها ينقطع النسل وتجف منابع الجنس البشرى، وأكثر من ذلك فإن الأم هى التى تُرضع وليدها مع لبنها حنانًا ورعاية تشيع فى أجزاء نفسه وفى كل جسده ويبقى تأثره بها حتى يشب ويكبر، كما أن المرأة هى ربة البيت وملكته ووظيفتها فى رعاية أهل البيت وإعداده للسكن والهدوء والراحة والمودة خطيرة وجليلة، فلا يجوز أن تُهمَل أو يُستخف بها.

وهذه الوظائف والمهام والخصائص التى ميز الله تبارك وتعالى المرأة بها تقابلها حقوق للزوج والأولاد لها أسبقية على غيرها ويجب تقديمها على ما عداها، وهى لازمة لضمان استقرار الأسرة التى هى خلية المجتمع الأساسية وقوام تماسكه وصلابته وصلاحه، كما لا يجوز إغفال حقوق الزوج الشرعية فى الإذن لزوجته فى الخروج والعمل، فهذه حقوق شرعية معتبرة وهى تنظَم بالاتفاق بين الزوج والزوجة، وهى بعيدة عن أن ينظمها قانون أو أن تتدخل السلطة فيها إلا فى حالات نادرة.

• حق المرأة فى الانتخاب وفى عضوية المجالس النيابية وفى تولى الوظائف العامة

بعد هذه المقدمة التى نرجو أن تكون قد ألقت بعض الضوء على مكانة المرأة المسلمة فى المجتمع المسلم، وأوضحت بعض حقوقها وواجباتها فإننا نعرض لما نراه بخصوص ما أثير فى المجتمعات العالمية عامة والإسلامية خاصة حول مشاركة المرأة فى انتخاب أعضاء المجالس النيابية وما ماثلها، وحقها فى أن تنتخب عضواً بتلك المجالس وأن تتولى الوظائف العامة، وأن تقوم بالأعمال المهنية:

أولا: المرأة وحق المشاركة فى انتخاب أعضاء المجالس النيابية وما ماثلها:

ونحن نرى أن ليس ثمة نص فى الشريعة الغراء يحجب أن تشارك المرأة فى هذا الأمر، بل إن قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (آل عمران: ١٠٤) يتضمن تكليفًا للمرأة هى تؤديه بالمشاركة فى اختيار أولى الحل والعقد على وجه شرعى.

وفى بعض الظروف قد تكون هذه المشاركة واجبة وضرورية فحيث تنص قوانين الانتخابات المعمول بها فى كثير من الدول الإسلامية الآن على إطلاق حق المرأة فى الانتخابات فإن إحجام المرأة المسلمة عن المشاركة فى الانتخابات يضعف من فرصة فوز المرشحين الإسلاميين.

ثانيا: تولى المرأة مهام عضوية المجالس النيابية وما يماثلها:

ترى الجماعة أن ليس فى النصوص المعتمدة ما يمنع من ذلك أيضًا، وما أسلفناه من نصوص تؤيد مشاركتها فى الانتخابات ينطبق على انتخابها عضواً ومما قيل فى هذا الشأن لتأييد الرأى المعارض:

١- إن المرأة جاهلة وغير متمرسة بالشئون العامة، وبالتالى يسهل التغرير بها، وهذه الحجة مردودة بأن المرأة الجاهلة كالرجل الجاهل وليست كل النساء جاهلات ولا كل الرجال بالمتعلمين أو المتمرسين فى الشئون العامة أو لا يسهل التغرير بهم.. كما أننا نتكلم عن أصل الحق لا عن الشروط الواجب توافرها فى الناخب أو الناخبة لضمان حسن أدائه المهمة، فتلك قضية أخرى. ونحن ندعو لتعليم وتثقيف النساء والرجال وبذل كل جهد ممكن فى هذا المضمار الذى هو مقصد من مقاصد الشريعة الغراء وواجب شرعى مهم.

٢- إن المرأة يعتريها الحيض والنفاس والحمل مما قد يعوقها عن أداء العمل بالمجلس الذى تُنتخب فيه، والرد على ذلك أن الرجل أيضًا يعتريه من الأمراض وغيرها مما يؤثر عليه وعلى إمكاناته فى العمل -يضاف إلى ذلك أن عضوية المجالس النيابية تحدد لها شروط منها: ألا يقل سن العضو عن حد معين، يتراوح عادة ما بين ثلاثين وأربعين سنة، والأغلب أن المرأة إذا بلغت الأربعين أو جاوزت ذلك فإنها تكون قد فرغت من أعباء الحمل والولادة وبلغت طور النضوج العقلى والنفسى والاستقرار العاطفى، كما أنه قلما يستطيع الشخص فى سن الحد الأدنى المقررة أن يفوز بالمنصب النيابى لما يحتاجه ذلك لممارسة طويلة لسنوات عدة فى الأعمال العامة، والإحصاءات تقرر أن قلة صغيرة من أعضاء المجالس النيابية هم الذين يكونون فى الحد الأدنى من السن المقررة أو ما يقاربه، والغالبية تكون قد جاوزت ذلك بكثير.

وعلى أى حال فنحن نتكلم عن الحق فى الترشيح للعضوية وفى توليها إذا ما تم الانتخاب ولسنا بصدد البحث فيما ينبغى أن تتضمنه شروط العضوية من مؤهلات يجب أن تتوافر فى الرجل أو المرأة كما أن الأمر متروك للناخبين فإن رأوا أن المرشحة ليست فى حالة أو ظروف وأوضاع تمكنها من أداء مهامها، فالمفروض أنهم لن يؤيدوا انتخابها، كما أن الجهة التى سوف تزكيها سوف تحجم عن تزكيتها وترشيحها.

٣- التبرج والاختلاط ونحن لا ندعو للتبرج ولا للاختلاط ولا نقول بالتسامح فيه، والمرأة مأمورة بأن تلتزم بزيها الشرعى سواء خرجت للمشاركة فى الانتخابات، أو لحضور جلسات المجلس التى هى عضو فيه أو لغير ذلك.

كما أنه من الواجب أن تخصص مراكز انتخاب للنساء وهو أمر معمول به فى معظم الدول الإسلامية، كما أنه يجب أن تخصص للنساء فى المجالس النيابية أماكن حتى لا يكون ثمة مجال لتزاحم أو اختلاط.

٤- سفر المرأة العضو للخارج بغير محرم، وهذا أمر مردود بأنه ليس بالضرورة أن تسافر ما لم تكن مع محرم أو فى حال يؤمن عليها فيه حسبما تقرر الأوضاع الشرعية.

ثالثا: تولى المرأة الوظائف العامة:

الولاية العامة المتفق على عدم جواز أن تليها المرأة هى الإمامة الكبرى، ويقاس على ذلك رئاسة الدولة فى أوضاعنا الحالية.

أما القضاء فقد اختلف الفقهاء بشأن تولى النساء له، فمنهم من أجازه على إطلاق (الطبرى وابن حزم)، ومنهم من منعه على الإطلاق (جمهور الفقهاء) ومنهم من توسط فأجازه فى أنواع من القضايا ومنعه فى أخرى (الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه)، وما دام الأمر موضع اجتهاد فالترجيح طبقًا للأصول الشرعية أمر وارد، ثم ابتغاء مصلحة المسلمين طبق ضوابطها الشرعية وطبقًا لظروف المجتمع وأحواله أمر وارد أيضًا.

أما ما عدا ذلك من الوظائف فما دام أن للمرأة شرعًا أن تعمل فيما هو حلال لم يرد نص بتحريمه وما دام أن الوظيفة العامة هى نوع من العمل فليس ثمة ما يمنع أن تليها.

وكذا قيام المرأة بالأعمال المهنية: طبيبة، مدرسة، ممرضة، إلى غير ذلك مما قد تحتاجه هى أو يحتاجه المجتمع.

ملاحظة مهمة:

نرى ضـرورة التنويه بلزوم التفـرقة بين أن يكون للإنـسان حق، وبين كـيفـية استعمـال هذا الحق وشروط ذلك والظروف المناسبة لاستعـمال هذا الحق، وبالتالى فإذا كانت المجتمعات تتباين ظروفها الاجتماعية، وتختلف تقاليدها، فإنه يكون من المقبـول أن يتدرج اسـتعمـال الحقوق طبـقًا لأحوال المجـتمع وظروفـه وأن يحاط استعمال الحق بما يناسب تلك الأحوال، وأهم من ذلك بما لا يؤدى إلى الخروج أو الإخلال بقواعد أخلاقية وردت بها النصوص ويجب الالتزام بها.

ومما يجب أيضًا الإشـارة إليه وبإلحـاح أن المثال الغربى لمعـاملة المرأة ووضعـها الاجتماعى، والاسـتهانة بحيائها وعِرضهـا.. هذا المثال من هذه النواحى مرفوض جملةً وتفـصيـلا، وهو يقوم على فلسـفة إباحيـة تناقض مبـادئ الشريعـة الغراء وأخلاقها وقيمها، ونحن فى مـجتمعنا الإسلامى يجب أن تكون المبادئ والأخلاق والقيم الإسلاميـة هى المهيمنة والمعتبرة بكل حـرص وبكل إعزاز وبكل تقدير ومع خشية كاملة لله تبارك وتعالى.

والحـمد لله أولا وآخـرًا وصلى الله على سيـدنا مـحمـد وعلى آله وأصحـابه أجمعين.

الإخوان المسلمون

شوال ١٤١٤هـ - مارس ١٩٩٤م

[٧]

مبادرة المرشد العام للإخوان المسلمين حول المبادئ العامة للإصلاح في مصر

[مارس ٢٠٠٤م]

. . . .

عاشراً: في مجال المرأة:

إن المرأة هي نصف المجتمع وهي القائمة على تنشئة الأجيال رجالا ونساءً، فلا ريب في استحقاقها أن تكون الجنة تحت أقدامها، وهي مخلوق طاهر مكرم كرمه الله تعالى كما كرم الرجل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ....﴾ [الإسراء: ٧٠]، وهي مخلوق عاقل ورشيد، وهي مخاطبة بالخطاب الإلهي في القرآن والسنة كخطاب الرجل ومكلفة مثله ومسئوليتها كاملة، فمسئوليتها الجنائية والمدنية كالرجل، وذمتها المالية كاملة، وجميع تصرفاتها المالية صحيحة ونافذة دون الحاجة إلى موافقة زوج أو أب أو أخ أو غيرهم، ونطاق قوامة الرجل على زوجته محصور في مسائل المشاركة الزوجية -فقط- وهي قوامة مودة وتراحم وتشاور في مقابل مسئوليات يتحملها الزوج.. **ولهذا المقام نرى الآتي:**

١- حق المرأة في المشاركة في انتخابات المجالس النيابية وما هو في مثلها.

٢- حق المرأة في تولي عضوية هذه المجالس في نطاق ما يحفظ لها عفتها وحياءها وكرامتها.

٣- من حقها تولي الوظائف العامة عدا الإمامة الكبرى وما في حكمها.

٤- القضاء على الأمية المتفشية بين النساء، لاسيما في الريف.

٥- تضمين مناهج التعليم ما يتناسب مع طبيعة المرأة ودورها وحاجتها.

٦- صيانتها في كل مكان: في وسائل الانتقال وفي أماكن العمل.

[٨]

المـــرأة فى أوراق حـــزب الإخـــوان

[القراءة الأولى لبرنامج الحزب (٢٠٠٧م)]

• الأسرة والمرأة:

المرأة شطر المجتمع وميزان الأسرة (الزوجة والأم وربة المنزل) التى اعتبرها الإسلام شقيقة للرجل «النساء شقائق الرجال». . وعلى أهمية الدور الذى تلعبه المرأة فى حقل العمل، إلا أنه يلزم توازن هذا الدور مع الرسالة السامية التى تحملها المرأة فى منزلها وبين أبنائها سعيًا لاستقامة وصلاح لبنة المجتمع الأولى.

وتقوم رؤيتنا على المساواة الكاملة فى الكرامة الإنسانية بين الرجل والمرأة، وأهمية العمل على الحفاظ على التمايز بينهما فى الأدوار الاجتماعية والإنسانية، دون أن يؤثر ذلك على مكانة كل منهما. ودور المرأة فى الأسرة قائم على أساس أنها المسئول الأول عن تربية الجيل الجديد. والأسرة فى حضارتنا المصرية والعربية والإسلامية هى الوحدة الأساسية للمجتمع. وتقوم نهضة أمتنا على نهضة الأسرة كبنية أساسية. لهذا نرى أهمية تحقيق التوازن فى أدوار المرأة، وتفعيل دورها فى الأسرة والحياة العامة. دون أن نفرض عليها واجبات تتعارض مع طبيعتها أو مع دورها فى الأسرة. ونرى أن الوظائف التى تقوم بها المرأة هى نتيجة توافق مجتمعى قائم على المرجعية الحضارية والإسلامية. والنقاش حول بعض الوظائف، وإمكانية عمل المرأة بها (مثل القضاء) يجب أن يكون حالة من الحوار الاجتماعى والشرعى، للتوصل إلى توافق مجتمعى، تشارك فيه المرأة والرجل بالرأى والقرار. ونحن من جانبنا نرى أن الواجبات المفروضة على رئيس الدولة، وهو له مسئوليات فى الولاية وقيادة الجيش، تعد من الواجبات التى لا تفرض على المرأة القيام بها، لأنها تتعارض مع طبيعتها وأدوارها الاجتماعية والإنسانية الأخرى.

أ- المشكلات الاجتماعية للأسرة والمرأة:

تُعانى الأسرة والمرأة فى المجتمع المصرى مجموعة من المشكلات الآخذة فى التنامى فى هذه المرحلة بعضها خاص بالمرأة بصفتها وبعضها الآخر خاص بالأسرة ولكنها تنعكس أكثر على المرأة، وهى:

١- بطالة رب الأسرة وتنعكس هذه على المرأة ظاهرتين؛ ظاهرة الأسر المعيلة -أى تلك التى ترأسها وتنفق عليها امرأة- والتى تتركز فى الشرائح الأكثر فقرًا من المجتمع المصرى، كذلك ظاهرة الفئات المعوزة اجتماعياً؛ ويقصد بهم كل من لا يوجد شخص واحد على الأقل أو أسرة يعنى بأمره مثل بعض شرائح فئات -وليس كل-: المسنين والأيتام وأطفال الشوارع والنساء المطلقات، إذا لم يكن له عائل فردًا كان أو أسرة أو له عائل ولكن لا يستطيع أن يعوله. ويتطلب هذا الوضع بحثًا كافيًا وخطة محكمة للتغلب على تلك الأوضاع مما يؤدى فى النهاية إلى تفعيل مشاركة المرأة المجتمعية والإنسانية بصورة كافية، بما يسهم فى تسيير عجلة المجتمع ككل.

٢- انتشار ظواهر الزواج السرى والعرفى بين الفتيات والنساء فى المجتمع المصرى بسبب العديد من الظروف الاجتماعية والمعيشية، إلى جانب المشكلات النفسية الناجمة عن تردى العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، بالإضافة إلى الجهل بالمخاطر المترتبة على الزواج العرفى.

٣- الطلاق ويعتبر واحدة من أكثر المشكلات الاجتماعية التى تعانيها المرأة بسبب سوء نظرة المجتمع للمرأة المطلقة بما يفرض عليها الكثير من القيود التى قد تحرمها من الكثير من الحقوق التى تتمتع بها الأرملة، كما يشكل الطلاق سببًا أساسيًا للتفكك الأسرى، وقد بلغت حالات الطلاق نصف حالات الزواج سنوياً تقريبًا منذ عدة سنوات.

٤- العنوسة تعتبر أيضًا واحدة من كبريات المشكلات التى تواجهها المرأة فى المجتمع.

٥- العنف الممارس ضد المرأة يعتبر من أكثر المشكلات التى تتعرض لها المرأة خطورة؛ بالنظر إلى أنه قد يؤدى أحيانًا إلى القضاء على المرأة نفسها، وذلك عن طريق القتل الخطأ أو الضرب الذى يفضى إلى الموت.

٦- مشكلة ضعف الوعى الاجتماعى فيما يتعلق بقضايا المرأة ودورها الاجتماعى؛ مما قد يؤدى إلى مشكلات عديدة مثل ضعف الرعاية الأسرية، وبالذات بالنسبة للمرأة العاملة.

ب- برنامج العمل لحل هذه المشكلات:

١- تبنى حملة توعية إعلامية واجتماعية ودينية تعمل بجميع الوسائل المتاحة على نشر ثقافة المساواة بين الجنسين فى المجتمع والتعريف بمخاطر الزواج العرفى والسرى، وتحريمه شرعًا، وتصحيح النظرة الاجتماعية السلبية للمرأة، ومعرفة ظلمها والافتئات على حقوقها، على أن تستند تلك الحملة إلى المبادئ والقيم الأخلاقية المستمدة من التعاليم الإسلامية وتقاليد المجتمع المصرى، ولتقوية الوازع الدينى لدى المواطن بما يمنعه ذاتيًا من مخالفة تلك الأخلاقيات.

كما تشمل الحملة تخصيص بعض ساعات الدراسة لكى تتم التوعية بذلك سواء كان عن طريق مناهج دراسية ضمن الأنشطة الفرعية فى العملية التعليمية أو تخصيص فقرات فى الإذاعة المدرسية تستند إلى رؤى اجتماعية واقعية. مع العمل على تطوير الجانب الخاص بدور الدراما التليفزيونية والسينمائية فى صدد عرض وعلاج مشكلات المرأة، مع تحسين الصورة التى تعكسها الدراما للمرأة فى مصر بعيدًا عن التشويه والتشويش.

٢- إشراك القوى السياسية وجمعيات حقوق الإنسان وقوى المجتمع المدنى فى علاج مشكلات المرأة المصرية من خلال تنظيم الفعاليات المختلفة من مؤتمرات وحملات، وتشكيل قواعد المعلومات اللازمة لهذا الأمر.

٣- تبنى حزمة من برامج عملية الرعاية الاجتماعية والصحية للمرأة وخاصة الأمهات، من خلال مؤسسات العمل المختلفة المعنية بذلك على المستويين

الحكومى العام والأهلى الخاص، لتحسين أداء الأم وربة الأسرة المصرية وإعانتها على القيام بأدوارها شديدة الأهمية.

٤- تجريم كل أشكال المساس بالمرأة سواء كان لفظيًا بالاعتداء على سمعتها كامرأة أو بالتحريض على الزواج العرفى أو الاعتداء المباشر عليها، ووضع التشريعات التى تكفل التعامل مع كل المشكلات التى تواجهها المرأة.

٥- تدعيم جهود الجمعيات الأهلية الناشطة فى مجال المرأة، وتوجيه أنشطتها إلى علاج مشكلات المرأة، وتوعية المرأة بحقوقها، والوصول إلى الأماكن البعيدة نسبيًا عن الخدمات العامة، مثل المناطق النائية وبعض الأوساط الريفية.

٦- تكوين مجموعة متخصصة من الصناديق الاجتماعية لمساعدة فئات معوزة بعينها من شرائح المرأة المصرية، مثل المرأة الريفية، والمطلقات، والأرامل.

٧- تدعيم التعاون الفنى مع الدول والهيئات الإقليمية والدولية الناشطة فى هذا المقام، والاستفادة من البروتوكولات والاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة والمرأة العاملة، والأخذ منها بما يتفق مع قيم المجتمع وأخلاقياته، وقيم ومبادئ الشريعة الإسلامية، ومن الأفضل التعاون مع بلدان جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى فى هذا المجال.

ج- مشكلات المرأة العاملة وعلاجها..

المرأة العاملة تعانى العديد من المشكلات الاجتماعية الخاصة بوضعها كفرد عامل، ومن بين تلك المشكلات:

١- عدم كفاية التشريعات الحالية اللازمة لتحسين ظروف عمل المرأة العاملة، مما يؤثر بالسلب على قدرتها على الاستمرار فى العمل أو رعاية الأسرة بصورة كافية، الأمر الذى يؤدى إلى العديد من المشكلات الاجتماعية وغيرها مما ينقص كثيرًا من حقوق المرأة.

٢- عدم وجود التشريعات التى تحمى حقوق المرأة الريفية العاملة فى الأنشطة الزراعية وهو ما يتمثل فى أن المادة (١٢) من قانون العمل المصرى تشمل

حقوق كل العاملين فى الدولة، فيما عدا النساء العاملات فى الزراعة، وهو ما يعنى أن الفلاحة المصرية لا تتمتع بالحماية القانونية ولا التأمينات الاجتماعية والصحية اللازمة.

ومن أجل التغلب على تلك المشكلات يتعين اتخاذ مجموعة من الخطوات، وهى:

١- سن التشريعات التى تكفل حقوق المرأة العاملة فى الرعاية الاجتماعية لأسرتها وأطفالها؛ بحيث لا يكون عملها عائقًا لها عن رعاية الأسرة وبما يضمن ألا تؤدى هذه الرعاية إلى انهيار فى أداء المرأة فى عملها.

٢- تصحيح أوضاع المرأة الريفية من خلال سن التشريعات التى تضمن لهذه الفئة من النساء حقوقهن الوظيفية والاجتماعية، خاصة أن العديد من النساء الريفيات يقمن برعاية أسر كاملة، والانتقاص من هذه الحقوق سيؤثر بالتالى على أوضاع هذه الأسر.

٣- تدعيم الأنشطة الخاصة بالمرأة العاملة فى جهود الجمعيات الأهلية الناشطة فى مجال حقوق المرأة ومشكلاتها.

٤- إلزام القطاع الخاص بتطبيق اللوائح والقوانين التى تنظم عمل المرأة بعيدًا عن التعسف الوظيفى الذى يضر بحقوق العاملات، إلى جانب إلزام السلطات للشركات الخاصة بعدم رفض تعيين النساء المتزوجات؛ خشية الدخول معهن فى منازعات إدارية حول الإجازات وغيرها وتأثير التزاماتهن الاجتماعية على كفاءتهن المهنية.

والخلاصة: أننا نؤكد أهمية تفعيل دور المرأة السياسى والمجتمعى، ليتكامل مع دورها الأسرى، حيث بات واضحًا أن المرأة قادرة على القيام بالعديد من المهام التى تناسبها ويحتاجها المجتمع، ولكن هذه الأدوار غير فاعلة بالصورة اللازمة. ويبدو أن الدعوات التى تنادى المرأة بترك دورها الأسرى والتزامها المجتمعى، تحت دعوى التحرر، أدت إلى رد فعل متشدد من المجتمع، يحتاج منا إلى الدعوة للوسطية والاعتدال، حتى تقوم المرأة بمسئوليتها نحو أمتها.

المراجع

- **الإسلام وقضايا العصر**، د. محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، ٢٠٠٧م.
- **الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية**، محمد عبد الحكيم خيال ومحمود الجوهرى، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
- **الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ**، محمود عبد الحليم، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
- **الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى**، محمد شوقى زكى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٠م.
- **أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين**، جمعة أمين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٥م.
- **أولويات الحركة الإسلامية فى المرحلة القادمة**، د. يوسف القرضاوى، مكتبة وهبة، ١٩٩١م.
- **أوراق مؤتمر (تحرير المرأة فى الإسلام)**، المنعقد فى القاهرة فى فبراير ٢٠٠٣، دار القلم، ٢٠٠٤م.
- **أيام من حياتى**، زينب الغزالى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٩م.
- **تحرير المرأة فى عصر الرسالة**، عبد الحليم محمد أبو شقة، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.
- **تحرير المرأة**، قاسم أمين، (سلسلة المواجهة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
- **تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل**، محمد الغزالى، دار الشروق، ١٩٩٦م.

- **تزوجت مجرمًا**، كريمان حمزة، (نشر المؤلفة)، ٢٠٠١م.
- **حكايات عن الإخوان**، عباس السيسى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٠م.
- **الحكومة الدينية**، عمر التلمسانى، دار الاعتصام، ١٩٨٥م.
- **الحق المر**، محمد الغزالى، دار الشروق، ١٩٨٩م.
- **الحقوق التعليمية للمرأة من واقع القرآن والسنة**، د. منى على السالوس، دار النشر للجامعات، ٢٠٠٢م.
- **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**، محمد الغزالى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.
- **رسالة إلى أختى** (ديوان شعر)، د. محيى الدين زايط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٤م.
- **زوجة واحدة تكفى.. فكونى لزوجك مثنى وثلاث ورباع**، عامر شماخ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.
- **سطور من حياة الداعية المجاهدة زينب الغزالى**، بدر محمد بدر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٦م.
- **سلوكيات وأحكام المرأة فى المجتمع المسلم**، محمد حسين، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
- **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، محمد الغزالى، دار الشروق.
- **شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام فى الكتاب والسنة**، د. محمد على الهاشمى، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية، ١٤٢٥هـ.
- **الشيخ الغزالى كما عرفته**، د. يوسف القرضاوى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

- طريق الأخت المسلمة (سلسلة نحو جيل مسلم)، الجزء الثالث، محمد عبد الحليم حامد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٢م.
- العنف الأسرى.. جاهلية العصر، عامر شماخ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.
- فتاوى معاصرة، د. يوسف القرضاوى، دار القلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
- القرضاوى فقيهًا، عصام تليمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٠م.
- قضايا المرأة.. بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالى، دار الشروق، ١٩٩٢م.
- قضايا المرأة والطفل فى ضوء السنة النبوية، د. محمد البلتاجى ود. محمد المنسى، دار الهانى للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
- لا تظلموا المرأة، د. محمد كامل الفقى، مكتبة وهبة، ١٩٨٥م.
- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.
- مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٨٦م.
- مركز المرأة فى الحياة الإسلامية، د. يوسف القرضاوى، مكتبة وهبة، ٢٠٠٥م.
- المرأة المسلمة فى المجتمع المسلم (وثيقة صادرة عن جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٩٤)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٥م.
- المرأة المسلمة وتوليها الوظائف العامة.. بين المعارضة والتأييد، إبراهيم هاشم إبراهيم، مكتبة وهبة، ٢٠٠٧م.
- المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، د. على عبد الحليم محمود، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١م.

– **المرأة.. بين الموروث والتحديث**، د. زينب رضوان، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م.

– **المرأة فى التصور الإسلامى**، عبد المتعال الجبرى، مكتبة وهبة، ١٩٩٠م.

– **المرأة والأسرة.. بين التغريب والإسلام**، السيد عبد الحليم، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ٢٠٠٦م.

– **من وثائق الإخوان المسلمين المجهولة** (الجزء الأول)، جمال البنا، دار الفكر الإسلامى، ٢٠٠٩م.

– **ميثاق الأسرة**، محمد حسين، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

– **وسائل التربية عند الإخوان المسلمين**، د. على عبد الحليم محمود، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.

- **جرائد ومجلات**: الدستور المصرية، العربى الناصرى، لواء الإسلام.

- **مواقع إلكترونية**: (إسلام أون لاين، إخوان أون لاين، شبكة نور الإسلام، اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، القرضاوى، المسلم، المستشار، arabic publications).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
الباب الأول: الإسلام والمرأة	
واقع المرأة قبل مجيء الإسلام	٩
المرأة في الحضارة المصرية القديمة	٩
المرأة في الحضارة اليونانية	١٠
المرأة في الحضارة الرومانية	١١
المرأة في حضارة فارس	١٢
المرأة في الحضارة الصينية	١٢
المرأة في الحضارة البابلية	١٣
المرأة في الحضارة الهندية	١٣
المرأة عند اليهود	١٤
المرأة في المسيحية	١٥
المرأة العربية قبل مجيء الإسلام	١٧
المرأة الغربية في الحضارة الحديثة	١٩
•• التصور الإسلامي للمرأة	٢٣
المرأة في التصور الإسلامي أحد شطري النوع الإنساني	٢٤
وهي كالرجل تمامًا في التكاليف الدينية	٢٥
وللمرأة المسلمة حقوق مكتسبة قررها الإسلام	٢٥
ولها الأهلية الكاملة والشخصية المستقلة	٢٨
وهي ذات شخصية قوية	٢٩
وهي بريئة من كونها المسئولة عن عصيان آدم عليه السلام	٣٠

ولا تقوم الدعوة الإسلامية إلا بجناحيها: الرجل والمرأة ٣٠
وهى متساوية مع الرجل فى الدم ٣١
•• **أزهى عصور المرأة** ٣٢
النبى ﷺ أرحم الخلق بالمرأة ٣٣
المرأة داعية وعالمة وفقيهة ٣٤
تحطيم أسطورة الذكر!! ٣٦
شجاعة أدبية نادرة ٣٧
المرأة الفدائية ٣٩
عصور زاهرة ٤٠
•• **شبهات يثيرها خصوم الإسلام حول معاملته للمرأة** ٤٢
١- الحجاب قيدٌ على تفكير المرأة وحريتها ٤٢
٢- الإسلام يمنع المرأة من العمل ٤٧
٣- الشريعة الإسلامية تشجع ضرب المرأة ٥٠
٤- الطلاق الإسلامى استهانة بشأن المرأة ٥٣
٥- التعدد.. نظام مجحف ينتهك إنسانية المرأة ٥٧
٦- حديث (ناقصات عقل ودين) يؤكد تسفيه الإسلام للمرأة ٦٢
٧- تمييز الرجل على المرأة فى الميراث فيه تعسف وظلم لها ٦٥
٨- المرأة فى الإسلام لم تنل حقها فى التعليم مثل الرجل ٦٨
٩- الإسلام يمنع المرأة من ممارسة حقوقها السياسية ٧٢
١٠- الإسلام لا يولى المرأة القضاء تقليلا لشأنها ٧٦
١١- ختان المرأة المسلمة يمثل انتهاكًا لجسدها ٧٧

الباب الثانى: الإخوان والمرأة

•• **تمهيد** ٨١
نظرة تاريخية ٨٢

•• رؤية الإخــوان المسلمين للمــرأة	٨٦
دور ريادى	٨٨
•• مكانة المرأة فى واقع الجمـاعـة	٨٩
أمـثلة من الداخل	٩٠
شهادة الإعلامية كريمان حمزة	٩٥
•• حـسن البنا والمرأة	٩٦
البنا وقـضايا المرأة	٩٧
كتابات المرشد حول القضية	٩٩
جوانب عملية	١٠٠
•• قسم للأخـوات داخل الحـركـة	١٠٣
•• وسائل تربية الأخت داخل الجماعة	١٠٩
أهداف نظام الأسـر	١١٠
برامج وأفكار عملية	١١٢
نموذج لأحد البرامج العملية	١١٣
•• واجبـات الأخت داخل الجـمـاعـة	١١٥
•• أدوار الأخت فى مواجهة المحن	١٢١
١- الأخوات يتعرضن لما يتعرض له الرجال	١٢١
٢- ويثبتن فى مواطن المحن	١٢٥
٣- كن عوامل ثبات للرجال	١٢٧
٤- قمن برعاية الأبناء وإدارة البيوت	١٢٨
٥- يقفن فى وجوه الطغاة	١٢٩
٦- يبثن الأمل فـيمن حولهن، ويصررن على مـواصلة طريق الدعوة، رغم أشواكه وعـقباته	١٣٠
•• الإخوان وقضايا المرأة المعاصرة	١٣٤

تعليم المرأة فرض دينى وواجب عصرى ١٣٤
لا حرج فى خروج المرأة للعمل . . لكن بينها أولى ١٣٦
المساواة وحق القوامة وحديث ناقصات عقل ودين ١٣٩
الحجاب والنقاب وزى الأخوات ١٤١
التعدد . . ضرورة لها مبـررات ها وضماناتها ١٤٣
الإخوان والحقوق السياسية للمرأة ١٤٥
الإخوان وكـوتة المرأة ١٤٦
•• رموز نسائية أفرزتها الحركة ١٥٠
زينب الغزالى ١٥١
لبيبة أحمد ١٥٤
نعيمة خطاب ١٥٥
آمال العشماوى ١٥٦
فاطمة عبيد ١٥٧
أمينة على ١٥٨
رموز الصحوة وما بعدها ١٥٩
•• مفكران إخوانيان كبيران يناصران المرأة ١٦١
الغزالى: التقاليد البيئية هى التى انتقصت المرأة ١٦١
القرضاوى: المرأة قد تكون أكثر سدادًا من الرجل ١٦٦
•• موسوعة (تحرير المرأة فى عصر الرسالة) ..وثيقة إسلامية للنهوض بالمرأة ١٧٠
•• هل حدث تطور فى فكر وواقع الإخوان تجاه المرأة؟ ١٧٦
مقارنة بين القديم والحديث ١٧٧
شهادة الدكتور سعد الدين إبراهيم ١٧٨
ظواهر جديدة ١٧٩
تطور بطىء . . لماذا؟! ١٨١

تجارب ناضجة من خارج مصر ١٨٢
نساء حماس ١٨٢
أكثر انفتاحًا من غيرهن ١٨٣
مريم صالح .. نموذجًا ١٨٤
•• تحديات تواجه المرأة الإخوانية ١٨٦
تحديات من داخل الجماعة ١٨٦
تحديات من خارج الجماعة ١٨٩
•• خاتمة ١٩١
•• ملاحق الكتاب
١- أول لائحة لفرقة الأخوات المسلمات ١٩٥
٢- المطالب الخمسون (وثيقة فى الإصلاح) ١٩٦
٣- نشرة إدارية لنواب المناطق ١٩٧
٤- لائحة قسم الأخوات المعدلة ٢٠٠
٥- رسالة (المرأة المسلمة) ٢٠٢
٦- وثيقة الإخوان حول المرأة (عام ١٩٩٤م) ٢١٣
٧- مبادرة الإصلاح (عام ٢٠٠٤م) ٢٢٥
٨- المرأة فى أوراق حزب الإخوان ٢٢٦
•• المراجع ٢٣١
•• الفهرس ٢٣٥

•• كتب للمؤلف:

١ - أحمد ياسين... شهيد أيقظ أمة (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

٢ - مذكرات الدكتور عبد العزيز الرنتيسى (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

٣ - كيف نجنب أبناءنا مخاطر الإدمان والجنس؟! (دار الفنار).

٤ - ٧٠ وصية فى محبة الناس وكسب ودهم (دار الفنار).

٥ - الإخوان والعنف.. قراءة فى فكر وواقع جماعة الإخوان المسلمين (دار السعد).

٦ - مواقف وطرائف من حياة الدعاة المعاصرين (دار السعد).

٧ - احذروا فيروسات السعادة الزوجية (مؤسسة اقرأ).

٨ - الإخوان والأقباط.. من يطمئن من؟! (مكتبة وهبة).

٩ - أبشروا.. فإن مع العسر يسرا (دار الفنار).

١٠ - أقوال وتصريحات قادة الغرب ضد الإسلام (مؤسسة اقرأ).

١١ - بيوت سعيدة.. قصص زواج ناجح (مؤسسة اقرأ).

١٢ - علمنى أبى (مذكرات طفل) (دار الصحوة).

١٣ - زوجة واحدة تكفى.. فكونى لزوجك مثنى وثلاث ورباع (دار الصحوة).

١٤ - ارفع رأسك يا أخى (مكتبة وهبة).

١٥ - العنف الأسرى.. جاهلية العصر (دار الصحوة).

هذا الكتاب

تتعرض جماعة الإخوان المسلمين لهجوم شديد من جانب خصومها حيال موقفها من المرأة .. فالخصوم يرون الجماعة ظالمة للمرأة، غافلة عن حقوقها، يضعونها - أي الإخوان- خلف الرجل، كأنها خادمته، أو كأنها كائنٌ أقل في الرتبة والدرجة.

والإخوان - من جانبهم - يتهمون هؤلاء الخصوم بالطعن في الإسلام وغمز الشريعة، مؤكدين أن الإسلام هو المقصود من هذا التشويش وليس الإخوان، ويقولون: إنما جُعل الإخوان هدفًا لسهام هؤلاء الخصوم تفاديًا للهجوم المباشر على الإسلام.

وفي هذا الكتاب عرضٌ لآراء الطرفين: الإخوان وخصومهم، وفيه أيضًا بابٌ حول (الإسلام والمرأة)، جعله المؤلف ميزانًا يقيس به الآراء التي وردت فيما تلاه من فصول.

نسأل الله عز وجل أن يجنبنا الزلل، وأن يبصرنا بالصواب .. فهو الهادي إلى سواء السبيل.

I.S.B.N: 978-977-316-334-8

دار النشر للجامعات
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
تليفون: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - ٢٦٣٢١٧٥٣ تليفاكس: ٢٦٤٤٠٠٩٤
E-mail: darannshr@link.net